

السيرة النبوية

لابن هشام

"المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ"

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الثاني

الناشر

دار الكتاب العربي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص . ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

السيرة النبوية



بسم الله الرحمن الرحيم

خبر الصحيفة[1]

ائتمار قريش بالرسول: قال ابن اسحاق: فلما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله - ﷺ - قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأنّ النّجاشيّ قد منع من لجأ إليه منهم، وأنّ عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبدالمطّلب مع رسول الله - ﷺ - وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني المطّلب، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم؛ فلمّا اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبدالدار بن قُصَيّ - قال ابن هشام: ويقال: النضر ابن الحارث - فدعا عليه رسول الله - ﷺ -، فشلّ بعض أصابعه.

---

(1) السير والمغازي ١٥٦، الطبقات الكبرى ٢٠٨/١، المغازي لعروة ١١٤، دلائل النبوّة للبيهقي ٨٢/٢، دلائل النبوّة لأبي نعيم ٣٥٧/١، المستخرج من كتاب التاريخ لابن منده ١٧ ب - ١٨ أ - مخطوطة كوبريللي ٢٤٢، تاريخ الطبري ٣٣٦/٢، أنساب الأشراف ٢٢٩/١، نهاية الأرب ٢٥٨/١٦، السيرة الحلبية ٣٦٦/١، عيون الأثر ١٢٦/١، تاريخ الخميس ٢٩٧/١، البداية والنهاية ٩٦/٣، شرح المواهب اللدنية ٣٣٥/١، سبل الهدى ٥٠٢/٢، سيرة ابن كثير ٤٤/٢، البدء والتاريخ ١٥٣/٤، الكامل في التاريخ ٨٧/٢، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٢٢١، عيون التواريخ ٧٨/١.

قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب بن عبد المطّلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبد العُزَّى بن عبدالمطّلب، إلى قريش، فظاهرهم[1].

تهكُّم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن: قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبدالله: أنّ أبا لهب لقي هندَ بنتَ عُتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشاً فقال: يا بنت عُتبة؛ هل نصرت اللّات والعُزَّى، وفارقتِ من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم: فجزاك الله خيراً يا أبا عُتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنّها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يديّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2].

---

(١) السير والمغازي ١٥٦، نهاية الأرب ١٦/٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) سورة المسد ـ الآية ١.

وقد جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أتى الصفا، فصعد عليه، فهتف: يا صباحاه، فلما اجتمعوا إليه، قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مُصَدِّقيّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً. قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ وقد تبّ. هكذا قرأ مجاهد والأعمش، وهي ـ والله أعلم ـ قراءة مأخوذة عن ابن مسعود، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظاً كثيرة تعين على التفسير. قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته. (الروض الأنف ٢/١٠٩).

والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢٠٨) باب في قوله تعالى: ﴿وأنذِرْ عشيرتك الأقربين﴾ ورواه الطبري في تاريخه ٢/٣١٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ١٤٦.

قال ابن هشام: تبّت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حبيب بن خُدرة الخارجيّ: أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة:

يا طيب إنّا في معشرٍ ذهبتْ ... مَسعاتُهم في التّبارِ والتَّبَبِ

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر أبي طالب في تظاهر قريش: قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب:

ألا أبلغا عنّي على ذاتِ بيننا[1] ... لُؤَيًّا وخُصًّا من لُؤَيّ بني كعبِ

ألم تعلموا أنّا وَجَدْنا محمداً ... نبيًّا كموسى خُطَّ في أوّل الكُتْبِ

وأنّ عليه في العباد محبَّةً ... ولا خيرَ ممّن خصَّه الله بالحبّ

وأنّ الذي ألصقتمُ من كتابكم[2] ... لكُم كائن نحساً كَرَاغية السَّقْب[3]

أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفَر الثَّرى ... ويُصبح من لم يجْن ذنباً كذي الذَّنْب

ولا تَتْبعوا أمر الوُشاة[4] وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودَّة والقرب

وتستجلبوا حرْباً عَوَاناً وربّما ... أمرّ على مَن ذاقه جَلبُ الحرْبِ

فلسنا وربّ البيت نُسلمُ أحمداً ... لعزَّاء[5] من عضّ الزمان ولا كرْبِ[6]

ولمَّا تَبِنْ منّا ومنكم سَوالف[7] ... وأيدٍ أُتِرّت بالقُسَاسيَّة[8] الشُّهْب

بمعتركٍ ضَيْق ترى كِسَر القَنا ... به والنسورَ الطُّخم يَعْكفن كالشُّرب[9]

كأن مُجالَ الخيلِ في حَجَراته[10] ... ومَعْمَعة الأبطال معركة الحِرْب

---

(١) في السير والمغازي «نأيها».
(٢) في السير والمغازي «أضفتم في كتابكم».
(٣) الرغاء: صوت الإبل، والسقب: ولد الناقة، والمراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام.
(٤) في السير والمغازي «الغواة».
(٥) العزّاء: الشدّة.
(٦) في السير والمغازي: «على الحال من عض الزمان ولا كرب».
(٧) السوالف: صفحات الأعناق.
(٨) أُترّت: قطعت. والقساسية: سيوف تنسب إلى جبل يسمّى قساس.
(٩) الطُخم: سود الرؤوس، والشراب: جماعة الشاربين.
(١٠) الحجرات: النواحي.

ألــيس أبــونــا هــاشــمٌ شــدّ أَزْرَه ... وأوصى بَنِيـه بـالـطِّعـان وبـالضَّـرْب
ولسنــا نَمَـلّ الحــربَ حتى تَمَلَّنـَـا ... ولا نشتكي مـا قد ينـوب من النَّكْب
ولـكنّنـــا أهـــل الحَـفــائظ والنُّـهَى ... إذا طار أرواحُ الكُماة من الـرَّعْب[1]

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء، إلّا سرّاً مُستخفِياً به من أراد صِلتهم من قريش.

أبـو جهل يُحكِم الحصـار على المسلمين: وكان أبـو جهل بن هشـام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن خُـويلد بن أسد، معـه غلام يحمـل قمحاً يريد به عمّته خديجـة بنت خُويلد، وهي عنـد رسول الله - ﷺ -، ومعـه في الشِّعب، فتعلّق به وقال: أتـذهب بالـطعام إلى بني هـاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعـامـك حتى أفضحـك بمكـة. فجـاءه أبـو البَخْتَـرِيّ بن هـاشم بن الحارث بن أسد، فقال: مالك وله؟ فقـال: يحمل الـطعام إلى بني هـاشم؛ فقـال أبو البَخْتـريّ: طعام كـان لعمّته عنـده بعثت إليه فيـه أفتمنعه أن يـأتيها بطعامها!؟ خلِّ سبيل الرجل؛ فأبى أبو جهل حتى نـال أحدهمـا من صاحبـه، فأخذ أبو البَخْتريّ لحْيَ بعير فضربه به فشجّه، ووطِئه وطأً شديـداً وحمزة بن عبدالمطّلب قريب يرى ذلـك، وهم يكرهـون أن يبلغ ذلك رسـول الله - ﷺ - وأصحابَه، فيشمتوا بهم، ورسول الله - ﷺ - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، منادياً بأمر الله لا يتّقي فيه أحداً من الناس[2].

ذكـر ما لقي رسـول الله صلى الله عليـه وسلم من قـومـه من الأذى

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامرأته: فجعلت قريش حين منعـه الله منها، وقام عمّه وقومه من بني هاشم، وبني المـطّلب دونه وحـالوا بينهم وبين

---

(١) الأبيـات في السير والمغـازي ١٥٧ وقد أنقص منهـا ثلاثـة أبيـات، وهي كـاملة في سبـل الهدى ٢/٥٠٣، ٥٠٤.

(٢) السير والمغازي ١٦١، تاريخ الطبري ٢/٣٣٦، تاريخ الإسلام ٢٢٣.

ما أرادوا من البطشَ به، يهمزونه ويستهزئون به ويخـاصِمونـه، وجعل القـرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمًّى لنـا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّـة من ذكر الله من الكُفّـار، فكان ممّن سمّى لنا من قريش ممّن نزل فيه القـرآن عمّه أبـو لهب بن عبدالمـطّلب وامرأتـه أم جميل بنت حرب بن أُميّة، حمّالـة الحطب، وإنّمـا سمّاهـا الله تعالى حمّـالة الحطب لأنها كانت ـ فيما بلغني ـ تحمـل الشوك فتـطرحه على طـريق رسول الله ـ ﷺ ـ حيث يمـرّ، فأنـزل الله تعالى فيهمـا ﴿تَبَّتْ يَـدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَـا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[1].

قال ابن هشام: الجِيد: العنق. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

يـوم تُبـدَى لنـا قُتَيـلْة عـن جِيـ ـدٍ أَسِيـل[2] تـزينـه الأطـواق

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: أُجيـاد. والمَسَد: شجـر يدقّ كمـا يدقّ الكتّان فتُفتل منه حِبال. قال النابغة الذبياني، واسمه زياد بن عمـرو بن معاوية:

مقـذوفـةٍ بِـدَخيسٍ النَّحْض بـازلُهـا له صريف صَـريفَ القَعْو بـالمَسَد[3]

وهذا البيت في قصيدة له، وواحدته: مَسَدَة.

أم جميل امرأة أبي لهب: قال ابن إسحاق: فـذُكِر لي: أنّ أم جميـل. حمّالة الحطب، حين سمعت مـا نـزل فيهـا، وفي زوجهـا من القـرآن، أتت رسـول الله ـ ﷺ ـ، وهـو جـالس في المسجـد عنـد الكعبـة ومعـه أبـو بكـر

---

(١). سورة المسد بكاملها.

(٢) جيد أسِيل: فيه طُول.

(٣) الـدخيس: اللحم الكثيـر. والنحض: اللحم. والبـازل: النـاب. والصـريف: الصـوت، والقعر: ما تدور فيه البكرة.

الصِّدِّيق، وفي يدها فِهر[1] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ـ ﷺ ـ، فلا ترى إلّا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهْر فاه، أما والله إنّي لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّماً عصينا وأمره أبينا
ودِينه قَلَينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني؛ لقد أخذ الله ببصرها عنّي.

قال ابن هشام: قولها «ودينه قَلَيْنا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تسمّي رسول الله ـ ﷺ ـ مذمَّماً، ثم يسبّونه، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش، يسبّون مذمَّماً، وأنا محمد»[2].

إيذاء أُميَّة بن خَلَف للرسول: وأُميّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمح، كان إذا رأى رسول الله ـ ﷺ ـ همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه: **﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ. ٱلَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ، نَارُ ٱللهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ. إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾**[3].

قال ابن هشام: الهُمَزَة: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينيه عليه، ويغمز به، قال حسّان بن ثابت:

همزتك فاختُضعتَ لـذلّ نفسٍ بقافيةٍ تَأَجَّجُ كالشُّواظِ[4]

(١) الفهر. حجر يملأ الكف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ١٦٢/٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٤٧.

(٣) سورة الهُمَزة بكاملها.

(٤) تأجّج الشواظ: توقّد لهب النار.

وهـذا البيت في قصيدة لـه. وجمعه: همـزات. واللُّمَزَة: الـذي يعيب الناس سرّاً ويؤذيهم.

قال رُؤبة بن العجّاج:

في ظلّ عصْريْ باطلي ولُمَزي

وهذا البيت في أرجوزة له(١)، وجمعه: لُمزات.

إيذاء العاص للرسول: قال ابن إسحـاق: والعاص بن وائـل السهميّ، كان خبّاب بن الأرتّ، صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ، قَيْناً بمكة يعمـل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفـاً عملها لـه حتى كان لـه مال، فجـاءه يتقاضاه، فقال له: يا خبَّاب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الـذي أنت على دِينه أنّ في الجنة مـا ابتغى أهلها من ذهب، أو فضّـة، أو ثياب أو خَـدَم! قال خبّـاب: بلى. قال: فـأنظِرني إلى يوم القيامة يـا خبّاب حتى أرجـع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقّك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خبّـاب آثر عنـد الله مني، ولا أعظم حظّاً في ذلك؛ فأنزل الله تعالى فيه: **﴿أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَـالاً وَوَلَداً، أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾** إلى قـوله تعـالى: **﴿وَنَرِثُـهُ مَا يَقُولُ، وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾**(٢).

ايـذاء أبي جهل للرسـول: ولقي أبو جهـل بن هشام رسـول الله ـ ﷺ ـ فيمـا بلغني ـ فقال لـه: والله يا محمـد، لتتركَنّ سبَّ آلهتنـا، أو لنسبَّنَّ إلٰهـك الـذي تعبد. فـأنزل الله تعـالى فيه: **﴿وَلاَ تَسُبُّـوا ٱلَّذِينَ يَـدْعُـونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ فَيَسُبُّـوا ٱللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**(٣). فذُكر لي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كفّ عن سبّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

---

(١) هـو البيت ٤٢ من الأرجوزة ٢٣ يمـدح بهـا أبـان بن الـوليـد البجلي. أنـظر ديـوان رؤبـة ـ ص ٦٤ ـ طبعة ليبزغ ١٩٠٣.

(٢) سورة مريم ـ من الآية ٧٧ حتى ٨٠.

(٣) سورة الأنعام ـ الآية ١٠٨.

ايذاء النضر للرسول: والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مَناف بن عبدالدار بن قُصَيّ، كان إذا جلس رسول الله - ﷺ - مجلساً، فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذّر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذ قام، فحدّثهم عن رستم السنديد[1]، وعن أسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً منّي، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين اكتتبها كما اكتتبتها. فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2]، ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]. ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ الله تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا - كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً -، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4].

قال ابن هشام: الأفّاك: الكذّاب. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون وَلد الله وإنهم لكاذبون﴾.

وقال رُؤْبة:

ما لامريءٍ أفَّك قولاً إفْكاً

وهذا البيت في أرجوزة له[5].

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضْر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش. فتكلّم رسول الله - ﷺ -،

---

(١) السنديد: بلغة الفرس: طلوع الشمس. وهم ينسبون إليه كل جميل.
(٢) سورة الفرقان - الآيتان ٥ و٦.
(٣) سورة القلم - الآية ١٥.
(٤) سورة الجاثية - الآيتان ٧ و٨ وقد دخلت فيهما ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ وهي من سورة لقمان - من الآية ٧.
(٥) البيت ٦ في الأرجوزة ٤٤ من ديوان رؤبة.

فعرض له النضْر بن الحارث، فكلّمه رسول الله - ﷺ - حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُم لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُون، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾[1].

قال ابن هشام: حَصَب جهنّم: كل ما أوقدت به. قال أبو ذُؤيب الهُذليّ، واسمه خُوَيلد بن خالد:

فأطفيءْ ولا تُوقِدْ ولا تَكُ مخصباً[2] لنار العُداة أن تطير شداتها[3]

وهذا البيت في أبيات له. ويُروَى «ولاتك محضاً». قال الشاعر:

حَضَأتُ له ناري فأبصَرَ ضَوْءَها وما كان لولا حَضْأَةُ النار يَهتَدِي

ابن الزِّبَعْرَى وما قيل فيه: قال ابن اسحاق: ثم قام رسول الله - ﷺ -، وأقبل عبدالله بن الزِّبَعْرَى السهميّ حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبدالله بن الزِّبَعْرَى: والله ما قام النضرْ بن الحارث لابن عبدالمطّلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنّم؛ فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى: أما والله لو وجدته لخَصمْته، فسلوا محمداً: أكُلّ ما يُعبد من دون الله في جهنّم مع مَن عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزَيراً. والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام؛ فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزِّبَعْرَي، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم. فذُكر ذلك لرسول الله - ﷺ - من قول ابن الزِّبَعْرَى: فقال رسول الله - ﷺ - «كّل من أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبده، إنهم إنّما يعبدون الشياطين، ومن أَمرَتهم بعبادته». فأنزل الله تعالى عليه في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَىٰ، أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ

---

(١) سورة الأنبياء - الآيات ٩٨ - ١٠٠.

(٢) وفي رواية «محصباً». وفي رواية «مِحْضاً»، والمحضأ: العود الذي تُحرَّك به النار لتلتهب.

(٣) هكذا في لسان العرب. وفي الأصول «شَكاتُها» وهي الشدّة.

حَسِيسَهَا، وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[1]. أي عيسى بن مريم، وعُزيراً، ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتّخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله.

ونزّل فيما يذكرون، أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ ٱلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِٱلقَوْلِ، وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾... إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ، فَذٰلِكَ نَجْزِيهُ جَهَنَّمَ، كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ﴾[2].

ونزّل فيما ذُكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجّته وخصومته: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[3]: أي يصِدُّون عن أمرك بذلك من قولهم.

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي ٱلأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[4]. أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على علم الساعة، يقول: ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ، هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

الأخنس وما أنزل فيه: والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهْب الثقفي، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم وممّن يُستمع منه، فكان يصيب من رسول الله ـ ﷺ ـ، ويردّ عليه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[5]... إلى قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾، ولم يقل: «زنيم» لَعيبٍ في نَسَبه، لأنّ الله لا يعيب أحَداً بنسب، ولكّنه حقق

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآيتان ١٠١ و١٠٢.
(٢) سورة الأنبياء ـ من الآية ٢٦ حتى ٢٩.
(٣) سورة الزخرف ـ الآية ٥٧.
(٤) سورة الزخرف ـ الآيات ٥٩ ـ ٦١.
(٥) سورة القلم ـ الآيتان ١٠ و١١.

بذلك نعتَه ليُعرف. والزنيم: العديد[1] للقوم. وقد قال الخطيم التميميّ في الجاهلية:

زَنيم تَداعاه الرجالُ زِيادةً كما زِيد في عَرْض الأديم الأكارعُ

الوليد وما أُنزِل فيه: والوليد بن المغيرة، قال: أَيُنزَّل على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وسيّدها! ويُترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفي سيّد ثَقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾... إلى قوله تعالى: ﴿**مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[2].

أُبَيّ بن خَلَف وعُقبة بن أبي مُعَيْط، وما أُنزل فيهما: وأُبَيّ بن خَلَف ابن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وعُقْبة بن أبي مُعْيَط، وكانا متصافيين، حسناً ما بينهما. فكان عُقبة قد جلس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وسمع منه، فبلغ ذلك أُبَيًّا، فأتى عُقبة فقال: ألم يبلغني أنّك جالسْتَ محمداً وسمعت منه! قال وجهي من وجهك حرام أنْ أكلّمك ـ واستغلظ من اليمين ـ إنْ أنت جلستَ إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدوّ الله عُقبة بن أبي مُعَيط لعنه الله. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾... إلى قوله تعالى: ﴿**لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**﴾[3].

ومشى أُبَيّ بن خَلَف إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بعظم بالٍ قد ارْفَتّ[4] فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمّ[5]، ثم فتّه بيده، ثم نَفَخه في الريح نحو رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نعم، أنا

---

(١) العديد: من يُعدّ في القوم وهو ليس منهم وهو الدعيّ.

(٢) سورة الزخرف ـ الآيتان ٣١ و ٣٢.

(٣) سورة الفرقان ـ الآيات من ٢٧ حتى ٢٩.

(٤) ارفَتّ: تحطّم وتكسّر.

(٥) أرمّ: بلي.

أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النارَ». فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي ٱلعِظَامَ وهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلأَخْضَرِ نَاراً، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[1].

سورة (الكافرون) وسبب نزولها: واعترض رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو يطوف بالكعبة ـ فيما بلغني ـ الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزَّى، والوليد بن المغيرة، وأُميَّة بن خَلَف، والعاص بن وائل السهميّ، وكانوا ذوي أسنانٍ في قومهم، فقالوا: يا محمد، هلُمَّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنّا قد أخذنا بحظّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظّك منه. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا ٱلكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾[2] أي إن كنتم لا تعبدون الله، إلاّ أن أعبد ما تعبدون، فلا حَاجة لي بذلك منكم لكم دِينكم جميعاً، ولي ديني.

أبو جهل. وما نزل فيه: وأبو جهل بن هشام، لما ذكر الله عزّ وجلّ شجرة الزّقُّوم تخويفاً بها لهم قال: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزّقّوم التي يخوّفكم بها محمد؟ قالوا: لا؛ قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنّا منها لنتزقمنّها[3] تزقُّما. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزُّقُّومِ، طَعَامُ ٱلأَثِيمِ، كَٱلمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلبُطُونِ كَغَلْيِ ٱلحَمِيمِ﴾[4]: أي ليس كما يقول.

تفسير لفظ المُهْل: قال ابن هشام: المُهْل: كلّ شيء أَذَبْته، من نحاس

---

(١) سورة يّس ـ الآيات ٧٨ ـ ٨٠.

(٢) سورة الكافرون بكاملها.

(٣) تزقم: ابتلع.

(٤) سورة الدخان ـ الآيات ٤٣ ـ ٤٦.

أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عُبيدة.

وبَلَغَنا عن الحسن البَصْري أنه قال: كان عبدالله بن مسعود والياً لعمر بن الخطّاب على بيت مال الكوفة، وأنه أمر يوماً بفضّة فأُذيبت، فجعلت تلوّن ألواناً، فقال: هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم؛ قال: فأدخِلوهم، فأدخلوا فقال: إنّ أدنى ما أنتم راءون شبهاً بالمُهْل لهذا. وقال الشاعر:

يسقيه ربّي حميمَ المُهْلِ يَجْرعُه   يشوي الوجوهَ فهو في بَطْنه صَهِرُ

ويقال: إنّ المُهْل: صديد الجسد.

(وقال عبدالله بن الزُبَير الأسدي:

فمن عاش منهم عاش عبداًوإن يَمُتْ   ففي النّار يُسقَى مُهْلُها وصَدِيدُها

وهذا البيت في قصيدة له)[1].

بَلَغَنا أنّ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لما حُضر أمر بثوبين لَبِيسَين يُغسلان فيُكفَّن فيهما، فقالت عائشة: قد أغناك الله يا أبتِ عنهما، فاشترِ كَفَناً، فقال: إنّما هي ساعة حتى يصير إلى المُهْل، قال الشاعر:

شاب بالماء منه مُهْلاً كريهاً   ثم علّ المُتُون بعد النِّهالِ[2]

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ، وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[3].

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عَبَس: ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ـ ﷺ ـ يكلّمه، وقد طمع في إسلامه، فبينا هو في ذلك، إذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ، وجعل يستقرئه القرآن، فشقّ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة التي حققها: السقا والإبياري وشلبي ١/٣٦٣.

(٢) شابَ: خَلَط. والعلَل: الشرب بعد الشرب، والمتون: الظهور، والنهال: جمع نهل، وهو الشرب الأول.

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٦٠.

ذلك منه على رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أضجره، وذلـك أنه شغله عمـا كان فيـه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه. فلما أكثر عليـه انصرف عنـه عابسـاً وتـركه. فـأنزل الله تعـالى فيه ﴿عَبَسَ وَتَـوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾. إلى قـولـه تعـالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَـةٍ، مَرْفُـوعَةٍ مُـطَهَّـرَةٍ﴾[1] أي إنّمـا بعثتـك بشيـراً ونذيراً، لم أخصّ بك أحداً دون أحد، فلا تمنعـه ممن ابتغاه، ولا تتصـدّينّ به لمن لا يريده.

قـال ابن هشـام: ابن أم مكتـوم، أحـد بني عـامـر بن لُؤَيّ، واسمـه عبدالله، ويقال: عمرو.

(١) سورة عبس ـ من الآية ١ ـ حتى الآية ١٤.

العائدون من أرض الحبشة[1]

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحابَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلامُ أهـل مكة، فـأقبلوا لما بلغهم من ذلـك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهـل مكة كـان باطـلاً؛ فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً.

فكان ممّن قدِم عليـه مكة منهم، فـأقام بهـا حتى هاجـر إلى المدينـة، فشهد معه بدراً ومن حُبِس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة منهم من بني عبـد شمس بن عبد مَنـاف بن قُصَيّ: عثمان بن عفّـان بن أبي العـاص ابن أُمَيّة بن عبد شمس معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو حُـذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وامرأته سهلة بنت سهيل.

ومن حلفائهم: عبدالله بن جحش بن رئاب.

ومن بني نوفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غزوان، حليف لهم، من قيس عيلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُـزَّى بن قُصَيّ: الزبيـر بن العَوّام بن خُـويلد ابن أسد.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦٢/١٦، السيرة لابن كثير ٥٦/٢، سبل الهدى ٥١٧/٢.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف؛ وسُوَيبِط بن سعد بن حرملة.

ومن بني عبد بن قُصَيّ: طُليب بن عُمير بن وهْب بن عبد.

ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، والمقداد بن عمرو، حليف لهم؛ وعبدالله بن مسعود، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أُميَّة بن المغيرة؛ وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن سُويد بن هرميّ بن عامر بن مخزوم. وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمّه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأُحُد والخندق، وعيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولَحِق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأُحُد والخندق.

ومن حلفائهم. عمّار بن ياسر، يُشَكّ فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومعتِّب بن عوف بن عامر من خُزاعة.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون ابن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمح. وابنه السّائب بن عثمان؛ وقُدامة ابن مظعون، وعبدالله بن مظعون.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: خُنيس بن حُذافة ابن قيس بن عدِيّ، وهشام بن العاص بن وائل، حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة حتى قدِم بعد بدر وأُحُد والخندق.

ومن بني عديّ بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف لهم، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن حُذافة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: عبدالله بن مخرمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس. وعبدالله بن سهيل بن عمرو، وكان حُبس عن رسول الله - ﷺ - حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله - ﷺ - فشهد معه بدراً؛ وأبو سبرة بن أبي رُهم بن عبد العُزَّى، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو؛ والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سوْدة بنت زَمعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، فخلف رسول الله - ﷺ - على امرأته سودة بنت زَمعة.

ومن حلفائهم: سعد بن خَولة.

ومن بني الحارث بن فِهر: أبو عُبيدة بن الجّراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجّراح؛ وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد؛ وسُهيل ابن بيضاء، وهو سُهيل بن وهْب بن ربيعة بن هلال؛ وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدِم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً.

فكان من دخل منهم بجوار، فيمن سُمِّي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجُمَحيّ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، دخل بجوارٍ من أبي طالب ابن عبد المطلب وكان خاله. وأم أبي سَلَمة: بَرَّة بنت عبدالمطلّب.

عثمان بن مظعون يردّ جوار الوليد

قال ابن إسحاق: فأما عثمان بن مظعون، فإنّ صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف حدّثني، عمّن حدّثه، عن عثمان، قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله - ﷺ - من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمانٍ من الوليد بن المغيرة، **قال**: والله إنّ غُدُوّي ورَواحي آمناً

بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لَنَقْصٌ كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفتْ ذِمّتك، قد رددت إليك جوارك؛ فقال له: يا ابن أخي لعلّه آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكنّي أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟ قال: فانْطَلِق إلى المسجد، فاردد عليّ جِواري علانية كما أجرْتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردّ عليّ جِواري، قال: صدق، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار، ولكنّي قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليهِ جواره[1]، ثم انصرف عثمان، ولَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فَقال لَبِيد:

أَلا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ[2]

قال عثمان: صدقتَ. قال لَبِيد:

وكُلُّ نعيمٍ لا محالَة زائلُ

قال عثمان: كذبت، نعيم الجنّة لا يزول. قال لَبِيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذَى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من

---

(١) الخبر في دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٦٢، وتاريخ الإسلام (السيرة) ١٨٨، ونهاية الأرب ١٦/٢٦٤.

(٢) روى أبو داود قال: جاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فجعل يتكلم بكلام، فقال: «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً» (رقم ٥٠١١) في الأدب، باب: ما جاء في الشعر، وهو حديث صحيح، وأخرجه الترمذي (رقم ٢٨٤٨) في الأدب، باب: ما جاء إنّ من الشعر حكمة. وفي رواية الترمذي: أشعرُ كلمة تكلّمت بها العرب كلمة لَبِيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل (رقم ٢٨٥٣) في الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر. ورواه البخاري.

أما بيت الشعر فهو للبيد بن ربيعة أحد شعراء الجاهلية والمخضرمين ممّن أدرك الإسلام، ويقال إنه عُمِّر مائة وخمساً وأربعين سنة. راجع المناسبة للبيت في: الأغاني ١٥/٣٧٥، حلية الأولياء ٧/٢٦٩ و٨/٣٠٩، وتاريخ بغداد ٣/٩٨ و٤/٢٥٤ و٨/١٨، والشعر والشعراء ١/١٩٩، وديوان لبيد ٢٥٤، والمعمَّرين للسجستاني ٦٢، وطبقات ابن سلام ١١٣، ومعجم الشيوخ لابن جميع (بتحقيقنا) ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٥/٢٨٨، وشرح شواهد المغني، ٥٦، وخزانة الأدب للبغدادي ١/٣٣٧.

القوم: إنّ هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا دِيننا، فلا تجدنّ في نفسك من قوله؛ فردّ عليه عثمان حتى شرى[1] أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لَغَنِيّة، لقد كانت في ذِمّة منيعة. قال: يقول عثمان: بل والله إنّ عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإنّي لَفي جوارِ من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس؛ فقال له الوليد: هلُمَّ يا بن أخي، إن شئت فعد إلى جِوارك؛ فقالا: لا.

أبو سَلَمَة في جوار أبي طالب. **قال ابن إسحاق:** وأما أبو سَلَمَة بن عبد الأسد، فحدّثني أبي إسحاق بن يَسَار، عن سَلمة بن عبدالله بن عمر ابن أبي سلمة أنه حدّثه: أنّ أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعت منّا ابن أخيك محمداً، فمالَك ولصاحبنا تمنعه منّا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي؛ فقام أبو لَهَب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جِواره من بين قومه، والله لَتَنْتَهُنَّ عنه أو لنقومنّ معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة، وكان لهم وليّاً وناصراً على رسول الله ـ ﷺ ـ، فأبقَوا على ذلك. فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال أبو طالب يحرّض أبا لهب على نُصرته ونُصرة رسول الله ـ ﷺ ـ:

وإنّ امْرءاً أبو عُتَيبَة عمُّه ... لفي رَوْضَة ما إنْ يُسامُ المظالما
أقول له، وأين منه[2] نصيحتي ... أبا مُعْتب ثبِّت سوادَك[3] قائما

---

(١) شرى: كثر وزاد.
(٢) في السير والمغازي «مني».
(٣) سوادك: شخصك.

ولا تَقبلنّ الدَّهرَ ما عشتَ خُطَّةً تُسَبّ بها إمّا[1] هبطتَ المواسما
وولّ سبيل العَجْز غيرَك منهمُ فإنّك لم تُخْلَق[2] على العَجْز لازما
وحاربْ فإنّ الحرب نُصْفٌ[3] وما[4] ترى أخاالحرب يُعطَى الخَسف حتى يُسالما[5]
وكيف لم يَجْنُوا عليك عظيمةً ولم يخذلوك غانماً أو مُغارِما
جزى الله عنّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً وتَيْما ومخزوماً عُقوقا ومَأثما
بتفْريقهم من بعد وُدٍّ وأُلْفةٍ جماعتَنا كيما يَنالوا المَحارِما
كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً ولمّا تَرَوا يوما لدى الشِّعب قائما

قال ابن هشام: نُبْزَى: نُسلب. قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

دخول أبي بكر في جِوار ابن الدَّغِنة ثم ردّه عليه

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، كما حدّثني محمد بن مسلم الزُّهْريّ، عن عُروة، عن عائشة رضي الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تَظاهر قريش على رسول الله - ﷺ - وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله - ﷺ - في الهجرة، فأذِن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين، لقيه ابن الدَّغِنَة، أخو بني عبد مَناة بن كِنانة، وهو يومئذ سيّد الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة، والهون بن خُزيمة بن مُدركة، وبنو المصطلق من خُزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسُمُّوا الأحابيش للحلف.

ويقال: ابن الدُّغينة.

---

(١) في السير «لما».
(٢) في السير «تلحق».
(٣) النصف: الإنصاف.
(٤) في السير «ولن».
(٥) في السير: «أخا الحرب يعطي الضيم إلا مسالماً».

قال ابن إسحاق: حدّثني الزُهْري، عن عُروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقال ابن الدَّغِنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيَّقوا عليّ؛ قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم[1]، ارجع فأنت في جِواري. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدّغِنَة فقال: يا معشر قريش، إنّي قد أجرت ابن أبي قُحافة، فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير. قالت: فكفّوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلّي فيه، وكان رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء، يُعجبون لما يروْن من هيئته. قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدَغِنَة، فقالوا: يا ابن الدَغِنَة، إنك تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا! إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمد يرقّ ويبكي، وكانت له هيئة ونحو، فنحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتنا أن يفتنهم، فأتِه فمُرْه أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدَّغِنَة إليه، فقال له: يا أبا بكر، إنّي لم أُجِرْك لتؤذي قومك، إنّهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه وتأذّوا بذلك منك، فادخل بيتك، فاصنع فيه ما أحببت قال: أوَ أردّ عليك جِوارك وأرضى بجوار الله؟ قال فاردد عليّ جواري، قال: قد رددته عليك قالت: فقام ابن الدَّغِنَة، فقال: يا معشر قريش، إنّ ابن أبي قُحافة قد ردّ عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم ابن محمد، قال: لقِيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحثا

---

(١) أي تكسب غيرَك ما هو معدوم عنده.

(٢) هذا الخبر له رواية في صحيح البخاري، في مناقب الأنصار (٤/٢٥٤ ـ ٢٥٦) باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه الى المدينة، وفي دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢/١١١، ١١٢، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٣١٨، ٣١٩، ونهاية الأرب ١٦/٢٧٥، ٢٧٦، والسيرة لابن كثير ٢/٦٣ ـ ٦٤.

على رأسه تراباً. قال: فمرّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل. قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك. قال: وهو يقول: أي ربّ، ما أحلمك! أي ربّ ما أحلمك! أي ربّ، ما أحلمك!.

حديث نقْض الصحيفة[1]

قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطّلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطّلب نفر من قريش، ولم يُبلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن جُذيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مَناف لأمّه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطّلب في الشِعْب ليلاً، قد أوقره طعاماً حتى إذا أقبل به فم الشِعْب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فيدخل الشِعبَ عليهم ثم يأتي به قد أوقره بَزّاً أو بُرّاً، فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطّلب، فقال: يا

(١) السير والمغازي ١٦٥، تاريخ الطبري ٢/٣٤٠، نهاية الأرب ١٦/٢٦٠، الطبقات الكبرى ١/٢٠٩، المغازي لعروة ١١٥، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٨٢، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣٦٠، الكامل في التاريخ ٢/٨٨، عيون التواريخ ١/٧٩، ٨٠، سيرة ابن كثير ٢/٦٦، سبل الهدى ٢/٥٤٣.

زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت، لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إنّي أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحَكَم بن هشام، ثم دَعَوْتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً، قال: ويْحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنّما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقْضها حتى أنقضها، قال: قد وجدت رجلاً قال: فمن هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أبغِنا رجلاً ثالثاً.

فذهب إلى المطعِم بن عَدِيّ، فقال له: يا مُطعِم أقد رضيت أن يهلك بطنانِ من بني عبد مَناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً، قال ويحك! فماذا أصنع؟ إنّما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أبغِنا ثالثاً، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أُميّة، قال أبغِنا رابعاً.

فذهب إلى البَخْتَرِيّ بن هشام، فقال له نحْواً مما قال للمطعِم بن عَدِيّ، فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أُميّة، والمطعِم بن عديّ، وأنا معك، قال أبْغِنا خامساً.

فذهب إلى زَمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، فكلّمه، وذكر له قرابتهم وحقّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم؛ ثم سمّى له القوم.

فاتّعدوا خطم الحجون(١) ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم، فأكون أول من يتكلّم. فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنديتهم، وغدا زهير ابن أميّة عليه حلّة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل

(١) الخطْم: المقدّمة. والحَجُون: موضع بأعلى مكة.

مكـة، إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنـو هـاشم هَلْكى لا يبـاع ولا يبتـاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تُشَقّ، قال زَمعَة ابن الأسـود: أنت والله أكـذب، مـا رضينـا كتـابهـا حيث كتبت. قـال أبـو البَخْتَرِي: صدق زَمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقرّ به، قـال المطعِم بن عدِيّ: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كُتِب فيها، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. فقال أبـو جهل: هـذا أمر قُضي بليـل، تُشُـووِرَ فيه بغيـر هذا المكـان. وأبو طـالب جالس في نـاحية المسجـد، فقام المـطعِم إلى الصحيفة ليشقّهـا، فـوجـد الأَرَضَـة قـد أكلتهـا، إلاّ «بـاسمـك اللهمّ».

وكان كاتب الصحيفة منصور[1] بن عِكْرمة. فُشلَّت يده فيما يزعمون[2].

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أنّ رسـول الله ـ ﷺ ـ قال لأبي طالب: «يا عمّ، إنّ ربّي الله قد سلّط الأَرَضَة على صحيفةِ قريش، فلم تـدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظّلم والقطيعـة والبهتان»، فقـال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: فوالله ما يدخل عليك أحـد، ثم خرج إلى قريش، فقال: يـا معشر قـريش، إنّ ابن أخي أخبرني بكـذا وكذا، فهلُمّ صحيفتَكم، فإنْ كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عمَّا فيها، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي. فقـال القوم: رضينـا. . فتعاقـدوا على ذلـك. ثم نظروا. فـإذا هي كما قـال رسول الله ـ ﷺ ـ. فـزادهم ذلك شـرّاً.

---

(١) وللنُّساب من قريش في كـاتب الصحيفة هـو: بغيض بن عامـر بن هـاشم بن عبد الدار، والقول الثاني: أنـه منصور بن عبـد شُرَحْبيـل بن هاشم من بني عبد الدار أيضاً ـ (الروض الأنف ٢/١٢٧).

(٢) الخبـر في السير والمغـازي ١٦٥ ـ ١٦٧، وتاريـخ الطبـري ٢/٣٤١ ـ ٣٤٣، والكـامـل في التاريخ ٢/٨٨، ٨٩، ونهاية الأرب ١٦/٢٦٠ ـ ٢٦٢، وعيون التواريخ ١/٧٩، ٨٠، وانظر طبقات ابن سعد ١/٢٠٨، ٢٠٩.

فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا[1].

قال ابن إسحاق: فلما مُزِّقت الصحيفة وبُطِل ما فيها. قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بَحْرِيِّنا[2] صُنْعُ ربّنا[3] ... على نَأْيِهم والله بالنّاس أرْوَدُ[4]

فيُخبِرَهُم أنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه الله مُفْسَد

تَرَاوحَها إفْكٌ[5] وسِحْر مجمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْر آخرَ الدهر يَصْعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقرٍ[6] ... فَطائرُها في رأسِها[7] يتردّد

وكان كِفاءً رَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقلَّد[8]

ويَظْعن أهلُ المكَّتَين[9] فيهربوا ... فرائصُهم من خشية الشرِّ[10] تُرْعَد

ويُتْرَك حَرّاثٌ[11] يقلِّبُ أمرَه ... أيُتْهِمُ فيهم عند ذاك ويُنْجِد[12]

وتَصعد بين الأخشَبَين كَتيبةٌ ... لها حُدُجٌ[13] سَهْمٌ وقوس ومرهد[14]

---

(١) أنظر: المغازي لعروة ١١٥، والطبقات الكبرى ١/٢١٠، وعيون الأثر ١/١٢٧، ١٢٨، وعيون التواريخ ١/٨٠، ٨١، وسيرة ابن كثير ٢/٦٩.

(٢) يعني بالبحريّ الذين كانوا بأرض الحبشة وركبوا البحر إليها.

(٣) في السير والمغازي «ألا هل أتى الأعداء رأفة ربّنا».

(٤) الأروَد: الأرفق.

(٥) في السير: «تداعى لها إفك».

(٦) القرقر: الذليل، السهل اللين. وفي السير والمغازي «بقربة».

(٧) في السير والمغازي «وسطها».

(٨) المقلد: العنق. وفي السير والمغازي:

ألم تك حقاً وقعة صيلمية ... ليقطع فيها ساعد ومقلد

(٩) في السير والمغازي «ماكثون».

(١٠) في السير والمغازي «الموت».

(١١) الحرّاث: المكتسب.

(١٢) أيُتْهِم: بمعنى أتهم، أي أتى تِهامة، وهي ما انخفض عن أرض الحجاز إلى البحر، وأنجد: أتى نجداً، وهي ما ارتفع عن أرض الحجاز إلى الشرق.

(١٣) حُدُج: بضمّتين، جمع حِدْج، بالكسر، وهو الحمل (بالكسر)، أي أن يقوم مقام الحِمل سهم وقوس ومرهد. وقيل هو من الحدج بمعنى الحسك، فجعل السهم وغيره كالحسك.

(١٤) المرهد: الناعم، أي السيف الناعم بارتوائه من الدماء.

فمن يَنْشَ من حضَّار مكة عزّه ... فعِزَّتُنا في بطن مكة أتْلَد

نشأنا بها والنّاس فيها قلائل ... فلم نَنْفك نزدادُ خيراً ونحمَد

ونُطعم حتى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المُفيضين[1] تُرعَد

جزى الله رهْطاً بالحَجُون تتابعوا[2] ... على ملأ يهدي لحزْم ويُرْشِد

قُعوداً لدى خَطْم الحَجُون كأنهم ... مَقَاوِلةٌ[3] بل هم أعزّ وأمجد

أعان عليها كلُّ صقْرٍ كأنّه ... إذا ما مشى في رَفْرَف الدّرعِ أحْرد[4]

جريّ على جُلّى[5] الخطوب كأنّه ... شهاب بكَفَّي قابِسٍ يَتوقَّد

من الأكرمين من لُؤَيّ بن غالب ... إذا سِيم خَسْفاً وجهه يتربَّدُ

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ ... على وجهه يُسْقَى الغَمام ويُسْعَد

عظيم الرماد سيّد وابن سيِّدٍ ... يحُضّ على مَقْرَى الضيوف ويحْشِد

ويبني لأبناء العشيرة صالحاً ... إذا نحن طُفنا في البلاد ويُمْهَد

أَلَظَّ[6] بهذا الصُّلح كلّ مُبَرَّأ ... عظيم اللواء أمره ثم يُحمَد

قَضَوا ما قَضَوْا في ليلهم ثم أصبحوا ... على مَهَلٍ وسائرُ النّاس رُقَّد

همُ رجعوا سهلَ بنَ بَيضاء[7] راضيا ... وسُرَّ أبو بكرٍ بها ومحمَّد

متى شُرِّك الأقوامُ في جلّ أمرِنا ... وكنّا قديماً قبلها نُتَوَدَّد

وكنّا قديماً لا نُقرّ ظُلامةً ... ونُدرِك ما شئنا ولا نتشدّد

فيالَقُصَيٍّ هل لكم في نفوسِكم ... وهل لَكُم فيما يجيء به غد

فإنّي وإيّاكم كما قال قائلٌ ... لَدَيك البيانُ لو تكلّمت أسوَدُ[8]

---

(١) المفيضون: الضاربون بِقداح المَيْسر.

(٢) وفي رواية «تبايعوا»، وفي سيرة ابن كثير «تجمّعوا».

(٣) المَقاوِلة: الملوك.

(٤) رَفْرَف الدرع: ما فضل منه. والأحرد: بطيء المشي لِثقَل ما عليه من لباس الحرب.

(٥) الجُلّى: الأمر العظيم.

(٦) ألظَّ: ألحّ.

(٧) سهل هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبّة بن الحارث بن فهر، ويعرف بابن البيضاء، وهي أمّه، واسمها دعد بنت جحدم بن أميّة بن ضرب بن الحارث بن فهر.

(٨) أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يُعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، =

وقال حسّان بن ثابت يبكي المطعِم بن عدِيّ حين مات، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة:

أيا عين فابكي سيّدَ القومِ واسْفَحي ... بدمعٍ وإن أنزفتِهِ[1] فاسكُبي الدِّما
وبكّي عظيمَ المشعرَيْن كليهما ... على الناسِ معروفاً له ما تكلّما
فلو كان مجدٌ يُخلد الدَّهرَ واحداً ... من الناس، أبقى مجدُه اليومَ مُطعِما[2]
أجرْتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لَبَّى مُهِلّ وأحْرَما
فلو سُئلَتْ عنه مَعَدُّ بأسْرِها ... وقَحطانُ أو باقي بَقيّة جُرْهما
لقالوا هو المُوفي بخُفْرة[3] جارِه ... وذمَّته يوماً إذا ما تَذَمَّما[4]
فما تطلُع الشمسُ المُنيرة فوقَهم ... على مثله فيهم أعَزّ وأعْظَما
وآبَى إذا يأبى وأَلْيَنَ شِيمةً ... وأنْوَمَ عن جارٍ إذا الليلُ أظلمَا

قال ابن هشام: قوله «كليهما» عن غير ابن إسحاق:

قال ابن هشام: وأما قوله: «أجرت رسول الله منهم»، فإنّ رسول الله - ﷺ - لما أنصرف عن أهل الطائف، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من

= فذهبت مثلاً. (الروض الأنف ٢/١٢٩).

والأبيات في: سيرة ابن كثير ٢/٧٠، ٧١، وسبل الهدى ٢/٥٤٥، ٥٤٦، وفي السير والمغازي (٦) أبيات فقط.

(١) أنزفته: أنفدته.

(٢) قال السهيلي: هذا عند النحويين من أقبح الضرورة، لأنه قدّم الفاعل، وهو مضاف إلى ضمير المفعول، فصار في الضرورة مثل قوله:

جزى ربه عنّي عديّ بن حاتم

غير أنه في البيت أشبه قليلاً لتقدّم ذكر مطعِم، فكأنه قال: أبقى مجد هذا المذكور المتقدّم ذكره مطعماً، ووضع الظاهر موضع المضمر، كما لو قلت: إنّ زيداً ضربت جاريته زيداً، أي: ضربت جاريته إيّاه، ولا بأس بمثل هذا، ولا سيما إذا قصدت قصْد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح، كما قال الشاعر:

ومالي أن أكون أعيب يحيى ... ويحيى طاهر الأثواب بر

(الروض الأنف ٢/١٢٩، ١٣٠).

(٣) الخُفْرة: العهد.

(٤) تذمّم: طلب الذمّة، وهي العهد.

تصديقه ونُصرته، صار إلى حِراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شَرِيق ليُجِيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يُجير. فبعث إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إنّ بني عامر لا تُجير على بني كعب. فبعث إلى المطعِم بن عدِيّ فأجابه إلى ذلك، ثم تسلّح المطعِم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجدَ، ثم بعث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أن ادخُلْ، فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ، فطاف بالبيت وصلّى عنده، ثم انصرف إلى منزله. فذلك الذي يعني حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً: يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة:

هل يُوفينَّ بنو أُميَّة ذِمّةً ... عَقْداً كما أوفى جِوارُ هشامِ

من مَعْشَرٍ لا يَغْدِرون بجارهم ... للحارث بن حُبَيِّب بن سُخامِ[1]

وإذا بنو حِسْلٍ أجاروا ذِمَّةً ... أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلام

وكان هشام أحد سُحام.

قال ابن هشام: ويقال: سُخام.

إسلام الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسيّ[2]

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ، على ما يرى من قومه، يبذل

(١) قال السهيلي: هو حُبيب بالتخفيف تصغير حب، وجعله حسّان تصغير حبيّب، فشدّده، وليس هذا من باب الضرورة، إذ لا يسوغ أن يقال في فليس: فليّس، ولا في كليب: كليّب في شعرٍ ولا غيره، ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر، وهو حسن في الشعر، وسائغ في الكلام، وهشام بن عمرو هذا أسلم، وهو معدود في المؤلّفة قلوبهم، وكانوا أربعين رجلاً فيما ذكروا، (الروض الأنف ٢/١٣٠).

وقوله «ابن سخام» هو: اسم أمّه، وأكثر أهل النسب يقولون فيه: شحام بشين معجمة، وألفيت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة النسّابة وعوانة يقولون فيه: سخام بسين وخاء مهملتين، والذي في الأصل من قول ابن هشام: سخام بسين مهملة، وخاء معجمة. ولفظ شخام من شخم الطعام. وخشم إذا تغيّرت رائحته. قاله أبو حنيفة. (الروض الأنف ٢/١٣٠).

(٢) سيرة ابن كثير ٢/٧٢، عيون الأثر ١/١٣٩، سبل الهدى ٢/٥٤٨.

لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه. وجعلت قريش، حين منعه الله منهم، يحذّرونه الناسَ ومَن قدِم عليهم من العرب.

وكان الطُفَيل بن عمرو الدَّوْسيّ يحدّث: أنه قدِم مكَة ورسول الله - ﷺ - بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطُفَيل رجلًا شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طُفَيل، إنك قدمْتَ بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهُرنا قد أعضل بنا[1]، وقد فرّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنّما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلّمنّه ولا تسمعنّ منه شيئاً.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلّمه، حتى حشوت في أُذُنيّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[2] فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله - ﷺ - قائم يصلّي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلّا أن يُسمعني بعضَ قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً. قال: فقلت في نفسي: واثكْل أمّي، والله إنّي لَرجل لَبيب شاعر ما يخفى عليّ الحَسَنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإنْ كان الذي يأتي به حَسَنا قبِلْتُه، وإن كان قبيحاً تركتُه.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله - ﷺ - إلى بيته فاتّبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برِحوا يخوّفونني أمرك حتى سددت أُذُنيَّ بكرسفٍ لئلّا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولَك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرِضْ عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله - ﷺ - الإسلام، وتلا عليّ القرآن،

---

(١) أعضل: اشتدّ أمره.
(٢) الكرسف: القطن.

فلا والله ما سمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ، وقلت: يا نبيّ الله، إنّي امرؤ مُطاع في قومي وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: «اللهم اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنِيّة[1] تُطلعني على الحاضر[2] وقع نور بين عيني مثل المصباح؛ فقلت: اللهم في غير وجهي، إنّي أخشى أن يظنّوا أنها مُثلة وقعت في وجهي لفراقي دِينهم. قال: فتحوّل فوقع في رأس سَوْطي. قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلّق، وأنا أهبط إليهم من الثنِيّة، قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

إسلام والد الطفيل وزوجه: قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، قال: فقلت: إليك عنّي يا أبت، فلست منك ولست منّي؛ قال: ولِمَ يا بُنَيّ؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دِين محمد ﷺ؛ قال: أي بُنَيّ، فدِيني دِينك؛ قال: فقلت: فاذهب فاغتسِلْ وطَهِّرْ ثيابك، ثم تعال حتى أعلِّمك ما عُلِّمت. قال: فذهب فاغتسل، وطهّر ثيابه. قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليكِ عنّي، فلست منك ولست مِنّي؛ قالت: لِم؟ بأبي أنت وأمّي؛ قال: قلت: قد فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعتُ دِينَ محمد ﷺ؛ قالت: فدِيني دِينك؛ قال: قلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشَّرَى ـ قال ابن هشام: ويقال: حِمى ذي الشّرى ـ فتطهّري منه.

قال: وكان ذو الشَّرى صَنَما لدَوْس، وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْه له، وبه وشل[3] من ماء يهبط من جبل.

---

(١) الثنية: ما انفرج بين الجبلين.
(٢) الحاضر: القبيلة النازلة على الماء.
(٣) الوشل: الماء القليل.

قال: فقالت بأبي أنت وأميّ، أتخشى على الصبية من ذي الشَّرى شيئاً؟ قال: قلت: لا، أنا ضامن لذلك، فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت.

ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام، فأبطأوا عليّ، ثم جئت رسول الله - ﷺ - بمكة فقلت له: يا نبيّ الله، إنه قد غلبني على دَوْس الزنا[1]، فادع الله عليهم؛ فقال: «اللهم أهد دَوْساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». قال: فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ومضى بدر وأُحُد والخندق، ثم قدِمتُ على رسول الله - ﷺ - بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله - ﷺ - بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس، ثم لحِقْنا برسول الله - ﷺ - بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

ثم لم أزل مع رسول الله - ﷺ -، حتى إذا فتح الله عليه مكة، قال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفَّين، صنم عمرو بن حممة حتى أحرِّقه.

قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طُفَيل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكَفَيْنِ[2] لستُ من عِبادِكا ... ميلادُنا أقدم[3] من ميلادكا

إنّي حَشَوْتُ النارَ في فؤادكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله - ﷺ -، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله ﷺ. فلما ارتدّت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيحة، ومن أرض نجد كلّها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطُفَيل، فرأى رؤيا وهو متوجّه إلى اليمامة، فقال

---

(١) الزنا: لهو مع شغل القلب.

(٢) خفّف الكفَّين لضرورة الشعر.

(٣) في كتاب الأصنام للكلبي «أكبر».

لأصحابه: إنّي قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أنّ رأسي حُلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فَرْجها، وأرى ابني يطلبني حثيثاً، ثم رأيته حُبس عنّي؛ قالوا: خيراً؛ قال: أما أنا والله فقد أوّلتها؛ قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه؛ وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي؛ وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تحفر لي، فأغيَّب فيها؛ وأما طلب ابني إيّاي ثم حبْسه عنّي، فإنّي أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقُتل رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبلّ[1] منها، ثم قُتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيداً[2].

قصّة أعشى بني قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام: حدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسيّ وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم: أنّ أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكّابة ابن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ـ ﷺ ـ:

ألم تغتمِضْ عيناك ليلة أرمَدَا ... وبتَّ كما بات السَّليمُ مُسَهَّداً[3]

وما ذاك من عشقِ النّساء وإنّما ... تناسيتَ قبلَ اليوم خلّة[4] مهْددا[5]

ولكن أرى الدَّهرَ الذي هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفَّاي عاد فأفْسدا

كهولاً وشُبّاناً فقدتُ وثروةً ... فلله هذا الدَّهرُ كيف تردّدا

وما زلتُ أبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شِبْت وأمردا

---

(١) استبلّ: شفي.

(٢) أنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥/٢٢٤ عن ابن اسحاق عن عثمان بن الحويرث عن صالح بن كيسان، وطبقات ابن سعد ٤/١/١٧٥، وسير أعلام النبلاء ١/٣٤٥.

(٣) الأرمد من يشتكي الرمد. والسليم: الملدوغ، والمُسَهَّد: الذي مُنع من النوم.

(٤) وفي رواية: «صحبة».

(٥) مهدد: اسم امرأة.

وأبْتَذل العِيس المَرَاقيل تَغْتلي ... مسافةَ ما بين النُّجَيْر فصَرْخدا[1]

ألا أيُّهذا السائِلي أين يَمَّمَتْ ... فإنّ لها في أهلِ يثْرِبَ موعدا

فإنْ تسألي عنّي فيا رُبَّ سائلٍ ... حَفيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا[2]

أجدَّت برجلَيها النَّجاءَ وراجعتْ ... يداها خِنافاً ليِّناً غيرَ أحْردا[3]

وفيها إذا ما هجَّرت عَجْرفيّةٌ ... إذا خِلْت حِرباء الظَّهيرة أصْيَدا[4]

فآليت لا أرثي[5] لها من كَلالة ... ولا من حَفىً حتى تلاقي محمداً

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم ... تُراحى وتَلْقَى من فَواضله نَدَى

نبيًّا يَرَى ما لا ترون وذكرُهُ ... أغار[6] لَعَمْري في البلاد وأنْجَدا[7]

له صدقاتٌ ما تُغِبّ ونائِلٌ ... وليس عطاء اليوم مانعَهُ غدا

أجِدُّكَ لم تسمَعْ وَصَاةَ محمد ... نبيِّ الإله حيث أوصَى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التُّقَى ... ولاقيْتَ بعد الموت مَن قد تَزوّدا

ندمتَ على أن لا تكون كمثلِه ... فتُرْصِد[8] للموت[9] الذي كان أرصدا

فإيّاك والمَيْتاتِ لا تقربَنّها ... ولا تأخذَنْ سهماً حديداً لتُفْصِدا

ولا النُّصَبَ المنصوبَ لا تنسكُنَّه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبُدا[10]

---

(١) العِيس: نوع من الإبل البيض التي تخالطها حُمرة. والمراقيل: السريعة. وتغتلي: تتسابق. والنجير والصرخد: مكانان بعينهما.

(٢) أصعد: ذهب.

(٣) النجاء: ضرب من السرعة. والخناف: لوى يديها في السير نشاطاً والأجرد: الذي يبطيء في السير.

(٤) هجّرت: مشت في الهاجرة وهي الظهيرة، والعجرفيّة: التي لا تهاب شيئاً. والحرباء: دُويبة يدور وجهها مع الشمس إذا دارت. والأصيد: المائل العنق.

(٥) أرثي: أشفق. وفي رواية «آوي».

(٦) أغار: بلغ الغور، وهو ما انخفض من الأرض.

(٧) أنجدا: بلغ النجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٨) أرصد: أعد.

(٩) وفي رواية «للأمر».

(١٠) وقف على النون الخفيفة بالألِف ولذلك كتبت في الخط بالألف لأنّ الوقف عليها بالألِف، وقيل إنه لم يرد النون الخفيفة، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين. (الروض الأنف ١٣٨/٢).

ولا تَـقْـرَبَـنّ حُـرَّةً كـان سِـرُّهـا عليكَ حراماً فـانكَحَنْ أو تـأبّـدا[1]
وذا الـرَّحِم القُـربى فـلا تَقْـطَعَنَّـه لـعـاقبـة ولا الأسيـر الـمُـقَـيَّـدا
وسبِّح على حينِ العشيّات والضُّحى ولا تحمَـد الشيـطانَ والله فـاحمَـدا
ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَراوةٍ[2] ولا تَحْسَبَنّ المـالَ للمَـرْءِ مُخْلِدا[3]

نهاية الأعشى: فلما كان بمكة أو قريباً منها، اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ـ ﷺ ـ ليُسْلم، فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرّم الزّنا؛ فقال الأعشى: والله إنّ ذلك لأمر مالي فيه من أرَب؛ فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرّم الخمر؛ فقال الأعشى: أما هذه فوالله إنّ في النفس منها لعُلالات، ولكنّي منصرِف فأتروّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأسْلم[4]. فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ـ ﷺ ـ.

أبو جهل يذلّ للرسول: **قال ابن إسحاق**: وقد كان عدوّ الله أبو جهل ابن هشام مع عداوته لرسول الله ـ ﷺ ـ وبُغضه إيّاه، وشدّته عليه، يذلّه الله له إذا رآه.

---

(١) تأبّد: بعد عن النساء.
(٢) ضرارة: ضرورة.
(٣) أنظر الأبيات في شرح قصيدة الأعشى ـ مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم ١٧٣٦ أدب، وشرح السيرة لأبي ذر ١١٠، وعيون التواريخ ١/٨١ ـ ٨٣، وسيرة ابن كثير ٢/٧٩، ٨٠.
(٤) قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله: فإنّ الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلاّ بالمدينة بعد أن مضت بدر وأُحُد، وحُرِّمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل، وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها، وغنّته القينتان: ألا يا حمز، للشرف النواء، فبقر خواصر الشارفين، واجتب أسنِمَتَها فإن صحّ خبر الأعشى، وما ذُكر له من الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمت أنه يحرّم الخمر، من المنافقين، أو من اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ما يدلّ على هذا قوله: فإنّ لها من أهل يثرب موعداً، وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي عُبيدة قال: لقي الأعشى عامر بن الطُفيل في بلاد قيس، وهو مُقبل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فذكر له أنه يحرّم الخمر، فرجع، فهذا أوْلَى بالصواب. (الروض الأنف ٢/١٣٦).

أبو جهل والإراشي

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالملك بن عبدالله بن أبي سفيان الثقفي، وكان واعية، قال: قدِم رجل من إراش - قال ابن هشام: ويقال إراشة - بإبلٍ له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها. فأقبل الإراشيّ حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله - ﷺ - في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤدّيني[1] على أبي الحَكَم بن هشام فإنّي رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقّي؟ قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله - ﷺ -، وهم يهزءون به لِما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فإنّه يؤدّيك عليه.

فأقبل الإراشيّ حتى وقف على رسول الله - ﷺ - فقال: يا عبدالله إنّ أبا الحَكَم ابن هشام قد غلبني على حقٍّ لي قِبلَه، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدّيني عليه، يأخذ لي حقّي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقّي منه، يرحمك الله؛ قال: انطلِقْ إليه، وقام معه رسول الله - ﷺ -، فلما رأوه قام معه. قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول الله - ﷺ - حتى جاءه فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليّ، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة[2]، قد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقّه؛ قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل، فخرج إليه قال: ثم انصرف رسول الله - ﷺ - وقال للإراشيّ الحقْ بشأنك، فأقبل الإراشيّ حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقّي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويْحك! ماذا رأيت؟ قال:

---

(١) يؤدّيني: يساعدني على استرداد حقّي.

(٢) ليس فيه قطرة دم.

عجباً من العجب والله ما هـو إلا أن ضرب عليه بابـه، فخرج إليـه وما معـه روحه فقال لـه: أعط هذا حقّـه فقال: نعم، لا تبـرح حتى أُخْرِج إليـه حقّه، فدخل فخرج إليه بحقّه، فأعـطاه إيّاه. قـال: ثم لم يلبث أبو جهـل أن جاء، فقالوا: ويلك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطّ! قـال: ويحكم والله ما هو إلّا أن ضرب على بابي، وسمعت صوته، فملئت رعباً، ثم خـرجت إليه، وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هـامته، ولا قصـرته، ولا أنيـابه لفحل قطّ، والله لو أبيتُ لأكلني[1].

أمر رُكانة المطّلبيّ ومصارعته للنّبيّ صلى الله عليه وسلم[2]

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسَار، قال: كان رُكانـة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطّلب بن عبد مَناف أشدّ قريش؛ فخـلا يومـاً بـرسول الله ـ ﷺ ـ في بعض شِعـاب مكة، فقـال لـه رسـول الله ـ ﷺ ـ: «يـا رُكانة، ألا تتّقي الله وتقبل ما أدعوك إليه»؟ قـال: إنّي لو أعلم أنّ الـذي تقول حقّ لاتّبعتك؛ فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «أفرأيت إنْ صرعتـك، أتعلم أنّ ما أقـول حق»؟ قال: نعم، قـال: فقم حتى أصارعـك. قال: فقـام إليه رُكـانـة يصارعه؛ فلمـا بطش بـه رسول الله ـ ﷺ ـ أضجعـه، وهو لا يملك من نفسـه شيئاً، ثم قال: عـد يا محمـد، فعاد فصـرعه، فقـال ـ يا محمـد والله إنّ هذا للعجب أتصرعني؟! فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «وأعجب من ذلك إنْ شئت أن أريكـه، إن اتّقيتَ الله واتّبعت أمري»؛ قـال: ما هـو؟ قال: «أدعـو لـك هـذه الشجرة التي ترى فتـأتيني»؛ قال: ادعهـا، فدعـاها، فـأقبلت حتى وقفت بين يـدي رسـول الله ـ ﷺ ـ. قـال: فقـال لهـا: «ارجعي إلى مكـانـك». قـال: فرجعت إلى مكانها[3].

---

(١) سبل الهدى ٢/٥٥١، ٥٥٢.

(٢) السير والمغازي ٢٧٦، سيرة ابن كثير ٢/٨٢، أنساب الأشراف ١/١٥٥.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٥. رقم ٣٣٨، السير والمغازي ٨٢٧٦

قـال: فذهب رُكـانة إلى قـومـه فقـال: يـا بني عبـد مَنـاف، سـاحِـرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قطّ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع[1].

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق: ثم قدِم على رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو بمكة، عشـرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبـره من الحبشة، فـوجدوه في المسجـد، فجلسوا إليـه وكلّموه وسـألوه، ورجـال من قريش في أنـديتهم حول الكعبة؛ فلما فرغوا من مسألة رسول الله ـ ﷺ ـ عما أرادوا دعاهم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الله عزّ وجلّ وتـلا عليهم القرآن. فلمـا سمعوا القـرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصـدّقوه، وعـرفوا منـه ما كـان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفـر من قريش فقـالـوا لهم: خيّبكم الله من ركْب! بعثكم مَن وراءكم من أهل دِينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الـرجل، فلم تـطمئنّ مجالسكم عنـده، حتى فـارقتم دِينكم وصدّقتمـوه بما قـال، ما نعلم ركبـاً أحمق منكم. أو كمـا قالوا. فقـالوا لهم: سـلام عليكم، لا نجاهلكم، لنـا ما نحن عليـه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسَنا خيراً.

ويقـال: إنّ النفر من النصـارى من أهـل نجـران، فـالله أعلم أيّ ذلـك كان. فيقال ـ والله أعلم ـ فيهم نـزلت هؤلاء الآيات ﴿**ٱلَّـذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلكِتَـابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ، إِنَّهُ ٱلحَقُّ مِنْ رَبِّنَا، إِنَّا كُنَّـا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ**﴾ . . . إلى قولـه ﴿**لَنَـا أَعْمَـالُنَـا وَلَكُمْ أَعْمَـالُكُمْ، سَـلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلجَاهِلِينَ**﴾[2].

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٥٥ رقم ٣٣٧.

(٢) سورة القصص ـ الآيات من ٥٢ حتى ٥٥.

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابن شهاب الزُّهْريّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن، فقال لي: ما أسمع من علمائنا أنهنّ أُنزلن في النجاشيّ وأصحابه. والآية من سورة المائدة من قوله: ﴿ذٰلكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً، وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾... إلى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(١).

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خبّاب، وعمّار، وأبو فَكيهة يَسَار مولى صفْوان بن أُميّة بن محرِّث، وصُهَيْب، وأشباههم من المسلمين، هزئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحقّ! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصّهم الله به دوننا. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا، أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ. وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا، فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُم كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢).

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ كثيراً ما يجلس عند المَرْوَة إلى مبْيعة غلام نصرانيّ، يقال له: جبر، عبد لبني الحضرميّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلّا جبر النصرانيّ، غلام بني الحضْرميّ. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ. لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة ـ الآيتان ٨٢ و٨٣.

(٢) سورة الأنعام ـ الآيات ٥٢ ـ ٥٤.

(٣) سورة النحل ـ الآية ١٠٣.

قال ابن هشام: يُلْحِدون إليه: يميلون إليه. والإلحاد: المَيْل عن الحقّ.

قال رُؤبة بن العَجَّاج:

إذا تبع الضَّحّاك كل مُلحد

قال ابن هشام: يعني الضَّحّاك الخارجيّ، وهذا البيت في أرجوزة له.

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق: وكان العاص بن وائل السَّهْميّ ـ فيما بلغني ـ إذا ذُكر رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: دعوه فإنّما هو رجل أبتر لا عقِب له، لو مات لانْقَطَعَ ذِكْره واسترحْتُم منه، فأنزل الله في ذلك: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثر**﴾[1] ما هو خير لك من الدنيا وما فيها. والكوثر: العظيم.

معنى الكوثر: **قال ابن إسحاق**: قال لَبِيد بن ربيعة الكلابيّ:

وَصَاحبُ مَلحُوبٍ[2] فُجِعْنَا بِيومِهِ وعند الرّداع بيتُ آخرَ كَوْثَر

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له. وصاحب ملحوب: عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كِلاب، مات بملحوب. وقوله: «وعند الرداع بيت آخر كوثر»: يعني شريح بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب، مات بالرداع. وكوثرُ: أراد: الكثير. ولفظه مشتقّ من لفظ الكثير. قال الكُمَيْت ابن زيد يمدح هشام بن عبدالملك بن مروان:

وأنت كثيرٌ بابن مَرْوان طَيِّب وكان أبوك ابنُ العقائل كَوْثَرا

---

(١) سورة الكوثر ـ الآية ١.

(٢) ملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمة، وقيل قرية لبني عبدالله بن الدئل بن حنيفة باليمامة. (معجم البلدان ٥/١٩١).

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال أُميّة بن أبي عائذ الهُذليّ يصف حمار وحش:

يُحامي الحقيقَ إذا ما احتدمْن وحَمْحَمْنَ في كوثر كالجِلال[1]

يعني بالكوثر: الغبار الكثير، شبّهه لكثرته عليه بالجِلال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: حدّثني جعفر بن عمرو - قال ابن هشام: هو جعفر ابن عمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ - عن عبدالله بن مسلم أخي محمد بن مسلم ابن شهاب الزُهْري، عن أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله - ﷺ -، وقيل له: يا رسول الله، ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال: نهر كما بين صنعاء إلى أَيْلة، آنِيته كعدد نجوم السماء، تردُه طيور لها أعناق كأعناق الإبل. قال. يقول عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لنَاعمة؛ قال: آكِلُها أنعمُ منها.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال ﷺ: «من شرب منه لا يظمأ أبداً».

نزول «وقالوا لَوْلا نُزِّل عليه مَلَكٌ»

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله - ﷺ - قومه إلى الإسلام، وكلّمهم فأبلغ إليهم، فقال زَمعة بن الأسود، والنضْر بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، وأبيّ بن خَلَف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد مَلك يحدّث عنك الناس ويُرى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً، وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾**[2].

---

(١) الحقيق: ما يجب أن يحميه الإنسان، ويريد هنا حماية أتنه، والاحتدام: سرعة الجري. والجلال: ما تلبسه الدواب لحمايتها.

(٢) سورة الأنعام - الآيتان ٨ و ٩.

نزول «ولقد اسْتُهْزِيءِ برُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ»

قـال ابن إسحـاق: ومـرّ رسـول الله ـ ﷺ ـ فيمـا بلغني ـ بـالـوليـد بن المغيـرة، وأُميّة بن خَلَف وبـأبي جهـل بن هشـام، فهمـزوه واستهـزءوا بـه، فغاظه ذلـك. فأنـزل الله تعالى عليـه في ذلك من أمـرهم: ﴿**وَلَقَدْ اسْتُهْـزِيءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ١٠.

ذِكْر الإسراء والمعراج[1]

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي قال: ثم أُسري برسول الله ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ، عن عبدالله بن مسعود، وأبي سعيد الخُدْرِيّ، وعائشة زوْج النبيّ ﷺ، ومعاوية ابن أبي سُفيان، والحسن بن أبي الحَسَن البصْريّ، وابن شهاب الزُهْريّ، وقَتَادة وغيرهم من أهلِ العلم وأم هانيء بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدّث عنه بعض ما ذُكر من أمره حين أُسرِي به ﷺ، وكان في مسراه، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله عزَّ وجلّ في قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولي الألباب، وهدًى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق،

---

(١) السير والمغازي ٢٩٥، الطبقات الكبرى ١/٢١٣، البدء والتاريخ ٤/١٥٩، أنساب الأشراف ١/٢٥٥، المغازي لعروة ١٢٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٤١، نهاية الأرب ١٦/٢٨٣، الشفاء للقاضي عياض ١/١٤١، دلائل النبوّة ١/١٩٦، عيون الأثر ١/١٤٠، سيرة ابن كثير ٢/٩٣، عيون التواريخ ١/٤٥، تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٨٣، سبل الهدى ٢/١٣.

وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريَه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد.

رواية ابن مسعود عن الاسراء: فكان عبدالله بن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول:

أُتي رسول الله - ﷺ - بالبُراق - وهي الدّابّة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في منتهى طرفها - فحُمل عليها، ثم خرج به صاحبه، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له، فصلّى بهم. ثم أُتي بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال: فقال رسول الله - ﷺ -: فسمعت قائلاً يقول حين عُرِضت عليّ: إنْ أخذ الماء غرق وغرقت أمّته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمّته، وإن أخذ اللبن هُدِيَ وَهُدِيت أمّته. قال: فأخذت إناء اللبن، فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديت وهُدِيت أمّتك يا محمد[1].

رواية الحسن: قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: بينا أنا نائم في الحِجْر، إذ جاءني جبريل، فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست، فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضُدي، فقمت معه، فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابّة أبيض[2]، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز[3] بهما

---

(١) رواية ابن مسعود أخرجها البخاري في كتاب الأشربة (٦/ ٢٤٠، ٢٤١) وفي تفسير سورة الإسراء (٥/ ٢٢٤) باب قوله أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام. ومسلم في كتاب الإيمان (١٦٨) باب بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -.

(٢) أي أبيض اللون، والتذكير باعتبار المركوب كما في «إرشاد الساري لشرح البخاري».

(٣) الحفز: الدفع.

رِجْله، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

رواية قَتادة: قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن قَتادة أنه قال: حُدِّثت أنّ رسول الله - ﷺ - قال: لما دنوت منه لأركبه شمس[1]، فوضع جبريل يده على معرفته، ثم قال: ألا تستحي يا براق[2] مما تصنع، فوالله ما ركبك عبدُ لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحيا حتى ارفضّ[3] عرقاً، ثم قرّ حتى ركبته.

عَوْد إلى رواية الحسن: قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله - ﷺ -، ومضى جبريل عليه السلام معه، حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأَمَّهم رسول الله - ﷺ - فصلّى بهم، ثم أُتي بإناءين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن. قال: فأخذ رسول الله - ﷺ - إناء اللبن، فشرب منه، وترك إناء الخمر. قال: فقال له جبريل: هُدِيت للفِطرة، وهُديت أمّتك يا محمد، وحُرّمت عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس: هذا والله الإمر[4] البيِّن، والله إنّ العير لتَطَّرِد شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة، وشهراً مُقبِلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة؟! قال: فارتدّ كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة. قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه؛ فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدّث به الناس؛ فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أنّ الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليل أو

---

(١) شمس: حرن.

(٢) وإنما نفر لبُعد عهد البُراق بركوب الأنبياء.

(٣) ارفضّ: سال.

(٤) الإمر: العجيب.

نهار فأصدّقه، فهـذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسـول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا نبيّ الله. أحدَّثت هؤلاء القوم أنـك جئت بيتَ المقدس هـذه الليلة؟ قال: نعم؛ قـال: يا نبيّ الله، فصفـه لي، فإنّي قـد جئته ـ قـال الحسن: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فـرُفع لي حتى نـظرت إليه ـ فجعـل رسول الله ـ ﷺ ـ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلّمـا وصف له منه شيئاً، قـال: صدقت، أشهـد أنّـك رسـول الله، حتى إذا انتهى، قـال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكـر: وأنت يا أبـا بكر الصِّـدِّيق؛ فيومئـذ سمّاه الصِّدِّيق.

قـال الحسن: وأنزل الله تعـالى فيمن ارتدّ عن إسـلامه لـذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ، وَٱلشَّجَرَةَ ٱلمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ، وَنُخَوِّفُهُمْ، فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[1].

فهـذا حديث الحَسَن عن مسـرَى رسول الله ـ ﷺ ـ. ومـا دخل فيـه من حديث قَتادة.

رواية عائشة: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني بعض آل أبي بكر: أنّ عائشة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ كـانت تقول: مـا فُقِـد جسـد رسـول الله ـ ﷺ ـ، ولكنّ الله أسرى بروحه.

رواية معاوية: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني يعقـوب بن عُتبة بن المغيـرة ابن الأخنس: أنّ معـاوية بن أبي سفيـان، كـان إذا سُئـل عن مسرى رسـول الله ـ ﷺ ـ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة.

الاسراء رؤيا: فلم ينكر ذلك من قولهما، لقول الحسن: إنّ هذه الآيـة نزلت في ذلك، قـول الله تبارك وتعـالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[1] ولقـول الله تعالى في الخبـر عن إبراهيم عليـه السلام إذ قـال

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية ٦٠.

(٢) سورة الصافات ـ الآية ١٠٢.

لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[٢] ثم مضى على ذلك. فعرفت أنّ الوحي من الله يأتي الأنبياءَ أيقاظاً ونياماً.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - يقول: «تنام عيناي وقلبي يقظان». والله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله، على أيّ حاليه كان: نائماً، أو يقظان، كل ذلك حقّ وصدْق.

وصْف إبراهيم وموسى وعيسى: **قال ابن إسحاق**: وزعم الزُّهْريّ عن سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله - ﷺ - وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيم، فلم أر رجلاً أشبه قطّ بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ وأما موسى فرجل آدم طويل ضَرْب جَعْدٌ أقْنى[١]، كأنه من رجال شَنُوءَة[٢]؛ وأما عيسى بن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سبط الشعر، كثير خيلان[٣] الوجه، كأنه خرج من ديماس[٤]: تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ماء، أشبه رجالكم به عُروة بن مسعود الثقفي[٥].

عليّ يصف الرسول ﷺ: **قال ابن هشام**: وكانت صفة رسول الله - ﷺ - فيما ذكر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام، إذا نعت رسول الله - ﷺ - قال: لم يكن بالطويل الممغَّط[٦]: ولا القصير المتردّد، وكان رَبعةً من القوم، ولم يكن بالجَعْد القطط[٧] ولا بالسَّبَط؛ كان جعْداً رجْلاً[٨]؛ ولم

(١) الضرْب: خفيف اللحم، والجعد المتكسّر الشعر، والأقنى: المرتفع الأنف.
(٢) شنوءة: قبيلة.
(٣) الخيلان: الشامات السوداء.
(٤) الديماس: الحمّام.
(٥) أنظر: تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٤٥، ٢٤٦، عيون الأثر.
(٦) الممغّط: الممتدّ.
(٧) القطِط: الشديد خشونة الشعر.
(٨) رِجلاً: مسرَّح الشعر.

يكن بالمطهَّم[1] ولا المُكَلْثَم[2] [وكان في وجهه تدوير][3]؛ وكان أبيض مُشْرَباً [حمرة][4]: أدعج[5] العينين؛ أهدبَ الأشفار[6]: جليل المُشاش والكَتَد[7]؛ دقيق المَسْرُبة[8]: أجرد[9] شِثْن[10] الكفَّيْن والقدمين؛ إذا مشى تقلّع[11]: كأنّما يمشي في صَبَب؛ وإذا التفت التفت معاً؛ بين كتفيه خاتم النّبوَّة؛ وهو خاتم النبيِّين؛ أجْوَد النّاس كَفًّا، وأجرأ الناس صدْراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوْفى الناس ذمّة، وألْينهم عرِيكةً، وأكرمهم عِشْرةً، من رآه بَديهةً هابه، ومن خالطه أحبّه، يقول ناعتُهُ: لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ[12].

رواية أم هانيء عن الإسراء: قال محمد بن إسحاق: وكان فيما بلغني عن أمّ هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنها: واسمها هند؛ في مسرى رسول الله - ﷺ -: أنها كانت تقول: ما أُسرِي برسول الله - ﷺ - إلا وهو في بيتي، نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلّى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيل الفجر أَهَبَّنا[13] رسول الله - ﷺ -؛ فلما صلّى الصبح وصلّينا معه،

---

(١) المطَهَّم: كثير اللحم.

(٢) المكلثم: المستدير الوجه.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من الترمذي.

(٤) إضافة من الترمذي.

(٥) الدعج. سواد العيون.

(٦) أهدب الأشفار: طويلها.

(٧) المُشاش: عظام رؤوس المفاصل، والكتد: ما بين الكتفين.

(٨) المَسْرُبة: الشعر الممتدّ من الصدر إلى السُّرَّة.

(٩) الجرد: قلّة شَعْر الجسم.

(١٠) شِثْن: غليظ.

(١١) تقلّع: لم يثبّت قدميه.

(١٢) رواه الترمذي في المناقب (٣٧١٨) باب (٣٨) ما جاء في صفة النبيّ ﷺ، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، ورواه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٢٨٣/٣، وابن سعد في الطبقات ٤١١/١، ٤١٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٣٩١/١، ٣٩٢ رقم ٨٣٦، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨/٦، ٢٩، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣١٨/١، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١٥٣/١، ١٥٤، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٣٤.

(١٣) أيقظَنا.

قال: «يا أمّ هانيء، لقد صلّيت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيتَ المقدس فصلّيت فيه، ثم صلّيت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين»، ثم قام ليخرج، فأخذْتُ بطرف ردائه، فتكشّف عن بطنه كأنه قبطية[1] مطويّة، فقلت له: يا نبيّ الله: لا تحدّث بهذا الناس فيكذّبوك ويؤذوك؛ قال: والله لأحدّثنّهموه. قالت: فقلت لجارية لي حبشيّة: ويحكِ اتّبعي رسول الله - ﷺ - حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله - ﷺ - إلى الناس أخبرهم: فعجِبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قطّ؛ قال آية ذلك أنّي مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا: فأنفرهم حسّ الدّابة، فندّ لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا متوجّه إلى الشام. ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان[2] مررت بِعِير بني فلان؛ فوجدت القوم نيام: ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشيء؛ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه؛ ثم غطّيت عليه كما كان؛ وآية ذلك أنّ غيرهم الآن يصوّب[3] من البيضاء: ثنيّة التنعيم؛ يقدمها جمل أورق، عليه غرارتان: إحداهما سوداء، والأخرى برقاء. قالت: فابتدر القوم الثنيّة فلم يلقهم أول من الجمل[4] كما وصف لهم: وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطّوه، وأنّهم هبّوا فوجدوه مغطّى كما غطّوه، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة: فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وندّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه[5].

قصّة المعراج

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي سعيد الخُدْريّ رضي

---

(١) القبطية: ثياب تُنسج بمصر من الكتّان.
(٢) جبل يبعد عن مكة حوالى ٤٠ كيلو متراً.
(٣) يصوّب: ينزل. البيضاء: مكان قرب مكة.
(٤) أي كان الجمل المذكور أول ما لقيهم.
(٥) الحديث في: تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٤٥، ٢٤٦، عيون الأثر ١٤٢/١.

الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس، أُتي بالمعراج، ولم أر شيئاً قطّ أحسن منه: وهو الذي يمدّ إليه ميّتكم عينيه إذا حضر؛ فأصعدني صاحبي فيه؛ حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء، يقال له: باب الحَفَظَة، عليه مَلَك من الملائكة، يقال له: إسماعيل، تحت يديه إثنا عشر ألف مَلَك، تحت يدي كل مَلَك منهم اثنا عشر ألف مَلَك ـ قال: يقول رسول الله ـ ﷺ ـ حين حدّث بهذا الحديث: «وما يعلم جنودَ ربك إلّا هو» ـ فلما دُخل بي، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أَوَ قد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعا لي بخير: وقاله[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم، عمّن حدّثه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ، أنه قال: «تلقّتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني مَلَك إلّا ضاحكاً مستبشراً، يقول خيراً ويدعو به، حتى لقيني مَلَك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه البِشْرَ مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك، ولم أر منه من البِشْر مثل الذي رأيت من غيره؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنّه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك، لضحِك إليك، ولكنّه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فقلت لجبريل، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك، أرِ محمداً النار. قال: فكشف عنها غطاءها، فقال ففارت وارتفعت، حتى ظننت لتأخذنّ ما أرى. قال: فقلت لجبريل: يا جبريل، مره فليردّها إلى مكانها. قال: فأمره، فقال لها: اخبي، فرجعت إلى

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوّة ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٧٢ ـ ٢٧٥، والسيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ١٦٧ ـ١٦٩ وقال: إن الحديث في تفسير الطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

مكانها الذي خرجت منه. فما شبّهت رجوعها إلا وقوع الظّل. حتى إذا دخلت من حيث خرجت ردّ عليها غطاءها.

قال أبو سعيد الخُدْريّ في حديثه: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لما دخلت السماء الدنيا، رأيت بها رجلاً جالساً تُعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيراً ويُسَرّ به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيّب؛ ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أُفّ، ويعبس بوجهه ويقول: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال هذا أبوك آدم، تُعرض عليه أرواح ذرّيته، فإذا مرّت به روح المؤمن منهم سُرّ بها. وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب. وإذا مرّت به روح الكافر منهم أنِف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

قال: ثم رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل، في يديهم قِطع من نار كالأفهار، يقذفونها في أفواهِهم، فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً.

قال: ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قطّ بسبيل آل فرعون[1]، يمرّون عليهم كالإبل المهيومة[2] حين يُعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

قال: ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيّب، إلى جنبه لحم غثّ مُنتِن، يأكلون من الغثّ المنتن، ويتركون السمين الطيّب. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهنّ.

---

(١) وذلك أنّ آل فرعون أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة. يقول الله سبحانه وتعالى **﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلعَذَابِ﴾**.

(٢) المهيومة: العطاش.

قال: ثم رأيت نساء معلَّقات بثديهنّ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عمرو، عن القاسم بن محمد أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فأكل حرائبهم[1]، واطّلع على عوراتهم.

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخُدْريّ، قال: ثم أصعدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، قال: ثم أصعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال: ثم أصعدني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: من هو؟ قال: هذا إدريس ـ قال: يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: ورفعناه مكاناً عليّاً ـ قال: ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون[2]، لم أر كهلاً أجمل منه، قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبَّب في قومه هارون بن عمران. قال ثم أصعدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم[3] طويل أقنى[4]، كأنه من رجال شَنُوءَة؛ فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران. ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فاذا فيها كهل جالس على كرسيّ إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال هذا أبوك إبراهيم. قال: ثم دخل بي الجنة، فرأيت فيها جارية لعساء[5]

---

(١) الحرائب: الأموال.
(٢) عظيم اللحية.
(٣) الآدم: الأسود.
(٤) الأقنى: المرتفع قصبة الأنف.
(٥) اللعساء: من لها حُمرة في شفتيها تضرب إلى السواد.

فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها؛ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشّر بها رسول الله - ﷺ - زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق: ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، فيما بلغني: أنّ جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلاّ قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد؛ فيقولون: أَوَ قد بُعث إليه؟ فيقول: نعم؛ فيقولون: حيّاه الله من أخٍ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاةً في كل يوم.

قال رسول الله - ﷺ -: فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران، ونِعم الصاحب كان لكم، سألني كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إنّ الصلاة ثقيلة، وإنّ أمّتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفّف عنك وعن أمتك، فرجعت فسألت ربيّ أن يخفّف عنّي وعن أمّتي، فوضع عنّي عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربّي فوضع عني عشراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلّما رجعت إليه، قال: فارجع: فاسأل ربك، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنّي، إلاّ خمس صلوات في كّل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربّي وسألته، حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل.

فمن أدّاهن منكم إيماناً بهنّ، واحتساباً لهنّ، كان له أجر خمسين صلاة»[1].

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوّة ٢/ ١٣٠، ١٣١، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٨٧ - ٣٩١، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٧٢ - ٢٧٥، والسيوطي في الخصائص الكبرى ١/ ١٦٧ - ١٦٩.

المستهزئون بالرسول وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله - ﷺ - على أمر الله تعالى صابراً محتسباً، مؤدّياً إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى. وكان عظماء المستهزئين، كما حدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُّبير، خمسة نفر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم.

من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب: الأسود بن المطّلب بن أسد أبو زَمعة، وكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - قد دعا عليه لِما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: «اللهم أعْمِ بصره، وأثكِلْه ولده».

ومن بني زُهرة بن كِلاب: الأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبد مَناف بن زُهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: العاص بن وائل بن هشام.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هشام بن سُعيد بن سهم.

ومن بني خُزاعة: الحارث بن الطُّلاطلة[1] بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن ملكان.

فلما تمادوا في الشرّ، وأكثروا برسول الله - ﷺ - الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**[2].

---

(١) في إنسان العيون لنور الدين الحلبي «عيطلة»، وفي تاريخ الإسلام ٢٢٤ «عَيْطَل».
(٢) سورة الحجر - الآيات ٩٤ - ٩٦.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير، أو غيره من العلماء أنّ جبريل أتى رسول الله ـ ﷺ ـ، وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ـ ﷺ ـ إلى جنبه، فمرّ به الأسود بن المطّلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء، فعُمي. ومرّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه، فمات منه حبْناً[1]. ومرَّ به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رِجْله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يجرّ سبله[2]، وذلك أنه مرّ برجل من خُزاعة وهو يريش نبلاً له، فتعلّق سهم من نبله بإزاره، فخدش في رِجْله ذلك الخدش، وليس بشيء فانتقض به فقتله. ومرّ به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رِجْله، وخرج على حمار له يريد الطائف، فربض به على شبارقة[3]، فدخلت في أخمص رِجله شوكَة فقتلته. ومرّ به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً، فقتله[4].

قصّة أبي أُزَيْهر الدَّوْسيْ

قال ابن إسحاق: فلما حضرت الوليدَ الوفاةُ دعا بنيه وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، فقال لهم: أي بُنيّ، أوصيكم بثلاث، فلا تضيّعوا فيهنّ: دمي في خُزاعة فلا تَطُلُّنَّهُ[5]، والله إنّي لأعلم أنهم منه برآء، ولكنّي أخشى أن تُسبُّوا به بعد اليوم؛ ورباي في ثقيفٍ، فلا تدعوه حتى تأخذوه؛ وعقري عند أبي أُزَيْهر، فلا يفوتنّكم به. وكان أبو أُزَيْهر قد زوّجه بنتاً، ثم أمسكها عنه، فلم يُدْخلها عليه حتى مات.

---

(١) الحبن: انتفاخ من داء.

(٢) فضول ثيابه.

(٣) شجرة عالية.

(٤) السير والمغازي ٢٧٣، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٨٥، ٨٦، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٩١، الروض الأنف ٢/١٦٧، تاريخ الإسلام ٢٢٤، ٢٢٥، الإكتفاء للكلاعي ١/٣٧٦، البداية والنهاية ٢/٨٥ ـ ٨٧، الدّر المنثور للسيوطي ٤/١٠٧.

(٥) تَطُلُّنَّه: تهدرنه.

فلما هلك الوليد بن المغيرة وَثَبَتَ بنو مخزوم على خُزاعة يطلبون منهم عقْل[١] الوليد، وقالوا: إنّما قتله سهم صاحبكم ـ وكان لبني كعبٍ حلف من بني عبد المطّلب بن هاشم ـ فأبت عليهم خُزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعاراً، وغلُظ بينهم الأمر ـ وكان الذي أصاب الوليدَ سهمُه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خُزاعة فقال ـ عبدالله بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم:

إنّي زعيم أن تَسيرُوا فتهربُوا ... وأنْ تتركوا الظَّهْرانَ[٢] تَعْوي ثعالبُهُ
وأن تتركوا ماءً بجِزْعةٍ أطْرِقا[٣] ... وأن تسألوا أيُّ الأراك أطايبه؟
فإنّا أُناسٌ لا تُطَلُّ[٤] دماؤنا ... ولا يَتعالَى صاعداً من نحاربه

وكانت الظَّهْران والأراك منازل بني كعب، من خُزاعة. فأجابه الجون بن أبي الجون، أخو بني كعب بن عمرو الخُزاعي، فقال:

والله لا نُؤتي الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا قروا يوماً تَزول كواكبُهْ
ويُصْرَع منكم مُسْمِنٌ بعد مُسْمِنٍ[٥] ... وتُفْتَح بعد الموت قَسْراً مَشاربه[٦]
إذا ما أكلتم خُبزكم وخَزِيرَكم[٧] ... فكلُّكم باكي الوليدِ ونادبه

ثم إنّ النّاس ترادّوا وعرفوا إنّما يخشى القومُ السُّبَّة فأعطتهم خُزاعةُ بعض العَقْل وانصرفوا عن بعض. فلما اصطلح القوم قال الجَوْن بن أبي الجَوْن:

وقائلةٍ لمّا اصطلحْنا تعجُّباً ... لما قد حَمَلْنا للوليد وقائلِ

---

(١) العقل: الدية.
(٢) الزعيم: الضامن. والظهران: وادٍ قريب من مكة.
(٣) الجزعة: ما انثنى من الوادي. أطرقا: اسم الموضع.
(٤) تُطلّ: تُهْدر.
(٥) المسمن: الشريف الظاهر بين الناس.
(٦) جمع مشربة، وهي الغرفة.
(٧) الخزير: نوع من الحساء، أو عصيدة بلحم، أو هي مرقة من بلالة النخالة.

ألم تُقْسِموا تُؤْتُوا الوليدَ ظُلامةً ... ولمّا تَرَوْا يوماً كثيرَ البلابل[1]
فنحن خَلَطْنا الحربَ بالسِّلم فاستوتْ ... فأمَّ هواه آمناً كلُّ راحل

ثم لم ينته الجَوْن بن أبي الجَوْن حتى افتخر بقتل الوليد، وذكر أنهم أصابوه، وكان ذلك باطلاً. فلحِق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذر، فقال الجَوْن بن أبي الجَوْن:

ألا زَعَم المغيرة أنَّ كعْباً ... بمكّة منهمُ قَدْرٌ كبيرُ
فلا تَفْخَرْ مغيرةُ أنْ تراها ... بها يمشي المُعَلْهَج والمَهِير[2]
بها آباؤنا وبها وُلِدْنا ... كما أرسى بمثْبَته ثبيرُ[3]
وما قال المغيرة ذاك إلاّ ... ليعَلَم شأننا أو يستثير
فإنّ دمَ الوليدِ يُطَلّ إنّا ... نَطُلّ دِماءً أنت بها خبير
كَسَاهُ الفاتكُ الميمونُ سَهْماً ... زُعافاً وهو ممتلئٌ بَهِير[4]
فخَرَّ ببطن مكّة مُسْلَحِبّاً[5] ... كأنّه عند وجبته[6] بعير
سيكفيني مِطالَ أبي هشام ... صغارٌ جَعْدةُ الأوبار خُور[7]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه.

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أُزَيْهر، وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سُفيان بن حرب عاتكه؛ بنت أبي أُزَيهر، وكان أبو أُزَيْهر رجلاً شريفاً في قومه ـ فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده، لوصيّة أبيه

---

(١) تؤتوا: يريد أن تؤتوا والمعنى أن لا تؤتوا كما قال تعالى ﴿يُبيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي أن لا تضلّوا. والبلابل: الوساوس الفكرية.
(٢) المُعَلْهَج: المتردِّد في الإماء فهو منحوت من أصلين من العلج لأنّ الأَمَة عِلجة، ومن اللهج: كأنّ واطيء الأمَة قد لهج بها، والمَهِير: ابن المهيرة الحرّة.
(٣) ثَبير: جبل بمكة.
(٤) البهير: منقطع النفس.
(٥) المُسْلَحِبّ: الممتدّ.
(٦) الوجبة: السقطة.
(٧) الخور: الغزار اللبن.

إياه، وذلك بعد أن هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة ومُضيّ بدر، وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان، فجمع بني عبد مَناف، وأبو سفيان بذي المجاز، فقال الناس: أخفر أبو سفيان في صهره، فهو ثائر به. فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منكراً يحبّ قومه حبًّا شديداً - انحطّ سريعاً إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أُزَيهر، فأتى ابنه وهو في الحديد، في قومه من بني عبد مَناف والمطيّبين، فأخذ الرمح من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربة هدّه منها، ثم قال له؛ قبّحك الله! أتريد أن تضرب قريشاً بعضهم ببعض في رجل من دوس. سنؤتيهم العقْل إن قبِلوه، وأطفأ ذلك الأمر.

فانبعث حسّان بن ثابت يحرّض في دم أبي أُزَيهر، ويعيّر أبا سفيان خُفْرته ويُجْبِنُه، فقال:

غدا أهلُ ضَوْجَى ذي المجاز كِلَيْهما ... وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو[1]

ولم يمنع العَيْرُ الضَّرُوطُ ذِمارَه ... وما منعت مَخْزاةَ والدِها هِنْد[2]

كساكَ هشامُ بنُ الوليد ثيابَهُ ... فأَبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جُدداً بعدُ

قضى وَطَراً منه فأصبح ماجداً ... وأصبحتَ رخواً ما تُخبّ[3] وما تعْدُو

فلو أنّ أشْياخاً ببدرٍ تَشاهدوا ... لَبَلَّ نعالَ القوم مُعتبط ورْد[4]

فلما بلغ أبا سفيان قولُ حسّان قال: يريد حسّان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دَوْس! بئس والله ما ظنّ!

ولما أسلم أهل الطائف كلّم رسول الله - ﷺ - خالد بن الوليد في ربا الوليد، الذي كان في ثقيف، لما كان أبوه أوصاه به.

---

(١) ضوجى: ما انعطف من الوادي. والمغمس: موضع بطريق الطائف.

(٢) الذمار: ما تجب رعايته. وهند: بنت أبي سفيان.

(٣) الخَبَب: ضرْب من السَير.

(٤) المعتبط الورد: الدم العبيط وهو الطريّ.

قال ابن إسحاق: فذكر لي بعض أهل العلم أنّ هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا آللهَ، وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ آلرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] إلى آخر القصّة فيها.

دَوْس تحاول الثأر لأبي أُزَيْهر: ولم يكن في أبي أُزَيهر ثأر نعلمه، حتى حجز الإسلام بين الناس؛ إلا أنّ ضرار بن الخطّاب بن مرداس الفِهريّ خرج في نفر من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان، مولاة لدَوْس، وكانت تمشط النساء، وتجهّز العرائس، فأرادت دَوْس قتلهم بأبي أُزْيهر، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها، حتى منعتهم، فقال ضرار بن الخطّاب في ذلك:

جزى الله عنّا أمَّ غَيلان صالحا	ونسوَتها إذ هُنّ شُعْثٌ عَواطِلُ
فهنّ دَفَعْن الموتَ بعد اقترابه	وقد بَرَزَتْ للثّائرين المَقَاتل
دعتْ دعوةً دَوْساً فسالت شِعابُها[2]	بعزّ وأدّتها الشِّراج القوابل[3]
وعَمْراً جزاه الله خيراً فما وَنَى	وما بردتْ منه لديّ المَفَاصِل
فجرّدتُ سَيْفي ثم قمتُ بنَصْله	وعن أيّ نَفْس بعد نفسي أقاتل

أم غيلان وأم جميل: **قال ابن هشام**: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ التي قامت دون ضرار أم جميل، ويقال أم غيلان؛ قال ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل، وهي ترى أنه أخوه: فلما انتسبت له عرف القصّة فقال: إنّي لست بأخيه إلاّ في الإسلام، وهو غازٍ، وقد عرفت مِنّتك عليه، فأعطاها على أنها ابنة سبيل.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٨.

(٢) الشعاب: جمع شعب وهو مسيل الماء في الحَرّة.

(٣) الشراج: جمع شرج: مسيل الماء. والقوابل: المتقابلة.

قال الراوي: قال ابن هشام: وكـان ضرار لحِق عمـرَ بن الخطاب يـوم أُحُد، فجعل يضـربه بعـرض الرمـح ويقول: انـج يا ابن الخـطّاب لا أقتلك؛ فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه.

وفاة أبي طالب وخديجة وما عاناه رسول الله ﷺ بعدهما[1]

قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ في بيتـه أبا لهب، والحَكَم بن العــاص بن أُميّـة، وعُقبــة بن أبي مُعَيط، وعـــدِيّ بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهُذليّ؛ وكانـوا جيرانـه لم يسلم منهم أحد إلاّ الحَكَم بن العاص، فكان أحدهم ـ فيما ذكر لي ـ يطرح عليه ﷺ رحِم الشاة وهـو يصلّي، وكان أحـدهم يطرحهـا في برمتـه[2] إذا نُصبت لـه، حتى اتّخـذ رسـول الله ـ ﷺ ـ حجْراً[3] يستتـر به منهم إذا صلّى، فكـان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا طـرحوا عليـه ذلك الأذى؛ كمـا حـدّثني عمـر بن عبـدالله بن عُـروة بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، يخرج به رسول الله ـ ﷺ ـ على العود، فيقف به على بـابـه، ثم يقـول: «يـا بني عبـد مَنـاف، أيّ جـوار هـذا! ثم يلقيــه في الطريق»[4].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ خـديجة بنت خُـويلد وأبا طالب هلكـا في عامٍ واحد، فتتابعت على رسـول الله ـ ﷺ ـ المصائب بهلك خـديجة، وكـانت له

---

(١) السير والمغازي ٢٣٦ و٢٤٣، تاريخ الطبري ٣٤٣/٢، البدء والتاريخ ١٥٤/٤، الكامل في التـاريخ ٩٠/٢، عيـون الأثر ١٢٩/١، نهـاية الأرب ٢٧٧/١٦، و ٢٧٩، تـاريـخ الإسـلام (السيرة) ٢٢٩، عيون التـواريخ ٨٤/١، السيـرة لابن كثير ١٢٢/٢ و١٣٢، السيـرة الحلبية ٣٨٥/١.

(٢) البرمة: القدر من الحجر.

(٣) الحجر: كل ما حجرته من حائط ونحوه.

(٤) انـظر ما أخـرجه الشيخـان: البخاري في كتـاب بدء الخلق (٢٣٩/٤) بـاب مـالقي النبي ﷺ وأصحـابه من المشـركين بمكة. ومسلم في كتـاب الجهاد والسير (١٧٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة ٥٣/٢، ٥٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢١٦، والطبري ٣٤٣/٢.

وزيـر صدْق على الإسـلام، يشكو إليهـا؛ وبهلك عمّه أبي طـالب، وكان لـه عضُـداً وحرْزاً في أمـره، ومنعة ونـاصراً على قـومه، وذلـك قبل مهـاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب. نالت قريش من رسول الله ـ ﷺ ـ من الأذى ما لـم تكن تطمـع به في حيـاة أبي طالب، حتى اعتـرضه سفيـه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه عُـروة بن الزبيـر، قال:

لمـا نثر ذلـك السفيه على رأس رسـول الله ـ ﷺ ـ ذلك التـراب، دخل رسول الله ـ ﷺ ـ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحـدى بناتـه، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول لها: لا تبكي يا بُنية، فإنّ الله مانعٌ أباك. **قال:** ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهـه، حتى مات أبو طالب»[1].

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب: قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشاً ثِقله، قـالت قريش بعضهـا لبعض: إنّ حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلّها، فانطلقوا بنا الى أبي طـالب، فيأخـذ لنا على ابن أخيـه، وليعطه منّـا، والله ما نأمن أن يبتزّونا[2] أمرَنا.

قال ابن إسحاق: فحدّثني العباس بن عبدالله بن مَعْبد بن عبـاس عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: مشوا إلى أبي طالب فكلّموه؛ وهم أشراف قومه: عُتبـة بن ربيعة، وشَيبـة بن ربيعة، وأبـو جهل بن هشـام، وأُميّة بن خَلَف، وأبو سفيان بن حرب، في رجالٍ من أشرافهم فقالـوا: يا أبـا طالب، إنك منّا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوّفنـا عليك، وقـد علمت

(١) الحديث غريب مرسَل. أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٣٥.
(٢) ابتزه أمره: غلبه عليه.

الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه، فخُذ له منّا، وخذ لنا منه، ليكفّ عنّا، ونكفّ عنه، وليدَعْنا ودِيننا، وندعه ودينه؛ فبعث إليه أبو طالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخي: هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نعم، كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم». قال فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات؛ قال: تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه. قال: فصفّقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلٰهاً واحداً، إنّ أمرك لَعَجَب! قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرقوا.

رجاء الرسول إسلامَ أبي طالب: فقال أبو طالب لرسول الله ـ ﷺ ـ: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً؛ قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ـ ﷺ ـ في إسلامه، فجعل يقول له: «أي عم، فأنت فقلها أستحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة» قال: فلما رأى حرص رسول الله ـ ﷺ ـ عليه، قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السُّبّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنّ قريش أنّي إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلّا لأسرّك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرّك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأُذُنه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لم أسمع»[1].

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب: قال: وأنزل الله تعالى في الرهْط الذين كانوا اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردّوا عليه ما ردّوا: ﴿صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾. إلى قوله

---

(١) السير والمغازي ٢٣٨، نهاية الأرب ٢٧٨/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٣٢، سيرة ابن كثير ١٢٤/٢.

تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً واحداً، إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ، إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾[1] يعنون النصارى، لقولهم: ﴿إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[2] - ﴿إِنْ هٰذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾[3] ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثَقِيف منه

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - ﷺ - من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبي طالب، فخرج رسول الله - ﷺ - إلى الطائف، يلتمس النُصْرة من ثَقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ، فخرج إليهم وحده.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: لما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى الطائف، عمد إلى نفرٍ من ثقيف، هم يومئذ سادة ثَقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة: عبد يا ليل بن عمرو ابن عُمير، ومسعود بن عمرو بن عُمير، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله - ﷺ -، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فقال له أحدهم: هو يمرط[4] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك؛ وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبداً. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن

---

(١) سورة صَ - الآيات من ١ حتى ٧.
(٢) سورة المائدة - الآية ٧٣.
(٣) سورة صَ - الآية ٧.
(٤) يمرطه: ينزعه ويرمي به.

كنت تكـذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلّمـك. فقام رسـول الله - ﷺ - من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قـال لهم - فيما ذُكـر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فـاكتموا عنّي، وكـره رسول الله - ﷺ - أن يبلغ قـومه عنـه، فيذئـرهم[1] ذلك عليه. قال ابن هشام: قال عبيد بن الأبرص:

ولـقـد أتـاني عـن تَـمِيـمٍ أنـهـمُ ذَئِـرُوا لـقَتْـلَى عـامـر وتعـصّبـوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه النـاس، وألجئوه إلى حـائط[2] لعُتبة بن ربيعـة وشيبة بن ربيعـة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعـه، فعمد إلى ظـلّ حَبَلة[3] من عِنب، فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله - ﷺ - فيما ذُكر لي - المرأة التي من بني جُمح، فقال لها: «ماذا لقِينا من أحمائك؟».

فلما اطمأنّ رسول الله - ﷺ - قال - فيما ذُكر لي -: «اللهم إليـك أشكو ضعف قـوّتي، وقلّة حيلتي، وهوانـي على النـاس، يا أرحم الـراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تَكِلني؟ إلى بعيدٍ يتجهّمني[4]؟ أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فـلا أبالي، ولكنّ عـافيتك هي أوسـع لي، أعوذ بنـور وجهك الـذي أشرقت لـه الظلمـات، وصلُح عليه أمـر الـدنيا والآخـرة من أن تُنزل بي غضبـك، أو يحلّ عليّ سخـطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلا بك»[5].

قـال: فلمـا رآه ابنـا ربيعـة، عُتبـة وشيبـة، ومـا لقي، تحـرّكت لـه

---

(١) يذئرهم: يثيرهم.
(٢) الحائط: الحديقة.
(٣) حبلة: شجرة العنب.
(٤) تجهّم فلاناً: استقبله بوجه كريه.
(٥) تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢/٣٤٥.

رحِمهما[1]، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له عـدَّاس، فقالا لـه: خذ قـطْفاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله - ﷺ -، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله - ﷺ - فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله - ﷺ -: «ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك»؟ قال: نصرانيّ، وأنا رجل من أهل نِينَوَى؛ فقال رسول الله - ﷺ -: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى»؛ فقال له عداس: وما يُدريك ما يونس بن متّى؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «ذاك أخي، كان نبيّاً وأنا نبيّ»، فأكبّ عدّاس على رسول الله - ﷺ - يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس! مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيّدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلاّ نبيّ؛ قالا له: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنّك عن دينك، فإنّ دِينك خير من دينه[2].

وفد جنّ نَصِيبين: قال: ثم إنّ رسول الله - ﷺ - انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة[3] قام من جوف الليل يصلّي، فمرّ به النفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم - فيما ذُكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصّ

(١) الرحم: الصلة والقرابة.
(٢) رواه عروة في المغازي ١١٧ - ١١٩، والبيهقي في دلائل النبوّة ١/٣٨٩ - ٣٩٢، وابن عبدالبر في الدرر في اختصار المغازي والسير ٦٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٨٣ وانظر: تاريخ الطبري ٢/٣٤٤ - ٣٤٦، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ١/١٠٣، ونهاية الأرب للنويري ١٦/٢٨١، والطبري ٢/٣٤٦.
(٣) هناك واديان بهذا الأسم على ليلة من مكة أحدهما نخلة الشامية والثاني نخلة اليمانية.

الله خبرهم عليه ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[2].. إلى آخر القصّة من خبرهم في هذه السورة[3].

---

(١) سورة الأحقاف ـ من الآية ٢٩ حتى ٣١.

(٢) سورة الجنّ ـ الآية ١.

(٣) أنظر حول إسلام الجن ما أورده الشيخان في صحيحيهما: البخاري. في كتاب مناقب الأنصار (٤/٢٤٠) باب ذكر الجنّ وقول الله تعالى ﴿قل أوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ﴾، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٤٩) و(٤٥٠) باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجنّ، والترمذي (٣٣٧٩) سورة الجن، وأحمد في المسند ١/٢٥٢ و٢٧٠ و٢٧٤ و٤١٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/١٢، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة ١٩٨)، وابن سيد الناس في عيون الأثر ١/٨٣٧، وتاريخ الخميس ١/٣٤٣، ٣٤٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٤٦، ٣٤٧، والبدء والتاريخ ٤/١٥٦.

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل[1]

عرْض نفسه في المواسم: قال ابن إسحاق: ثم قدِم رسـول الله ـ ﷺ ـ مكة؛ وقومه أشدّ ما كانوا عليه من خلافه وفـراق دِينه، إلاّ قليـلاً مستَضعفين، ممن آمن به. فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يعرض نفسـه في المواسم، إذا كـانت، على قبائل العـرب يدعـوهم إلى الله، ويخبرهم أنـه نبيّ مرسَـل، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبيّن لهم الله ما بعثه به[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني من أصحابنا، من لا أتّهم، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عبّاد الدّيلي، أو من حدّثه أبو الزناد عنه ـ قال ابن هشام: ربيعة ابن عبّــاد.

قال ابن إسحاق: وحـدّثني حسين بن عبدالله بن عُبيـدالله بن عباس، قـال: سمعت ربيعة بن عبّـاد، يحدّثـه أبي، قال: إنّي لغـلام شاب مـع أبي بمِنى، ورسول الله ـ ﷺ ـ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني

---

(١) السـير والمغازي ٢٣٢، الـطبقات الكـبرى ١/٢١٦، أنسـاب الأشراف ١/٢٣٧، رقم ٥٦٢، تاريخ الطبري ٢/٣٤٨، الكامل في التاريخ ٢/٩٤، نهاية الأرب ١٦/٣٠٦، تاريخ الإسـلام (السيرة) ٢٨١، عيون الأثر ١/١٥٢، سيرة ابن كثير ٢/١٥٥، عيون التواريخ ١/٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.

فلان، إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدِّقوا بي، وتمنعوني، حتى أبيّن عن الله ما بعثني به. قال: وخَلْفه رجل أحْول وضيء، له غديرتان[١] عليه حلّة عدنية. فإذا فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنّ هذا إنّما يدعوكم أن تسلخوا اللّات والعُزَّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجنّ من بني مالك بن أُقَيْش[٢]، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه[٣].

قال: فقلت لأبي: يا أبتِ، من هذا الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال هذا عمّه عبد العُزَّى بن عبدالمطّلب، أبو لهب[٤].

قال ابن هشام: قال النابغة:

كأنّك من جمال بَني أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خلفَ رِجْلَيه بشَنّ[٥]

قال ابن إسحاق: حدّثنا ابن شهاب الزُهْري: أنه أتى كِنْدة في منازلهم، وفيهم سيّد لهم يقال: مُلَيْح، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه[٦].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حُصَين: أنه أتى كلباً في منازلهم، إلى بطنٍ منهم يقال لهم: بنو عبدالله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبدالله، إنّ الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم[٧].

---

(١) الغديرتان: ذؤابتان من شعر.
(٢) إلى هذا الحيّ من الجنّ تنسب الإبل الأقيشية، وهي غير عتاق تنفر من كل شيء.
(٣) السير والمغازي ٢٣٢.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.
(٥) الشنّ: القربة الخلق، ويريد بالقعقعة حدوث الصوت لتفزع الإبل.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.
(٧) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردّاً منهم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم ـ يقال له: بَيْحَرَة بن فِراس. قال ابن هشام: فراس بن عبدالله بن سلمة الخير بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ـ: والله، لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلتُ به العرب، ثم قال: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفَتُهدَف[2] نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السنّ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم؛ فلما قدِموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتًى من قريش، ثم أحد بني عبد المطّلب، يزعم أنه نبيّ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ، هل لذُناباها من مطلب[3]، والذي نفس فلان بيده، ما تقوَّلها إسماعيليٌّ قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم[4].

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ـ ﷺ ـ على ذلك من أمره، كلّما

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) تهدف: تصير هدفاً يرمى عليه، والهدف: الغرض.

(٣) مثل يضرب لما فات، وأصله من ذنابى الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذناباه. (الروض الأنف ٢/١٨١).

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٥٠.

اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدَم مكة من العرب، له اسم وشرف، إلاّ تصدّى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة الأنصاريّ، ثم الظَّفري عن أشياخ من قومه، قالوا:

قدم سُويد بن صامت، أخو بني عمّرو بن عوف، مكة حاجّاً أو معتمراً، وكان سُوَيد إنّما يسمّيه قومه فيهم: الكامل، لجَلَده وشعره وشرفه ونَسَبه، وهو الذي يقول:

ألا رُبَّ من تَدعوُ صديقاً ولو تَرَى ... مَقَالَتَه بالغيبِ ساءك ما يَفْرِي[1]
مقالتُهُ كالشهد[2] ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ[3] على ثَغْرةِ النِحْر
يَسُرُّك باديهِ وتحتَ أُدِيمهِ ... نميمةُ غِشٍّ تبتري عَقَبَ الظَّهْرِ[4]
تُبِينُ لك العينان ما هو كاتمٌ ... من الغِلّ والبغضاء بالنَّظَرِ الشزْر[5]
فَرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَني ... وخيرُ الموالي من يَرِيشُ ولا يَبْري[6]

وهو الذي يقول: ونافر رجلاً من بني سليم، ثم أحد بني زِعْب بن مالك مئة ناقة، إلى كاهنة من كُهّان العرب، فقضت له. فانصرف عنها هو والسلميّ، ليس معهما غيرها، فلما فرّقت بينهما الطريق، قال: ما لي يا أخا بني سليم قال: أبعث إليك به؛ قال: فمن لي بذلك إذا فُتّني به؟ قال: كلاّ، والذي نفس سُوَيد بيده، لا تفارقني حتى أوتى بمالي، فاتّخذا فضرب به

---

(١) يفري: يختلق.
(٢) في تاريخ الطبري «كالشحم».
(٣) المأثور: السيف الموشّى.
(٤) تبتري عقبه؛ تقطع ظهره.
(٥) في تاريخ الطبري «ولا جنّ بالبغضاء والنظر الشزر».
(٦) يَريش: يقوى؛ ويبري: يضعُف.

الأرض، ثم أوثقه رباطاً، ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُلَيم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تَحْسَبَنّي يا بنَ رُغْبِ بنِ مالكٍ كَمَنْ كنتَ تُرْدي بالغيوب[1] وتَخْتِلُ
تحوَّلْت قَرْناً إذْ صُرِعْتَ بِعزَّةٍ كذلِكَ إنّ الحازِمَ المُتَحوِّلُ
ضربتْ به إبطُ الشمالِ فلم يزلْ على كلِّ حالٍ خَدُّهُ هو أسفَلُ[2]

في أشعار كثيرة كان يقولها.

فتصدّى له رسول الله - ﷺ - حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُويد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي: فقال له رسول الله - ﷺ -: «وما الذي معك»؟ قال: مجلّة لقمان[3] - يعني حكمة لقمان - فقال له رسول الله - ﷺ -: «أعرضها عليّ»، فعرضها عليه؛ فقال له: «إنّ هذا لكَلام حَسَن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هُدًى ونور». فتلا عليه رسول الله - ﷺ - القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لقول حَسَن. ثم انصرف عنه، فقدِم المدينة على قومه، فلم يلبث أنْ قتلته الخزرج، فإذا كان رجال منْ قومه ليقولون: إنّا لنراه قد قُتل وهو مسلم. وكان قتله قبل يوم بُعاث[4].

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٣٥١ «بالعيوب» بالعين المهملة.

(٢) هذا البيت لم يذكره الطبري.

(٣) مجلة لقمان، وهي الصحيفة. وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة، أما الجلالة فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد:

فلا ذا جلال هِبْنَهُ لجلالةٍ ولاذا ضياع هنّ يُتركْن للفقر

ولقمان كان نوبيّاً من أهل أيلة، وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا، وابنه الذي ذُكر في القرآن هو تاران فيما ذكر الزّجّاج وغيره، وقد قيل في اسمه غير ذلك، وليس بلقمان بن عاد الحِمْيَريّ. (الروض الأنف ٢/١٨٣).

(٤) بعاث: يوم من أيام العرب كان بين الأوس والخزرج. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٣٥١، ٣٥٢، وأنساب الأشراف ١/٢٣٨ رقم ٥٦٣.

إسلام إياس بن مُعاذ وقصّة أبي الحَيْسَر

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما قدِم أبو الحَيْسر، أنس بن رافع، مكة، ومعه فِتيةٌ من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ـ ﷺ ـ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له»؛ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب». قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن مُعاذ، وكان غلاماً حَدَثاً: أي قوم، هذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنس بن رافع، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن مُعاذ، وقال: دعنا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ـ ﷺ ـ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هَلَك. قال محمود بن لَبِيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله تَعالى ويكبّره ويحمده ويسبّحه حتى مات، فما كانوا يشكّون أنْ قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ـ ﷺ ـ ما سمع[1].

إسلام الأنصار

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه، وإعزاز نبيّه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ـ ﷺ ـ في الموسم الذي لقِيه فيه النفر من

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، ٣٥٣، نهاية الأرب للنويري ١٦/٣٠٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٨٨، عيون الأثر ١/١٥٥، سيرة ابن كثير ٢/١٧٤، ١٧٥.

الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كلّ موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهْطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخٍ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ـ ﷺ ـ، قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم؛ قال: أفلا تجلسون أكلّمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أنّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم[1] ببلادهم. فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنّ نبيّاً مبعوث الآن، قد أظلّ زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم. فلَما كلّم رسول الله ـ ﷺ ـ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلّموا والله إنه للنبيّ الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشّرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدِّين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا[2].

أسماء من التقوا به ﷺ من الخزرج: قال ابن إسحاق: وهم ـ فيما ذُكر لي ـ: ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجّار ـ وهو تَيْم الله ـ ثم من بني

---

(١) عزوهم: غلبوهم.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٦، طبقات ابن سعد ١/٢٢٠، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٦٩ ـ ١٧٣، المغازي لعروة ١٢١ ـ ١٢٣، نهاية الأرب ١٦/٣١٠، ٣١١، الدرر لابن عبدالبر، عيون الأثر ١/٦٥٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٩٠.

مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر: أسعد بن زُرارة بن عُدس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو أبو أمامة؛ وعَوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو ابن عفراء.

قال ابن هشام: وعفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النجّار.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُريق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق.

قال ابن هشام: ويقال عامر بن الأزرق.

قال ابن إسحاق: ومن بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة: قُطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنم بن سواد.

قال ابن هشام: عمرو بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غنم.

قال ابن إسحاق: ومن بني حَرَام بن كعب بن غَنم بن كعب بن سلمة: عُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام.

ومن بني عُبيد بن عدِيّ بن غَنم بن كعب بن سلمة: جابر بن عبدالله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد.

فلما قدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله - ﷺ - ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلّا وفيها ذِكر من رسول الله - ﷺ -[1].

---

(١) قارن بتاريخ الطبري ٢/٣٥٤، ٣٥٥، ونهاية الأرب ١٦/٣١١، ٣١٢.

بيعة العَقَبة الأولى[1]

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعَقَبة. قال: وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله - ﷺ - على بيعة النساء[2]، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب.

منهم من بني النجّار، ثم من بني مالك بن مالك بن النجّار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو أبو أُمامة؛

(١) المغازي لعروة ١٢١، تاريخ الطبري ٢/٣٥٥، الطبقات الكبرى ١/٢١٩، أنساب الأشراف ١/٢٤٠ رقم ٥٦٨، الكامل في التاريخ ٢/٩٥، سبل الهدى ٣/٢٦٧، نهاية الأرب ١٦/٣١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٩١، عيون التواريخ ١/٨٩، السيرة لابن كثير ٢/١٧٨، عيون الأثر ١/١٥٥.

(٢) ذُكرت بيعة النساء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ وقيل في قوله عزّ وجلّ خبراً عن بيعة النساء: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها، وليس منه، وقيل: هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقُبلة والجسَّة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أنه النَّوح، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال، فدلّ على ضعف قول من خصّه بالنَّوح، وخصّ البهتان بإلحاق الولد بالرجل، وليس منه، وقيل: يفترينه بين أيديهنّ يعني: الكذِب وعيْب الناس بما ليس فيهم، وأرجلهنّ يعني: المشي في معصية، ولا يعصينك في معروف، أي: في خير تأمرهنّ به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق، وما عُرف حسنه ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعمّ الرجال والنساء، وذكر ابن اسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليهنّ: أن قال ولا تغششن زواجكنّ، قالت أحداهنّ: وما غشّ أزواجنا فقال: أن تأخذي من ماله فتُحابي به غيره. (الروض الأنف ٢/١٩٥).

وعَوف، ومُعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهما ابنا عفراء.

ومن بني زُرَيق بن عامر: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق، وذكوان بن عبد قيس بن خلْدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق.

قال ابن هشام: ذكوان، مهاجريّ أنصاريّ.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهم القواقل: عُبادة بن الصّامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم؛ وأبو عبد الرحمن، وهو يزيد بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم بن عمرو بن عَمّارة، من بني غُصينة[1]، من بَلِيّ، حليف لهم.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لهم القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً وقالوا له: قوقل به بيثرب حيث شئت.

قال ابن هشام: القوقلة: ضرْب من المشي.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك ابن العَجْلان.

ومن بني سَلمة بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حَرَام بن كعب بن غَنْم بن سَلِمة: عُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حَرام.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: قُطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غَنْم بن سواد.

وشهِدَها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٣٥٥ «غضينة».

عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التيْهان، واسمه مالك.

قال ابن هشام: التّيهان: يُخفَّف ويثقَّل، كقوله مَيْت وميِّت.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: عُوَيم بن ساعدة.

نصّ البيعة: **قال ابن اسحاق**: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مَرْثَد بن عبدالله اليَزَنيّ، عن عبدالرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحيّ، عن عُبادة ابن الصّامت، **قال**: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنّا اثني عشر رجلاً، فبايعْنا رسول الله - ﷺ - على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببُهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجُلنا، ولا نعصيه في معروف. فإنْ وفيتم فلكم الجنّة. وإنْ غشِيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزّ وجلّ إنْ شاء عذّب وإن شاء غفر[1].

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهْريّ عن عائذ الله بن عبدالله الخولاني أبي إدريس أنّ عُبادة بن الصّامت حدّثه أنه قال: بايعنا رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة الأولى على أن لا نُشْرك بالله شيئاً، ولا نسرِق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببُهْتانٍ نفتريه من بين أيدينا وأرجُلنا، ولا نعصيه في معروف؛ فإنْ وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشيتم من ذلك فأُخذْتم بحدّه في الدنيا، فهو كفّارة له، وإنْ سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى

---

(١) الحديث في تاريخ الطبري ٢/٣٥٦، وأخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٤/٢٥) باب وفود الأنصار إلى النبيّ ﷺ بمكة وبيعة العقبة، وفي الأحكام (٨/١٢٥) باب بيعة النساء، وفي الحدود (٨/١٨) باب توبة السارق، وفي التوحيد (٨/١٩١) باب في المشيئة والإرادة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، والنسائي في البيعة على الجهاد ٧/١٤٢ و ١٤٩ بيعة النساء، والدارمي في السير ١٦، وأحمد في المسند ٥/٣٢٣، وابن سعد في الطبقات ١/٢٢٠، والنويري في نهاية الأرب ١٦/٣١٣، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٩٢، وابن سيّد الناس في عيون الأثر ١/١٥٧، ١٥٨، والصالحي في سبل الهدى ٣/٢٧٠.

الله عزّ وجلّ إن شاء عذّب، وإن شاء غفر[1].

إرسال مُصْعَب بن عُمير مع وفد العَقَبة: قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله - ﷺ - معهم مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار بن قُصَيّ وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدّين، فكان يسمّى المقريء بالمدينة: مُصْعب. وكان منزَله[2] على أسعد بن زُرارة بن عُدَس، أبي أُمَامة[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنه كان يصلّي بهم، وذلك أنّ الأوس والخزرج كرِه بعضهم أن يؤمّه بعض[4].

أول جمعة أُقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيف، عن أبيه أبي أُمامة، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي، كعب بن مالك، حين ذهب بصره[5]، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها صلّى[6] على أبي أُمامة، أسعد بن زُرارة. قال فمكث حيناً على ذلك: لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلّى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي والله إنّ هذا بي لَعَجْز، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلّى على أبي أُمامة أسعد بن زُرارة؟ قال فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج، فلما سمِع الأذان للجمعة صلّى عليه واستغفر له. قال: فقلت

---

(١) تاريخ الطبري ٣٥٦/٢، ٣٥٧.

(٢) المنزَل هنا وفي كلّ ما شابهه بفتح الزاي لا غير، وذلك لأنه يريد المصدر ولم يُرِد المكان. (الروض الأنف ١٩٦/٢).

(٣) تاريخ الطبري ٣٥٧/٢، نهاية الأرب ٣١٣/١٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣٥٧/٢، المغازي لعروة ١٢٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١٠٥/١، تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٩٣، مجمع الزوائد ٤٠/٦ - ٤٢.

(٥) في دلائل النبوّة للبيهقي «كفّ بصره».

(٦) في جامع الأصول لابن الأثير: «ترحّم لأسعد بن زرارة».

له: يا أبتِ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صلّيت على أبي أُمامة؟: فقال: أي بُنيّ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزْم النبيت[1]، من حَرَّة بني بياضة، يقال له: نقيع الخَضَمات[2]، قال قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً[3].

إسلام سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر: قال ابن اسحاق: وحدّثني عُبيدالله بن المغيرة بن مُعَيقب، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزْم: أنّ أسعد بن زُرارة خرج بمُصْعب بن عُمير يريد به دارَ بني عبد الأشهل، ودارَ بني ظَفَر، وكان سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امريء القَيس ابن زيد بن عبدالأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر.

قال ابن هشام: واسم ظفر: كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس ـ قالا: على بئر يقال لها: بئر مَرْق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم وسعد بن مُعاذ، وأُسَيد بن حُضَير، يومئذ سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكِلاهما مشرِك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن مُعاذ لأُسَيد بن حُضَير: لا أبا لك، انطلِق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضُعفاءنا، فازجُرْهما وانْهُهما عن أن يأتيا دارَينا، فإنه لولا أن أسعد بن زُرارة منّي حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدّماً، قال فأخذ أُسَيْد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسعد بن زُرارة، قال لمُصْعَب بن عُمير: هذا سيّد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مُصْعب: إن يجلس أكلّمه. قال فوقف عليهما متشتّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إنْ كانت لكما

---

(١) هزم النبيت: جبل على بريد من المدينة. (معجم ما استعجم، الروض الأنف ٢/١٩٦).

(٢) الخَضَمات: من الخضم، وهو الأكل بالفم كله. والقضم بأطراف الأسنان. ويقال: هو أكل اليابس، والخضم: أكل الرطب، فكأنه جمع خضمة، وهي الماشية التي تخضم، فكأنه سمّي بذاك لخضب كان فيه. (الروض الأنف ٢/١٩٦).

(٣) تاريخ الإسلام ٢٩٣.

بأنفسكما حاجة؛ فقال له مُصْعب: أوَ تجلِس فتسمع، فإن رضيتَ أمراً قبلْته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركَز حَرْبته وجلس إليهما، فكلّمه مُصْعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لَعَرَفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدِين؟ قالا له: تغتسل فتطهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تصلّي. فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحقّ، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن مُعاذ، ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم؛ فلما نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدّثت أنّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارةَ ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك[1]. قال: فقام سعد مُغضبا مبادراً، تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئنّين، عرف سعد أنّ أُسَيداً إنّما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتّماً، ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أُمامة، أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي، أتغشانا في دارَينا بما نكره ـ وقد قال أسعد بن زُرارة لمُصْعَب بن عُمير: أي مُصْعَب، جاءك والله سيّد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان ـ: قال: فقال له مُصْعب: أوَ تقعد فتسمْع، فإنْ رضيت أمراً ورغبت فيه قبلْته، وإنْ كرِهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركزّ الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا: تغتسل

---

(١) لينقضوا عهدك.

فتطهّر ثوبيك ثم تشهّد شهادة الحقّ، ثم تصلّي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشّهد شهادة الحقّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسَيد بن حُضَير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلّا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زُرَارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دُور الأنصار إلّا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلّا ما كان من دار بني أُميّة بن زيد، وخَطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوْس الله، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي، وكان شاعراً لهم وقائداً، يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ومضى بدر وأُحُد والخندق[1]، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أربَّ النّاس أشياءُ أَلَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذَّلول

أربَّ النّاس أمّا إذْ ضَلِلنا ... فَيَسِّرْنا لمعروفِ السَّبيل

فلولا ربّنا كنّا يَهُوداً ... وما دين اليهود بذي شُكول[2]

---

(١) زاد ابن عبد البر في الدرر ١/١٦٠ وابن سيد الناس في عيون الأثر ١/١٦١ «ثم أسلموا كلهم». وانظر: تاريخ الإسلام ٢٩٥ - ٢٩٧، وتاريخ الطبري ٢/٣٥٧ - ٣٥٩.

(٢) الشكول جمع شكل وشكل الشيء - بالفتح - هو مثله، والشِكل: بالكسر الدلّ والحُسن. فكأنه أراد أن دين اليهود بدع، فليس له شكول أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول وقد قال الطائي::

وقلت: أخي قالوا: أخ من قرابة ... فقلت لهم: إنّ الشكول أقارب

قريبي في رأيي وديني ومذهبي ... وإن باعدتنا في الخطوب المناسب

(الروض الأنف ٢/٢٠٠).

ولـولا ربّـنـا كـنّـا نـصـارَى   مـع الـرُّهـبـان في جبـل الجليـل[1]
ولـكِـنّـا خُـلْقـنـا إذ خُـلِقْـنـا   حـنيفـاً دينُنـا عـن كُـلّ جيـل
نسـوق الهَـدْيَ تـرسُف مُـذعنـات   مكشفَـة المنَـاكب في الجُـلول[2]

قال ابن هشام: أنشدني قولـه: فلولا ربّنا، وقـوله: لـولا ربُنا، وقـوله: مكشّفة المناكب في الجلول، رجل من الأنصار، أو من خُزاعة.

أمر العَقَبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إنّ مُصْعب بن عُميـر رجع إلى مكـة، وخرج من خـرج من الأنصارِ من المسلمين إلى المـوسم مـع حُجّاج قـومهم من أهـل الشِرك، حتى قدِموا مكة، فـواعدوا رسـول الله ـ ﷺ ـ العَقَبَة، من أوسط أيـام التشريق، حين أراد من كرامته، والنصر لنبيّه، وإعزاز الإسـلام وأهله، وإذلال الشِرك وأهله.

البراء بن معرور يصلّي إلى الكعبة: قال ابن اسحاق: حدّثني مَعْبد بن كعب بن مـالك بن أبي كعب بن القَيْن، أخـو بني سَلِمة، أنّ أخـاه عبـدالله ابن كعب، وكـان من أعلم الأنصار، حـدّثه أنّ أبـاه كعباً حـدّثه، وكـان كعب ممن شهِد العقبة وبايع رسول الله ـ ﷺ ـ بها، قال: خرجنا في حُجّاج قومنا من المشركين، وقد صلّينا وفقِهنا، ومعنا البراء بن معـرور، سيّدنـا وكبيرنـا، فلما وجّهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينـة، قال البـراء لنا: يـا هؤلاء، إنّي قد رأيت رأياً، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قـد رأيت أن لا أدع هذه البُنِيّة منّي بظهر، يعني الكعبـة، وأن أصلّي إليها. قـال: فقلنا، والله ما بلغنا أنّ نبيّنا ﷺ يصلّي إلاّ إلى الشـام، وما نـريد أن نخـالفه. قال: فقال: إنّي لمُصَلٍّ إليها. قال: فقلنا لـه: لكنّا لا نفعـل، قال: فكنّـا إذا حضرت الصلاة صلّينا إلى الشام، وصلّى إلى الكعبة، حتى قدِمنا مكة. قال: وقد كنّا عِبْنا عليه ما صنع، وأبى إلاّ الإقامة على ذلـك. فلما قـدِمنا مكـة قال

---

(١) الجليل: جبل معروف في الشام.

(٢) ترسف: تمشى مشي المقيّد، والجلول: جمع جلّ وهو ما تلبسه الدابّة لتصان به.

لي: يا بن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله - ﷺ -، حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إيّاي فيه. قال فخرجنا نسأل عن رسول الله - ﷺ -، وكنّا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله - ﷺ -، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل تعرفان العبّاس بن عبد المطلّب عمّه؟ قال: قلنا: نعم - قال كنّا نعرف العباس، وكان لا يزال يقدَم علينا تاجراً - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العبّاس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العبّاس جالس، ورسول الله - ﷺ - جالس معه، فسلّمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسول الله - ﷺ - للعبّاس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن مَعرور، سيّد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله - ﷺ -: «الشاعر»؟ قال: نعم، قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبيّ الله، إنّي خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيّة منّي بظهر، فصلّيت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: كنت على قِبلة لو صبرت[1] عليها. قال: فرجع البراء إلى قِبلة رسول الله - ﷺ -، وصلّى معنا إلى الشام. قال: وأهله

(١) قول رسول الله - ﷺ -: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله: لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلّى؛ لأنه كان متأوّلاً.

وفي الحديث: دليل على أنّ رسول الله - ﷺ -، كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلّى إلى بيت المقدس إلاّ مذْ قدِم المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً، فعلى هذا يكون في القِبلة نسخان نسخ سنة بقرآن، وقد بيّن حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروي عنه من طرق صِحاح أنّ رسول الله - ﷺ -، كان إذا صلّى بمكة استقبل بيت المقدس، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما كان عليه السلام يتحرّى القبلتين جميعاً لم يبن توجّهه إلى بيت المقدس للناس، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له في الآية الناسخة: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: من أيّ جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس، أو لم تكن، لأنه كان بمكة يتحرّى في استقباله بيتَ المقدس أن تكون الكعبة بين يديه، وتدبّر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ وقال لأمّته: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم[1].

قال ابن هشام: وقال عون بن أيّوب الأنصاريّ:

ومنّا المُصلّي أوَّلَ النّاسِ مُقْبِلاً   على كعبةِ الرَّحْمن بين المَشاعِرِ

يعني البراء بن معرور. وهذا البيت في قصيدة له.

إسلام عبدالله بن عمرو بن حَرام: **قال ابن إسحاق:** حدّثني مَعْبد ابن كعب، أنّ أخاه عبدالله بن كعب حدّثه أنّ أباه كعب بن مالك حدّثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحجّ، وواعدنا رسول الله - ﷺ - بالعَقَبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحجّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله - ﷺ - لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حَرام أبو جابر، سيّد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكّنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيّد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً؛ ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله - ﷺ - إيّانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العَقَبة، وكان نقيباً[2].

امرأتان في البيعة: قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله - ﷺ -، نتسلّل تسلّل القطا مُستخفِين، حتى اجتمعنا في الشِعْب عند العَقَبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نُسَيبة بنت كعب، أم عُمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجّار؛ وأسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي، إحدى نساء بني سَلِمة، وهي أم منيع.

العبّاس يستوثق من الأنصار: قال: فاجتمعنا في الشِعْب ننتظر رسول الله - ﷺ -، حتى جاءنا ومعه عمّه العبّاس بن عبدالمطّلب، وهو يومئذ على

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٠، ٣٦١، تاريخ الإسلام ٣٠١، ٣٠٢.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦١، تاريخ الإسلام ٣٠٢.

دِين قومه، إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمـر ابن أخيه ويتـوثّق له. فلمـا جلس كان أول متكلّم العباس بن عبد المـطّلب فقال يـا معشر الخـزرج ـ قال: وكـانت العرب إنّما يسمّون هذا الحيّ من الأنصار: الخزرج. خزْرجها وأَوْسها ـ: إنّ محمداً منّا حيث قد علِمتم وقد منعناه من قومنا، ممّن هو على مثل رأينا فيـه، فهو في عِزٍّ من قومه ومَنعة في بلده، وإنه قد أبى إلّا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإنْ كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانِعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلِموه وخاذِلوه بعـد الخروج بـه إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عزّ ومنعة من قومه وبلده. قـال: فقلنا لـه: قد سمعنا ما قلت فتكلّم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولرّبك ما أحببت.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصـار: قال: فتكلّم رسـول الله ـ ﷺ ـ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعـوني مما تمنعـون منه نسـاءكم وأبناءكم. قـال: فأخـذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحقّ لَنَمْنَعَنَّكَ مما نمنع منه أُزُرَنـا[1] فبايِعْنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الْحَلَقَة[2]، ورِثنـاها كـابراً عن كابر. قال: فاعترض القول، والبـراء يكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ، أبـو الهيثم ابن التَّيْهَان، فقال: يا رسول الله: إنّ بيننا وبين الرحال حبالاً، وإنّـا قاطعـوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إنْ نحن فعلنـا ذلك ثم أظهـرك الله أن ترجـع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسّم رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم[3]، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

---

(١) العـرب تُكنّي عن المرأة بـالإزار وتُكَـنِّي أيضـاً بـالإزار عن النفس، وتجعل الثـوب عبـارة عن لابسه كما قال:

رمـوهـا بـأثـواب خِفـافٍ فـلا تـرى لهـا شَبَهـاً إلّا النّـعـام المـنـفّـرا

أي: بـأبدان خِفـافٍ، فقولـه ممـا نمنـع أُزُرنـا يحتمـل الـوجهين جميعـاً. (الـروض الأنف ٢/٢٠٢).

(٢) أي أهل السلاح.

(٣) قال ابن قُتيبة: كانت العرب تقـول عند عقْـد الحلْف والجوار: دمي دمـك وهدمي هـدمك، =

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَم الهَدَم: يعني الحُرمة. أي ذمتي ذمّتكم، وحُرمتي حُرمتكم.

قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: أَخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس[1].

أسماء النقباء الاثني عشر

نقباء الخزرج: **قال ابن هشام**: من الخزرج ـ فيما حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي ـ أبو أُمامة أسعد بن زُرارة ابن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج؛ وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. ورافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج؛ والبراء ابن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد بن عدِيّ بن غَنْم بن

= أي: ما هدمتَ من الدماء هدمتُه أنا، ويقال أيضاً: بل اللَّدْم اللَّدم والهدم الهدم وأنشد:

ثم الحقي بهدمي ولدْمي

فالّلدم: جمع لادم، وهم أهله الذي يلتدمون عليه إذا مات، وهو من لدمت صدره: إذا ضربته. والهدم قال ابن هشام: الحُرمة، وإنّما كنّى عن حُرمة الرجل وأهله بالهدم، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحلوا. ولهم بيوت يستخفّونها يوم ظَعنهم فكلما ظعنوا هدموها، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى، ثم قال: هدمي هدمك أي: رحلتي مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب:

تمضي إذا زجرت عن سوأة قدماً كأنها هدم في الجفر منقاض

(الروض الأنف ٢/٢٠٢، ٢٠٣).

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦١ ـ ٣٦٣، دلائل النبوّة للبيهقي، تاريخ الإسلام ٣٠٢، ٣٠٣.

كعب بن سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم ابن الخزرج؛ وعبدالله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وعُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم ابن سالم بن عَوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وسعد بن عُبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي خُزيمة ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ والمنذر ابن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ قال ابن هشام: ويقال: ابن خنيس.

نقباء الأوس: ومن الأوس: أُسَيد بن حُضَير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أُميّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك في النقباء: قال ابن هشام: وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيهان، ولا يعدّون رفاعة. وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبلِغْ أُبَيّا أنّه فَالَ رأيهُ ... وحان غداة الشِّعب والحَينُ واقعُ[1]

أبى الله ما منَّتْك نفسُك إنه ... بمِرْصاد أمرِ الناس راءٍ وسامع

---

(١) فال: بطُل.

وأبلغ أبـا سُفيان أنْ قـد بـدا لنـا ... بـأحمـد نـورٌ من هُـدَى الله سـاطـع
فـلا تـرغبنْ في حشْـد أمـر تُـريـده ... وألِّب وجَمِّـع كـلَّ مـا أنت جـامـع
ودونـك فـاعلم أنّ نقضَ عُهـودنـا ... أبـاه عليـك الـرَّهطُ حين تبـايعـوا
أبـاه البـراء وابن عَمـرو كـلاهمـا ... وأسـعـدُ يـأبـاه عـليـك ورافـع
وسعـد أبـاه السَّـاعـديُّ ومُنـذِر ... لأنفـك إن حـاولت ذلـك جـادع
ومـا ابنُ ربيـع إنْ تنـاولتَ عهـدَه ... بمُسْلِمِـه لا يـطمعـنْ ثَمَّ طـامـع
وأيضـاً فـلا يُعـطيكـه ابنُ رَواحـة ... وإخفـاره مِن دونـه الـسمُّ نـاقـع
وفـاءً بـه والقـوقليّ بـن صـامت ... بمَنْـدوحـة عمـا تُحـاول يـافـع[1]
أبـو هـيثـم أيضـاً وفـيٌّ بـمـثـلهـا ... وفـاءً بما أعـطَى من العهد خـانـع[2]
ومـا ابن حُضَيـر إن أردت بمَـطْـمـع ... فهـل أنت عن أُحمـوقـة الغيّ نـازع
وسعـد أخو عَمـرو بن عَـوْف فـإنـه ... ضَـروح لِما حـاولتَ مِلأَمـر مانـع[3]
أولاك نُـجـوم لا يُـغـبُّـك مـنـهـمُ ... عليك بنَحْسٍ في دُجَى الليل طـالع

فذكر كعب فيهم «أبا الهيثم بن التَّيهان» ولم يذكر «رفاعة».

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال للنقباء «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريِّين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» ـ يعني المسلمين ـ قالوا: نعم[4].

ما قاله العبّاس بن عبادة للخزرج: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم ابن عمر بن قَتادة: أنّ القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ـ ﷺ ـ قال العباس ابن عبادة بن نضلة الأنصاريّ، أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم؛ قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم

---

(١) اليافع: العالي.
(٢) الخانع: الذليل.
(٣) ضروح: أي دافع عن نفسه.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٦٣، تاريخ الإسلام ٣٠٥.

مصيبة، وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإنْ كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهْكة الأموال[1]، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتْل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إنْ نحن وَفينا؟ قال: الجنة. قالوا: أبسُطْ يدك؛ فبسط يده فبايعوه[2].

وأما عاصم بن عمر بن قَتادة فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشدّ العقد لرسول الله ـ ﷺ ـ في أعناقهم.

وأما عبدالله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلّا ليؤخّر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبدالله بن أُبيٍّ بن سَلُول، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال ابن هشام: سَلُول: امرأة من خُزاعة، وهي أمّ أُبَيّ بن مالك بن الحارث.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية: قال ابن إسحاق: فبنو النجّار يزعمون أنّ أبا أُمامة، أسعد بن زُرارة، كان أول من ضرب على يده؛ وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الْهيثم بن التَّيهان[3].

قال ابن إسحاق: فأما مَعْبد بن كعب بن مالك فحدّثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ـ ﷺ ـ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم.

الشيطان يصرخ بعد بيعة العقبة: فلما بايعنا رسول الله ـ ﷺ ـ صرخ الشيطان من رأس العَقبة بأنفذ صوتٍ سمعته قطّ: يا أهل الجباجب ـ والجباجب: المنازل[4] ـ هل لكم في مذمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على

---

(١) نهكة الأموال: نقصها.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٣، ٣٦٤.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤.
(٤) المنازل: منازل مِنى.

حربكم. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: هذا أَزَبّ[1] العقبة، هذا ابن أُزيب ـ قال ابن هشام: ويقال ابن أُزَيب ـ أتسمع أي عدوّ الله، أما والله لأفْرُغَنَّ لك[2].

الأنصار تستعجل الحرب: قال: ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: ارفضُّوا إلى رحالكم. قال: فقال له العباس بن عُبادة بن نَضْلة: والله الذي بعثك بالحقّ: إن شئت لنميلنّ على أهل مِنَى غداً بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قريش تجادل الأنصار: قال: فلما أصبحنا غَدَت علينا جِلّة قريش، حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنّكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظْهُرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث مَن هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمنا. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، وعليه نعلان له جديدان. قال فقلت له كلمة ـ كأنّي أريد أن أشرَك القوم بها فيما قالوا ـ: يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتّخذ. وأنت سيّد من سادتنا، مثل نعليْ هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رِجْليه ثم رمى بهما إليّ، وقال: والله لتنتعلنّهما. قال: يقول: أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى، فاردُدْ إليه نعليه. قال: قلت: والله لا أردّهما، فأل والله صالحٌ، لئن صدق الفأل لأسلبنّه[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبدَالله بن أُبَيّ بن سَلُول، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول؛ فقال لهم: إنّ هذا الأمر

---

(١) أزبّ العقبة: اسم الشيطان.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٤.

(٣) في دلائل النبوّة للبيهقي «أستلبه». والخبر في تاريخ الطبري ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام: ٣٠٤.

جسيم، ما كان قومي ليتفوَّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه[1].

قريش تأسر سعد بن عُبادة: قال: ونَفَر الناس من مِنى، فتنطّس القوم الخبر[2]، فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عُبادة بأذاخر، والمنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فأعجز القوم؛ وأما سعد فأخذوه، فربطوا يديه إلى عنقه بنِسْع[3] رَحْله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجُمَّته[4]، وكان ذا شَعر كثير.

خلاص سعد: **قال سعد**: فوالله إنّي لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفرٌ من قريش، فيهم رجل وضيء أبيض، شعشاع، حلو من الرجال[5].

(**قال ابن هشام**: الشعشاع الطويل الحسن. قال رؤبة:

يمطّوه من شعشاع غير مُودن

يعني: عنق البعير غير قصير، يقول: مُودن اليد، أي ناقص اليد)[6].

قال: فقلت في نفسي: إن يك عند أحدٍ من القوم خير، فعند هذا؛ قال: فلما دنا منّي رفع يده فلكمني لكمةً شديدة. قال: فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير. قال: فوالله إنّي لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل ممن كان معهم، فقال ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى، والله، لقد كنت أُجير لجبَير بن مُطعِم بن

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٠٥.
(٢) دققوا في البحث عنه.
(٣) النسع: الشراك الذي يشدّ به الرحل.
(٤) الجُمَّة: مجمع الشعر.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٦٧.
(٦) ما بين القوسين ليس في طبعة السقا والأبياري وشلبي (ص ٤٤٩). وأثبتوه في الحاشية، وسقط من طبعة مصر التي نشرها طه عبدالرؤوف سعد (٢/١٩٣).

عَدِيّ بن نوفل بن عبدمَناف؛ قال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما. قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إنّ رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ويهتف بكما، ويذكر أنّ بينه وبينكما جواراً؛ قالا: ومن هو؟ قال سعد بن عُبادة؛ قالا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجّارنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده. قال: فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: وكان الرجل الذي أوى إليه، أبا البَخْتَرِيّ بن هشام.

قال ابن إسحاق: وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين، قالهما ضرار[1] بن الخطّاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فِهْر.

تداركت سعداً عَنوةً فأخذته ... وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نِلْتُهُ[2] طُلَّت هناك جِراحُه ... وكان حَرِيًّا أن يُهانَ ويُهدَرا

قال ابن هشام: يُرْوَى: وكان حقيقاً أن يُهان ويهدرا.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت فيهما فقال:

لستَ إلى سعدٍ ولا المرءُ مُنْذِر ... إذا ما مَطايا القوم أصْبَحْنَ ضُمَّرا
فلولا أبو وَهْبٍ لَمَرَّت قصائِدٌ ... على شَرَفِ البَرْقاء يَهْوِينَ حُسَّرا
أتَفْخُرُ بالكَتّانِ لمّا لَبِسْتَه ... وقد تَلْبَس الأَنْباطُ رَيْطاً مقصّر[3]
فلا تكُ كالوَسْنان يحلُم أنَّه ... بِقَرْيَة كِسْرَى أو بقرية قَيْصَرا
ولا تك كالثَّكْلَى وكانت بمَعْزِلٍ ... عن الثُّكْل لو كان الفؤادُ تفكَّرا

---

(١) كان شاعر قريش وفارسها، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزِّبَعْرِي بن قيس بن عَدِيّ، وكان جدّه مرداس رئيس بني محارب بن فِهْر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع، وهو ربع الغنيمة، وكان أبوه أيام الفِجار رئيس بني محارب بن فِهْر، أسلم ضرار عام الفتح. (الروض الأنف ٢/٢٠٤).

(٢) طُلَّت: هُدِرت.

(٣) الريط: الملاحف البيض.

ولا تكُ كالشّاة التي كان حتْفُها بِحَفْرِ ذِراعَيْها فلم تَرْضَ مَحْفَرا[1]
ولا تكُ كالعاوِي فأقبل نَحْرَه ولم يَخْشَه سَهما من النَّبْل مُضْمَرا
فإنّا ومَن يُهْدِي القصائِدَ نَحْوَنا كمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أهل[2] خيبرا

قصّة صنم عَمرو بن الجَمُوح

فلما قدِموا المدينةَ أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرْك، منهم عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شهِد العَقَبة، وبايع رسول الله ﷺ، وكان عمرو بن الجَمُوح سيّداً من سادات بني سَلِمة، وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب، يقال له: مُناة[3]، كما كانت الأشراف يصنعون، تتّخذه إلٰهاً تعظّمه وتطهّره، فلما أسلم فتيان بني سَلِمة: مُعاذ بن جبل؛ وابنه مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح، في فتيان منهم ممن أسلم وشهِد العقبة، كانوا يُدْلجون بالليل على صنم عَمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمَة، وفيها عُذَر[4] الناس، منكّساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو، قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسّله وطهّره وطيّبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأُخْزِيَنّه. فإذا أمسى ونام عمرو، عَدَوْا عليه، ففعلوا به مثل

---

(١) تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شراً كالباحث عن المدية، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغي نفسه من يجيرها
وكان كعنز السوء قامت بظلفها إلى مدية تحت التراب تثيرها

(الروض الأنف ٢/٢٠٥).

(٢) وفي رواية «أرض».

(٣) مُناة: ووزنه: فُعْلة، من مُنيت الدم إذا صببته، لأنّ الدماء كانت عنده تُمنَى، ومن هنا سُمّيت الأصنام: دُمَى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ومَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ أي ثالثة للّات والعُزّى. (الروض ٢، ٢١٤).

(٤) فضلات الناس.

ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسّله ويطهّره ويطيّبه، ثم يعدون عليه، إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسّله وطهّره وطيّبه، ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثم قال: إنّي واللهِ ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو، عَدَوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلِمةَ، فيها عُذَر من عُذَر الناس، ثم عدا عمرو بن الجَمُوح فلم يجده في مكانه الذي كان به.

إسلام عمرو وما قاله من الشعر: فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميّت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلّمه من أسلم من قومه، فأسلم برحمة الله، وَحَسُنَ إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلٰهاً لم تكن ... أنت وكلبٌ وسْط بئرٍ في قَرَنْ[1]
أفٍّ لمَلْقاك إلٰهاً مُسْتَدَنْ ... الآن فتَّشْناكَ عن سُوء الغَبَنْ[2]
الحمد لله العليّ ذي المِنَنْ ... الواهبِ الرّزاق ديَّان الدِّيَنْ[3]
هو الذي أنقذني من أن ... أكونَ في ظُلمة قبرٍ مُرْتَهِنْ
بأحمدَ المهدي النّبيّ المرتهنْ

---

(١) القَرَن: الحبل.

(٢) مستدن: مستعبد، والغَبن: السفه.

(٣) الدِّين: جمع دِينة وهي العادة، ويقال لها دين أيضاً، وقال ابن الطثريّة واسمه يزيد:

أرى سبعةً يَسْعَون للوصْل كلّهم ... له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا ... فما صار لي في القَسم إلّا ثمينها

ويجوز أن يريد بالدين الأديان، أي: هو ديان أهل الأديان ولكن جمعها على الدِّيَن لأنها مِلَل ونِحَل كما قالوا في جمع الحُرَّة حرائر، لأنهنّ في معنى الكرائم والعقائل. (الروض الأنف ٢/٢١٤).

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب، حين أذِن الله لرسوله ﷺ في القتال شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذِن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عُبادة بن الوليد بن الصّامت، عن أبيه الوليد، عن جدّه عُبادة بن الصّامت، وكان أحد النقباء، قال:

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ـ وكان عُبادة من الأثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء ـ على السمع والطاعة، في عُسْرنا ويُسْرنا ومُنْشَطِنا ومُكْرَهنا، وأثْرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم[1].

أسماء من شهِد العَقَبة الأخيرة

قال ابن إسحاق: وهذا تسمية من شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها من الأوس والخزرج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين.

شهِدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبدالأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِماك بن عتيك بن رافع بن امريء القيس بن زيد بن عبدالأشهل، نقيب لم يشهد بدراً. وأبو الهيثم بن التَّيهان، واسمه مالك، شهد بدراً. وسلمة بن سلامة بن وقش بن زُغبة بن زعُوراء بن عبدالأشهل، شهد بدراً، ثلاثة نفر. قال ابن هشام ويقال: ابن زعَوراء. (بفتح العين).

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٨.

قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: ظهير بن رافع بن عَدِيّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة، وأبو بردة بن نِيار، واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عُبيد بن كلاب بن دهمان بن غَنْم بن ذبيان بن هُميم بن كامل بن ذهل بن هنيّ بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، حليف لهم، شهد بدراً. ونُهير بن الهيثم، من بني نابي بن مجدعة بن حارثة، بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس؛ ثم من آل السوّاف بن قيس بن عامر بن نابي بن مَجدعة بن حارثة. ثلاثة نفر.

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس: سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس، نقيب، شهد بدراً، فقُتل به مع رسول الله ﷺ شهيداً.

قال ابن هشام: ونَسَبَه ابن إسحاق في بني عمرو بن عوف؛ وهو من بني غَنْم بن السلم، لأنه ربّما كانت دعوة الرجل في القوم، ويكون فيهم فيُنسب إليهم.

قال ابن إسحاق: ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبر بن زيد بن أُميَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو، نقيب، شهد بدراً. وعبدالله بن جُبير بن النُعمان بن أُميَّة بن البرَك - واسم البرك: امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس - شهد بدراً، وقُتل يوم أُحُد شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ على الرماة؛ ويقال: أُميَّة بن البَرْك، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ومعن بن عَدِيّ بن الجدّ بن العَجْلان بن حارثة بن ضُبيعة، حليف لهم من بَليّ، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، ومشاهد رسول الله ﷺ كلّها، قُتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه. وعُويم بن ساعدة، شهد بدراً وأُحُداً والخندق. خمسة نفر.

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلاً[1].

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر؛ ثم من بني النّجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج: أبو أيوب، وهو خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النّجّار شهد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها؛ مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان. ومُعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النّجّار، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها، وهو ابن عفراء، وأخوه عوف بن الحارث شهد بدراً وقُتل به شهيداً، وهو لعفراء. وأخوه معوّذ بن الحارث، شهد بدراً وقُتل به شهيداً، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة، وهو لعفراء ـ ويقال: رفاعة بن الحارث بن سواد، فيما قال ابن هشام ـ وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النّجّار: شهد بدراً وأُحُداً والخندق، والمشاهد كلها، قُتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وأسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، مات قبل بدر ومسجد رسول الله ﷺ يُبنَى، وهو أبو أُمامة. ستة نفر.

ومن بني عمرو بن مبذول ـ ومبذول: عامر بن مالك بن النّجّار ـ: سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو، شهد بدراً. رجل.

ومن بني عمرو بن مالك بن النّجّار، وهم بنو حُديلة ـ **قال ابن هشام**: حُديلة: بنت مالك بن زيد مَناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ـ أوس بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار، شهد بدراً، وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عَدِيّ بن مالك بن النّجّار شهد بدراً. رجلان.

---

(١) تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٥، ٣٠٦.

ومن بني مازن بن النجّار، قيس بن أبي صعصعة، واسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، شهد بدراً، وكان رسول الله ﷺ جعله على الساقة يومئذ. وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن. رجلان. فجميع من شهد العقبة من بني النجّار أحد عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء، هذا الذي ذكره ابن إسحاق، إنّما هو غزيّة بن عمرو بن عطية بن خنساء.

قال ابن إسحاق: ومن بلحارث بن الخزرج: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدراً وقُتل يوم أُحُد شهيداً. وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، شهد بدراً وقُتل يوم أُحُد شهيداً. وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدراً وأُحُداً والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، إلاّ الفتح وما بعده، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله ﷺ. وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، أبو النعمان بن بشير، شهد بدراً. وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدالله بن زيد مَناة بن الحارث بن الخزرج، شهد بدراً، وهو الذي أُرِي النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به. وخلّاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، وقُتل يوم بني قريظة شهيداً، طُرحت عليه رحى من أطمٍ من آطامها فشدختة شدخاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ «إنّ له لأجرَ شهيدين». وعُقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عُسَيْرَة بن جِدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، وهو أبو مسعود وكان أحدَث من شهد العقبة سنّاً، مات

في أيام معاوية، لم يشهد بدراً، سبعة نفر.

من بني بَيَاضة بن عامر بن زُريق بن عبد حارثـة بن مالـك بن غَضْب بن جُشَم بن الخـزرج. زيـاد بن كبيـر بن ثعلبـة بن سنـان بن عـامـر بن عـديّ بن أُميَّـة بن بياضـة، شهد بـدراً. وفروة بن عمـرو بن وذفة بن عُبيـد بن عـامـر بن بياضة، شهد بدراً. قال ابن هشام: ويقال: ودفة.

قـال ابن إسحاق: وخـالد بن قيس بن مـالك بن العَجْـلان بن عامـر بن بياضة شهد بدراً. ثلاثة نفر.

ومن بني زُريق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالـك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن مالـك بن العَجْـلان بن عمرو بن عـامر بن زُريق، نقيب. وذَكْوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق، وكـان خرج إلى رسـول الله ﷺ، وكان معـه بمكة وهـاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينـة، فكـان يقال لـه: مهاجـريّ أنصاريّ: شهـد بـدراً وقُتـل يـوم أُحُـد شهيـداً[1]. وعبّاد بن قيس بن عامـر بن خلدة بن مخلّد بن عامـر بن زُريق، شهد بـدراً. والحارث بن قيس بن خالد بن مخلّد بن عامـر بن زُريق، وهو أبـو خالـد شهد بدراً. أربعة نفر.

ومن بني سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخـزرج؛ ثم من بني عُبيـد بن عَـدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سلمـة: البـراء بن معرور بن صخر بن خنسـاء بن سنان بن عُبيـد بن عَدِيّ بن غَنْم، نقيب، وهـو الذي تزعم بنو سَلِمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ وشرط له. واشتـرط عليه، ثم تُـوفّي قبل مقـدَم رسول الله ﷺ المـدينـة. وابنـه بِشْـر بن البراء بن معرور، شهـد بدراً وأُحُـداً والخندق ومـات بخيبر من أَكْلة أكلهـا مع رسول الله ﷺ، من الشاة التي سُمّ فيها[2] ـ وهو الـذي قال لـه رسول الله ﷺ،

---

(١) تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٦.
(٢) أنـظر الحديث عن مـوت بشر مسمـوماً في: صحيـح البخاري (٨٤/٥) في المغـازي، باب =

حين سأل بني سَلِمة: «من سيّدكم يا بني سَلِمة؟» فقالوا: الجدّ بن قيس، على بُخله؛ فقال رسول الله ﷺ: «وأيّ داء أكبر من البخل»؟ سيد بني سَلِمة الأبيض الجعد بِشْر بن البراء بن معرور ـ وسنان بن صيفيّ بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً، وقُتل يوم الخندق شهيداً. والطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد، شهد بدراً، وقتل يوم الخندق شهيداً. ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً. ويزيد بن المنذر، شهد بدراً. ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عُبيد. والضحّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد، شهد بدراً، ويزيد بن حَرام بن سُبيع بن خنساء بن سنان بن عُبيد. وجبّار بن صخر بن أُميّة بن خنساء بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً.

قال ابن هشام: ويقال: جبّار بن صخر بن أُميّة بن خناس.

قال ابن إسحاق: والطُّفَيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عُبيد، شهد بدراً. أحد عشر رجلاً.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بني كعب بن سواد: كعب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن بن كعب. رجل.

ومن بني غَنْم بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: سُليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدراً. وقُطْبة بن عامر بن حُديدة بن عمرو بن غَنْم، شهد بدراً. وأخوه يزيد بن عامر بن حُديدة بن عمرو بن غَنْم، وهو أبو

= الشاة التي سُمَّت للنبيّ ﷺ في خيبر، و(١٤١/٣) في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم (٢١٩٠) في السلام، باب السمّ، وأبو داود في الديات (٤٥٠٨) و(٤٥٠٩) و(٤٥١٠) و(٤٥١١) و(٤٥١٢) و(٤٥١٣) و(٤٥١٤) باب فيمن سقى رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمات، أيُقاد منه؟ وابن ماجه، في الطب (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمد في المسند ٣٠٥/١ و٣٧٣، وابن سعد في الطبقات ٢٠٢/٢، ٢٠٣، والذهبي في تاريخ الإسلام ٥٢٣، ٥٢٤، ومجمع الزوائد للهيثمي ٢٩٥/٨، ٢٩٦ باب ما جاء في الشاة المسمومة، وقال: رواه الطبراني والبزار.

المنذر، شهد بدراً. وأبو اليَسَر، واسمه كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم، شهد بدراً. وصيفي بن سواد بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم، خمسة نفر.

قال ابن هشام: صيفي بن أسود بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة: ثعلبة بن غنمة بن عَدِيّ بن نابي، شهد بدراً، وقُتل بالخندق شهيداً، وعمرو بن غنمة بن عدِيّ بن نابي، وعَبس بن عامر بن عَدِيّ بن نابي، شهد بدراً. وعبدالله بن أنيس، حليف لهم من قُضاعة. وخالد بن عمرو بن عَدِيّ بن نابيّ خمسة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن كعب بن سَلمة: عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، نقيب، شهد بدراً، وقُتل يوم أحد شهيداً، وابنه جابر بن عبدالله، ومُعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، شهد بدراً وثابت بن الجذع ـ والجذع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ـ شهد بدراً، وقُتل بالطائف شهيداً. وعُمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام، شهد بدراً. قال ابن هشام: عُمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفُرافر، حليف لهم من بَليّ. ومُعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد؛ ويقال: أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج؛ وكان في بني سَلِمة، شهد بدراً، والمشاهد كلّها، ومات بعَمَواس، عام الطاعون بالشام، في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وإنّما ادّعته بنوسَلِمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجدّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة. سبعة نفر.

قال ابن هشام: أوس: ابن عبّاد بن عَدِيّ بن كعب بن عمـرو بن أذن بن سعد.

قـال ابن إسحـاق: ومن بني عـوف بن الخـزرج؛ ثم من بني سـالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف: نقيب، شهد بدراً والمشاهد كلها.

قـال ابن هشام: هـو غَنْم بن عوف، أخـو سالم بن عـوف بن عمـرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: والعبّاس بن عُبادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْـلان بن زيـد بن غَنْم بن سـالم بن عـوف، وكـان ممن خـرج إلى رسـول الله ﷺ وهـو بمكـة، فأقـام معه بهـا، فكان يقـال له: مهـاجريّ أنصـاريّ، وقُتل يـوم أُحُد شهيـداً، وأبو عبـد الرحمن يـزيد بن ثعلبـة بن حزَمـة بن أصـرم بن عمـرو بن عمـارة، حليف لهم من بني غُصَينة من بَليّ. وعمـرو بن الحارث بن لِبْـدة بن عمرو بن ثعلبة؛ أربعة نفر، وهم القواقل.

ومن بني سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بني الحُبلـيّ - قال ابن هشـام: الحُبُلي: سـالم بن غنم بن عـوف، وإنّمـا سُمّي الحُبْليّ - لعِظَم بطنه: رفاعة بن عمرو بـن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم. شهد بدراً، وهو أبو الوليد.

قـال ابن هشام: ويقـال: رفاعـة: ابن مالـك، ومالـك: ابن الوليـد بن عبدالله بن مالك بن ثعلبة بن جُشَم بن مالك بن سالم.

قـال ابن إسحـاق: وعُقبـة بن وهْب بن كَلَدة بن الجعـد بن هـلال بن الحـارث بن عمـرو بن عَـدِيّ بن جُشَم بن عـوف بن بهثـة بن عبـدالله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، حليف لهم، شهد بدراً، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجـراً من المدينـة إلى مكة، فكـان يقال لـه: مهـاجـريّ أنصاريّ.

قال ابن هشام: رجلان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عُبادة بن حارثة بن أبي خُزَيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، نقيب، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشَم بن الخزرج بن ساعدة، نقيب، شهد بدراً وأُحُداً، وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له: أعنق ليموت. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: ابن عمرو بن حنش.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء إنّما كان يأخذ عليهنّ، فإذا أقررن، قال: اذهبن فقد بايعتكنّ.

ومن بني مازن بن النّجار: نَسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف من مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، وهي أمّ عمارة، كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معها أختها. وزوجها زيد بن عاصم بن كعب. وابناها: حبيب بن زيد، وعبدالله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسيلمة الكذّاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم فيقول: أفتشهد أنّي رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده[1]، لا يزيده على ذلك، إذا ذكر له رسول الله ﷺ آمن به وصلّى عليه، وإذا ذُكر له مُسيلمة قال: لا أسمع - فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين، فباشرت الحرب بنفسها. حتى قتل الله مُسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً، من بين طعنة وضربة.

قال ابن إسحاق: حدّثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حِبّان، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة.

---

(١) تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٠٨.

ومن بني سَلِمة: أم منيع؛ وأسمها: أسماء بنت عمرو بن عَدِيّ بن نابي بن عمرو بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة[1].

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال[2]

بسم الله الرحمن الرحيم. قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العَقَبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلَّل له الدماء، إنّما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطّهدت من اتّبعه من المهاجِرين حتى فتنوهم عن دينهم ونَفَوْهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين معذَّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم مَن بأرض الحبشة، ومنهم مَن بالمدينة، وفي كل وجه؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذّبوا نبيّه ﷺ، وعذّبوا ونفوا من عبده ووحّده وصدّق نبيّه، واعتصم بدينه، أذِن الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ في القتال، والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أُنزلت في إذنه في الحرب، وإحلاله الدماء والقتال، لِمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عُروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ، وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا**

---

(١) راجع زيادة في أنساب من ذُكروا وأخباراً كثيرة عنهم في الروض الأنف ج ٢ ص ٢١٤ وما بعدها.

(٢) تاريخ الطبري ٣٦٨/٢، نهاية الأرب ٣٢١/١٦.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَللهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ﴾[1]: أي أني إنّما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، إلاّ أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، يعني النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ للهِ﴾[2]. أي حتى يُعبد الله، لا يُعبد معه غيره.

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة: قال ابن إسحاق: فلما أذِن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحيّ من الأنصار على الإسلام والنُصرة له ولِمَن اتّبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: «إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها». فخرجوا أرسالا[3]، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، واسمه: عبدالله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدِم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً[4].

---

(١) سورة الحج ـ الآيات ٣٩ ـ ٤١.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٩٣.
(٣) جماعة وراء جماعة.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، نهاية الأرب ١٦/٣٢٢، الطبقات الكبرى ١/٢٢٦.

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسَار، عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدّته أم سلمة، زوج النبيّ ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل لي بعيره ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجْري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسي: سنة أو قريباً منها حتى مرّ بي رجل من بني عمّي، أحد بني المغيرة، فرأى مابي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تُخرِجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي؛ الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبدالأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجْري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدَم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أُميَّة؟ قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال: أوَما معك أحد؟ قالت: فقلت: لاوالله، إلاّ الله وبُنيّ هذا. قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبْت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عنّي، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثم قيّده في الشجرة، ثم تنحّى

(١) موضع على فرسخين من مكة.

عنّي إلى شجرة، فاضطّجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدّمه فرحّله ثم استأخر عنّي، وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء، قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة[1].

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدِمها من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عدِيّ بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم بن عبدالله بن عوف بن عُبيد بن عَدِيّ بن كعب. ثم عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزيمة، حليف بني أُميّة بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد ـ وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أُميمة بنت عبدالمطّلب بن هاشم ـ فغلقت دار بني جحش[2] هجرة، فمرّ بها عُتبة بن ربيعة. والعبّاس بن عبدالمطّلب، وأبو

---

(١) وقد كان عثمان يومئذ على كُفره، وإنّما أسلم عثمان في هدنة الحُديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقُتل يوم أُحُد إخوته مسافع، وكلاب والحارث، وأبوهم، وعمه عثمان ابن أبي طلحة قُتل أيضاً يوم أُحُد كافراً وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جدّ بني شيبة حَجَبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدّهم: عبدالله بن عبدالله بن عبد العُزّى، وقُتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر. (الروض الأنف ٢١٦/٢). والخبر في أنساب الأشراف ٢٥٨/١، ٢٥٩ رقم ٥٩٩.

(٢) وبنو جحش هم: عبدالله وأبو أحمد واسمه: عبد، وقد كان أخوهم عبيدالله أسلم ثم تنصّر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض، وكانت تحت عبدالرحمن بن عوف، وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مُصعب بن =

جهل بن هشام بن المغيرة، وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالرَدْم، وهم مُصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يباباً[2] ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفَّس الصُّعداء، ثم قال:

وكلّ دارٍ، وإنْ طالتْ سلامتُها   يوماً ستُدركها النَّكْباء والحُوبُ

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دُواد الإيادي في قصيدة له. والحُوب: التوجُّع.

قال ابن إسحاق: ثم قال عُتبة بن ربيعة: أصبحت دار بني جحش خلاءً من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلّ بن قُلّ.

قال ابن هشام: القُلّ: الواحد. قال لَبِيد بن ربيعة:

كل بني حرّةٍ مصيرُهم   قُلّ وإنْ أكثرتْ من العددِ

قال ابن إسحاق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا وقطع بيننا. فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة، وعبدالله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش، على مبشّر بن

= عُمير، وكانت تستحاض أيضاً، وقد رُوي أنّ زينب استحيضت، أيضاً، ووقع في الموطّأ أنّ زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تُستحاض ولم تك قطّ زينب عند عبدالرحمن بن عوف، ولا قاله أحد، والغلط لا يسلم بشر منه، وإنّما كانت تحت عبدالرحمن أختها أم حبيب، ويقال فيها أم حبيبة، غير أنّ شيخنا أبا عبدالله محمد بن نجاح، أخبرني أنّ أم حبيب كان اسمها: زينب، فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطّأ وَهْم ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش بَرَّة فسمّاها رسول الله ـ ﷺ ـ زينب، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام، كان اسمها بَرَّة، فسمّاها زينب كأنّه كره أن تزكّي المرأة نفسها بهذا الأسم، وكان اسم جحش بن رئاب: بُرَّة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا رسول الله لو غيّرت اسم أبي، فإن البرّة صغيرة، فقيل: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها: لو أبوك مسلم لسمّيته باسمٍ من أسمائنا أهل البيت، ولكنّي سمّيته جحش والجحش أكبر من البرة. وذكر هذا الحديث مسنداً في كتاب المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني. (عن الروض الأنف ٢/٢١٦).

(٢) اليباب: القفر.

عبدالمنذر بن زنبر بقُباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدِم المهاجرون أرسالاً، وكان بنو غَنْم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم ونساءهم: عبدالله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعُكّاشة بن مِحصن، وشجاع، وعُقبة، ابنا وهب، وأربد بن حُميِّرة.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُميْرة.

قال ابن إسحاق: ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحْرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، والزُبير بن عُبيد، وتمام بن عُبيدة، وسخبرة بن عُبيدة، ومحمد بن عبدالله بن جحش.

ومن نسائهم: زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجذامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رُقيش، وسخبرة بنت تميم، وحمنة بنت جحش.

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب، وهو يذكر هجرة بني أسد بن خُزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة:

ولو حلفتْ بين الصفا أم أحمد ... ومَرْوتها بالله برّت يمينُها
لنحن الألىٰ كنّا بها ثم لم نزل ... بمكة حتى عاد غثّاً سمينُها
بها خيّمت غَنْم بن دودان وابتنتْ ... وما إنْ غدت غَنْم وخفّ قَطِينُها[1]
إلى الله تغدو بين مَثْنَى وواحد ... ودينُ رسول الله بالحقّ دينُها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً:

لمّا رأتني أم أحمد غادياً ... بذمّة من أخشى بغَيْب وأرهبُ
تقول: فإما كنتَ لابدّ فاعلاً ... فيمِّمْ بنا البلدان ولْتَنْأَ يثربُ

(١) القطين: القوم المقيمون.

فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهُنا | وما يَشأ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يُقم | إلى الله يوماً وجهَه لا يُخيَّب
فكم قد تركنا من حَميم مُناصِح | وناصحة تَبْكي بدَمْع وتندُب
ترى أنّ وتراً نَأْيُنا عن بلادنا | ونحن نَرَى أنّ الرّغائب نطلُب
دعوْت بني غَنْم لحقْن دمائهم | وللحقّ لمّا لاحَ للنّاس مَلْحب[1]
أجابوا بحمد الله لمّا دعاهُم | إلى الحقّ داع والنّجاح فأوْعبوا
وكنّا وأصحاباً لنا فارقوا الهُدَى | أعانوا علينا بالسّلاح وأجلبوا
كفَوْجَيْن: أمّا منهما فمُوفّق | على الحقّ مهديّ، وفوج معذَّب
طغَوْا وتمنَّوا كذبة وأزلّهم | عن الحقّ إبليس فخابوا وخُيِّبوا
ورِعْنا إلى قول النبيّ محمد | فطاب وُلاة الحقّ منّا وطُيِّبوا[2]
نَمُتّ بأرحام إليهم قريبةٍ | ولا قرب بالأرحام إذ لا نُقَرَّب
فأيُّ ابن أخت بعدنا يأْمَنَنَّكُمْ | وأيّة صِهْر بعد صهريَ تُرْقب
ستعلم يوماً أيُّنا إذ تزايلوا | وزُيِّل أمر الناس للحقّ أصوب

قال ابن هشام: قوله «وَلْتَنْأَ يثرب»، وقوله «إذ لا نقرب»، عن غير ابن إسحاق. قال ابن هشام يريد بقوله: «إذ»، إذا، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. قال أبو النجم العِجْليّ:

ثم جزاه الله عنا إذا جزى | جنّات عدن في العلاليّ والعُلا

هجرة عمر وقصّة عيّاش وهشام معه

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطّاب، وعيّاش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدِما المدينة. فحدّثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن

---

(١) الملحب: الطريق الواضح.
(٢) رعنا: رجعنا.

عبدالله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطّاب، قال: اتّعدتُ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعيّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السَّهميّ التناضب من أضاة بني غِفار، فوق سَرِف وقلنا: أيّنا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعيّاش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبس عنّا هشام، وفُتن فافتتن.

فلما قدِمْنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عَوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيّاش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمّهما وأخاهما لأمّهما، حتى قدِما علينا المدينةَ ورسول الله ﷺ بمكة، فكلّماه وقالا: إنّ أمك قد نذرت أنّ لا يمسّ رأسَها مشطٌ حتى تراك، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: يا عيّاش، إنّه والله إن يريدك القوم إلّا ليفتنوك عن دِينك فاحذرْهم، فواللهِ لو قد آذى أمّك القمل لامتشطت، ولو قد اشتدّ عليها حَرّ مكة لاستظلّت. قال: فقال: أبرّ قَسَم أمّي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنّك لتعلم أنّي لمن أكثر قريش مالاً، تلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليّ إلّا أن يخرج معهما؛ فلما أبى إلّا ذلك؛ قال؛ قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذَلُول، فالزم ظهرها، فإنْ رابك من القوم رَيب، فانج عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا بن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحوّل عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوْا عليه، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن.

قال ابن إسحاق: فحدّثني به بعض آل عيّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني نافع،

عن عبدالله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنّا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدِم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ، إِنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ. وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[1].

قال عمر بن الخطّاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال: فقال هشام بن العاصي: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوَى[2]، أصعُد بها فيه وأُصوّب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهِّمْنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنّها إنّما أُنزلت فينا، وفيما كنّا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقْت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة[3].

أمر الوليد بن الوليد مع عيّاش وهشام: قال ابن هشام: فحدّثني من أثق به: أنّ رسول الله ﷺ قال، وهو بالمدينة: «من لي بعيّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي»؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدِمَها مستخفياً، فلقي امرأة تحمل طعاماً فقال لها: أين تريدين يا أَمَة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين ـ تعنيهما ـ فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له؛ فلما أمسى تسوّر عليهما، ثم أخذ مروة[4] فوضعها تحت قدميهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما،

---

(١) سورة الزمر ـ الآيات ٥٣ ـ ٥٥

(٢) موضع بأسفل مكة.

(٣) أنظر: تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٩٧، نهاية الأرب ١٦/٣٢٢، تاريخ الإسلام ٣١٤، ٣١٥.

(٤) المروة: الحجر.

فكان يقال لسيفه: «ذو المروة» لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدُمِيت أصبعه، فقال:

هل أنت إلّا أصبعٌ دمِيتِ   وفي سبيل الله ما لقيتِ

ثم قدِم بهما على رسول الله ﷺ المدينة[1].

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق: ونزل عمر بن الخطّاب حين قَدِم المدينةَ ومن لحِق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطّاب؛ وعمرو وعبدالله ابنا سُراقة بن المعتمر، وخُنيس بن حُذافة السهميّ ـ وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر، فخَلَفَ عليها رسول الله ﷺ بعده ـ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبدالله التميمي، حليف لهم؛ وخوْليّ بن أبي خولي؛ ومالك بن أبي خوليّ، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خوليّ: من بني عِجْل بن لُجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البُكَير أربعتهم: إياس بن البُكَير، وعاقل بن البُكَير، وعامر بن البُكير، وخالد بن البُكَير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاعة بن عبد المنذر بن زبير، في بني عمرو بن عوف بقُباء، وقد كان منزل عيّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدِما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فنزل طلحة بن عُبيدالله بن عثمان، وصُهيب بن سنان على خبيب ابن أخي بلحارث بن الخزرج بالسنح[2]. ويقال: بل نزل

---

(١) نهاية الأرب ٣٢٤/١٦، السيرة لابن كثير ٢٢١/٢، نسب قريش ٣٢٤، الاستيعاب ٤٠٨/٢.

(٢) السنح: بعوالي المدينة.

طلحة بن عُبيدالله على أسعد بن زُرارة، أخي بني النّجار[1].

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهْديّ أنه قال: بلغني أنّ صُهَيباً حين أراد الهجرة قال له كفّار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثُر مالُك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك؛ فقال لهم صُهيب: أرأيتم إنْ جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإنّي جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب».

قال ابن هشام: ونزل حمزة بن عبدالمطّلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنّاز بن حصْن.

قال ابن هشام: ويقال، ابن حصين ـ وابنه مَرْثَد الغنويّان، حليفا حمزة بن عبدالمطّلب، وأنسة، وأبو كبشة[2]، موليا رسول الله ﷺ، على كلثوم بن هدم، أخي بني عمرو بن عوف بقُباء، ويقال: بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ويقال: بل نزل حمزة بن عبدالمطّلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النّجار. كل ذلك يقال.

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطّلب، وأخوه الطُّفَيل بن الحارث،

---

(١) نهاية الأرب ٣٢٢/١٦.

(٢) أنسة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ، من مولَّدي السّراة ويُكَنّى: أبا مسروح، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كبشة اسمه: سُليم يقال إنه من فارس، ويقال: من مولَّدي أرض دَوْس، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة عمر في اليوم الذي وُلد فيه عُروة بن الزبير وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبيّ عليه السلام إليه، وتقول قال ابن أبي كبشة وفعل ابن أبي كبشة، فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كنية أبيه لأمّه وهْب بن عبد مَناف، وقيل: كنية أبيه من الرضاعة الحارِث بن عبد العُزّى، وقيل: إنّ سلمى أخت عبد المطّلب كان يُكَنّى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لِبيد، وأشهر من هذه الأقوال كلّها عند الناس أنهم شبّهوه برجل كان يعبد الشِّعْرَى وحده دون العرب، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه.

وذكر الدارقُطني اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف، فقال: اسمه وجز بن غالب وهو خُزاعي من بني غبشان. (الروض الأنف ٢٢٧/٢، ٢٢٨).

والحُصَين بن الحارث، ومِسْطح بن أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْمَلة، أخو بني عبدالدّار، وطُلَيب بن عُمير، أخو بني عبد بن قُصَيّ، وخبّاب، مولى عُتْبة بن غزوان، على عبدالله بن سلمة، أخي بلْعجلان بقُباء.

ونزل عبد الرحمن بن عَوف في رجالٍ من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلْحارث بن الخزرج، في دار بلْحارث بن الخزرج.

ونزل الزُبير بن العوّام، وأبو سبْرة بن أبي رُهم بن عبدالعُزّى، على منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجُلَّاح بالعُصَبة[1]، دار بني جَحْجَبَى[2].

ونزل مُصْعَب بن عُمير بن هاشم، أخو بني عبد الدّار على سعد بن مُعاذ بن النعمان، أخي بني عبد الأشهل، في دار بني عبد الأشهل.

ونزل أبو حُذَيْفة بن عُتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن هشام: سالم مولى أبي حُذَيفة سائبة[3] لثُبَيْتة بنت يعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عَوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سيَّبته فانقطع إلى أبي حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة فتبنّاه، فقيل: سالم مولى أبي حُذَيفة، ويقال: كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة فأعتقت سالماً سائبة. فقيل: سالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن إسحاق: ونزل عُتبة بن غزوان بن جابر على عبّاد بن بِشْر بن وقش أخي بني عبد الأشهل، في دار عبد الأشهل.

ونزل عثمان بن عفّان على أَوْس بن ثابت بن المنذر، أخي حسّان بن

---

(١) العُصبَة: موضع في المدينة عند قُباء، وضبطه بعضهم بفتح العين والصاد، على ما في تاج العروس (٣/٣٧٥) وقيّده في الأصل بضم العين وسكون الصاد. (معجم ما استعجم ٣/٩٤٦) وقيل: عُصَبَة: كهُمَزَة. كذا ضبطه ياقوت، وقال إنه حصن بقباء.

(٢) جَحْجَبَى: جدّ أُحيحة بن الجُلَاح اليثربي.

ثابت في دار بني النّجّار، فلذلك كان حسّان يحبّ عثمان ويبكيه حين قُتل.

وكان يقال: نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عَزَباً[1]، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٢٥، ٣٢٦.

هجرة الرسول ﷺ[1]

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له في الهجرة، ولم يتخلّف معه بمكة أحد من المهاجرين إلاّ من حُبس أو فُتن، إلاّ عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصِّدِّيق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعلّ الله يجعل لك صاحباً»، فيطمع أبو بكر أن يكونه[2].

قريش تتشاور في أمره عليه السلام: قال ابن إسحاق: ولما رأت قريش أنّ رسول لله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منَعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار الندوة ـ وهي دار قُصَيّ بن كِلاب التي كانت قريش لا

(١) المغازي لعروة ١٢٨، الطبقات الكبرى ١/٢٢٧، أنساب الأشراف ١/٢٥٧، تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، البدء والتاريخ ٤/١٦٤، مروج الذهب ٢/٢٨٥، الكامل في التاريخ ٢/١٠١، نهاية الأرب ١٦/٣٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣١٨، عيون الأثر ١/١٧٣، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٣، سيرة ابن كثير ٢/٢٢٦، عيون التواريخ ١/٩٧، سبل الهدى ٣/٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٦٩.

تقضي أمراً إلّا فيها ـ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم من أصحابنا، عن عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جُبَير أبي الحَجَّاج، وغيره ممن لا أتّهم، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما أجمعوا لذلك، واتّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غدوا في اليوم الذي اتّعدوا له، وكان ذلك اليوم يُسمّى يوم الرحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة[2]، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها، قالوا: من الشيخ قال: شيخ من أهل نجد[3] سمع بالذي اتّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونُصْحاً، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش؛ من بني عبد شمس: عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نَوفل بن عبد مَناف: طُعيمة بن عَدِيّ، وجُبير بن مُطْعِم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: النضر بن الحارث بن كَلدة. ومن بني أسد بن

---

(١) الطبري ٢/٣٧٠.

(٢) البتلة: الكساء الغليظ.

(٣) وإنّما قال لهم إنّي من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة، لأنهم قالوا لا يدخل معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد. فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي، وقد ذكر السهيلي في خبر بنيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدي أيضاً، وحين حكّموا رسول الله ـ ﷺ ـ في أمر الركن: من يرفعه، فصاح الشيخ النجدي: يا معشر قريش: أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم، فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجدياً، وذلك أن نجد ومنها يطلع قرن الشيطان، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ حين قيل له: وفي نجد يا رسول الله؟ قال: هنالك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن الشيطان، فلم يبارك عليها، كما بارك على اليمن والشام وغيرها، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق، فقال: إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان، وفي حديث ابن عمر، حين قال هذا الكلام، ووقف عند باب عائشة، ونظر إلى المشرق فقاله، وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة، واضمم إلى قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن: أيقظوا صواحب الحجر. والله أعلم ـ (عن الروض الأنف ٢/٢٢٩).

عبدالعُزَّى: أبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطّلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبّه ابنا الحَجّاج. ومن بني جُمَح: أميّة بن خَلَف. ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعدّ من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتّبعه من غيرنا، فأجمِعوا فيه رأياً. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلِقوا عليه باباً، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا. ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرِج عنّا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. فقال الشيخ النَّجْدِيّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحلّ على حيٍّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبّروا فيه رأياً غير هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إنّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد؛ قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابّاً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مَناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منّا بالعقل،

فعقلناه لهم. قال: فقال الشيخ النجديّ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرّق القوم على ذلك وهم مُجمِعون له[1].

استخلافه لِعليّ: فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: لاتبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعليّ بن أبي طالب: نم على فراشي، وتَسَجَّ[2] ببردي هذا الحضرميّ الأخضر، فنم فيه، فإنّه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْده ذلك إذا نام[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إنّ محمداً يزعم أنكم إنّ تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردنّ، وإنْ لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت أحدهم». وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يٓس: ﴿يسٓ، وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[4]. حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلّا قد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً: قال: خيّبكم الله! قد

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧١ ـ ٣٧٢، الطبقات الكبرى ١/٢٢٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٣٧٢ «اتشح».

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٧٢، نهاية الأرب ١٦/٣٢٨، ٣٢٩.

(٤) سورة يٓس ـ من أول السورة، إلى الآية ٩.

والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون مابكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلّعون فيرون عليّاً على الفراش متسجّياً ببُرْد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إنّ هذا لَمحمد نائماً، عليه بُرْده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1]، فقام عليّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدَقنا الذي حدّثنا[2].

ما نزل في تربّص المشركين بالنبيّ: قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللهُ، وَٱللهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾**[3]، وقول الله عزّ وجلّ: **﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾**[4].

قال ابن هشام: المَنُون: الموت. ورَيْب المنون: ما يريب ويعرض منها. قال أبو ذُؤَيب الهُذليّ:

أمِن المَنُون ورَيْبها تتوجّعُ ... والدّهْر ليسَ بمعتبٍ من يَجْزَعُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وأذِن الله تعالى لنبيّه ﷺ عند ذلك في الهجرة[5].

---

(١) قال السهيلي: «وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحّم عليه في الدار مع قِصَر الدار وأنهم إنّما جاءوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم همّوا بالولوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسُبَّة في العرب أنْ يتحدّث عنّا أنّا تسوّرنا الحيطان على بنات العمّ، وهتكنا ستر حُرمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طمست أبصارهم على من خرج». انظر (الروض الأنف ٢/٢٢٩).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٧٢، ٣٧٣، نهاية الأرب ١٦/٣٢٩، ٣٣٠.

(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٣٠.

(٤) سورة الطور ـ الآيتان ٣٠ و ٣١.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٧٤، ٣٧٥، نهاية الأرب ١٦/٣٢٩، ٣٣٠.

أبو بكر يطمع في المصاحبة: قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرة. فقال له رسول الله ﷺ: لا تعجل، لعلّ الله يجد لك صاحباً، قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ، إنّما يعني بنفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره، يعلفهما إعداداً لذلك[1].

حديث الهجرة إلى المدينة: قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم، عن عُروة بن الزُبير، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطيء رسول لله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طَرَفي النهار، إمّا بُكْرة، وإما عشيّة، حتى إذا كان اليوم الذي أُذِن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعةٍ كان لا يأتي فيها: قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلاّ لأمر حَدَث. قالت: فلما دخل، تأخّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ،وليس عند أبي بكر إلاّ أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ، أخرج عنّي مَن عندك: فقال: يا رسول الله، إنّما هما ابنتاي، وماذاك؟ فذاك أبي وأمي! فقال: «إنّ الله قد أذِن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصُحبة يا رسول الله: قال: «الصحبة»[2]. قالت: فوالله ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبيّ الله، إنّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا. فاستأجرا عبدالله بن أرقط ـ رجلاً من بني الدئل بن بكر، وكانت أمّه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً ـ يدلّهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧٥، نهاية الأرب ١٦/٣٣٠.

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٣٧٥ «الصحابة»، وانظر ٢/٣٧٧، ٣٧٨.

حين خرج، إلاّ عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصِّدِّيق، وآل أبي بكر. أما عليّ فإنّ رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكّة، حتى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلاّ وضعه عنده، لِما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ[1].

في الغار: قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قُحافة، فخرجا من خَوْخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثَوْر - جبل بأسفل مكة - فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله بن أبي بكر أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر؛ وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يُريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما[2].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ الحسن بن أبي الحسن البصْري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ،فلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حيّة، يقي رسول لله ﷺ بنفسه.

من قام بشأن الرسول في الغار: قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة، لمن يردّه عليهم. وكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فُهَيْرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧٨.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٧٨.

وذبحا، فإذا عبدالله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فُهَيْرة أثـره بالغنم حتى يُعفّي عليـه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهمـا النـاس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهمـا وبعير لـه، وأتتهما أسمـاء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما، ونسيت أن تجعـل لها عِصـاماً[1] فلمـا ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة، فإذا ليس لها عِصام، فتحلّ نطاقهـا فتجعله عصامـاً، ثم علّقتها به.

سبب تسميـة أسماء بـذات النطاق: فكـان يقال لأسمـاء بنت أبي بكر: ذات النطاق[2]، لذلك.

قـال ابن هشـام: وسمعت غيـر واحـد من أهــل العلم يقـول: ذات النـطاقين، وتفسيره: أنهـا لما أرادت أن تعلّق السفـرة شقّت نـطاقهـا بـاثنين، فعلّقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر.

راحلة الرسول: قال ابن إسحاق: فلما قرّب أبو بكر، رضي الله عنـه، الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، قـدّم له أفضلهمـا، ثم قال: اركب، فـداك أبي وأمّي؛ فقـال رسول الله ﷺ: إنّي لا أركب بعيراً ليس لي؛ قال: فهي لـك يـا رسول الله، بأبي أنت وأمّي؛ قال: لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها بـه؟ قال: كذا وكذا؛ قال: قد أخذتها به: قال: هي لك يا رسول الله[3]. فركبـا وانطلقـا

---

(١) العصام: الحبل يشدّ على فم المزادة.

(٢) عند الطبري ٢ / ٣٧٩ «ذات النطاقين».

(٣) سئل بعض أهل العلم: لِمَ لم يقبلها إلّا بالثمن، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله مـا هو أكثـر من هذا فقبل، وقد قال عليه السلام: ليس من أحـد أمنّ عليّ في أهل ومـالٍ من أبي بكر، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشاً، فلم يأب من ذلك؟ فقال المسؤول إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسـه ومالـه رغبة منـه عليه السـلام في استكمال فضـل الهجرة والجهاد على أتمّ أحوالهما، وهو قول حسن.

وذكر ابن إسحاق في غيـر رواية ابن هشـام: أن الناقـة التي ابتاعهـا رسول الله ـ ﷺ ـ من أبي بكر يومئـذ هي: ناقتـه التي تسمى بالجـدعاء، وهي العضبـاء التي جاء فيهـا الحديث. (الروض الأنف ٢ / ٢٣٠).

وأردف أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه عامر بن فُهَيْرة مولاه خلفه، ليخدمهما في الطريق[1].

أبو جهل يضرب أسماء: قال ابن إسحاق: فحُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله - ﷺ - وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم؛ فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر، قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً؟ فلطم خدّي لطمة طرح منها قُرْطي.

الجُني الذي تغنّى بمقدمَه ﷺ: قالت: ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال. وما ندري أين وجّه رسول الله - ﷺ -، حتى أقبل رجل من الجنّ من أسفل مكة، يتغنّى بأبيات من شِعر غناء العرب؛ وإنّ الناس ليتبعونه، يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناس خير جزائِهِ ... رفيقَيْنِ حلّا خيمَتَيْ أمِّ مَعبدِ

همـا نـزلا بـالبـرّ ثـمّ تـروَّحـا ... فـأفلح من أمسى رفيقَ محمـد

ليَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم ... ومقعدُها للمؤمنين بمَرْصَدِ[2]

نسب أم مَعْبد: قال ابن هشام: أم معبد[3] بنت كعب، امرأة من بني كعب، من خُزاعة. وقوله «حلّا خيمتي»، و«هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: فلما

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٨٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٢٩ و ٢٣١، وتاريخ الإسلام ٣٢٧.

(٣) اسمها: عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خُزاعة، وهي أخت حُبيش بن خالد وله صُحبة ورواية، ويقال له الأشعر، وأخوها: حبيش بن خالد، وخالد الأشعر أبوهما، هو: ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيش بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو، وهو أبو خُزاعة. (الروض الأنف ٢/٢٣٥).

سمعنا قوله، عرفنا حيث وجْه رسول الله ـ ﷺ ـ، وأنّ وجهه إلى المدينة، وكانوا أربعة: رسول الله ـ ﷺ ـ، وأبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر، وعبدالله بن أرقط[1] دليلهما.

قال ابن هشام: ويقال: عبدالله بن أريقط.

موقف آل أبي بكر بعد الهجرة: قال ابن إسحاق: فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، أنّ أباه عبّاداً حدّثه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كلّه، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدّي أبو قُحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنّي لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلّا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كُوّةٍ في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنّي أردت أن اسكّن الشيخ بذلك[2].

سُراقة بن مالك: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ أنّ عبدالرحمن ابن مالك بن جُعْشُم حدّثه. عن أبيه، عن عمّه سُراقة بن مالك بن جُعْشم، قال: لما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ من مكّة مهاجراً إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم. قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منّا، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مرّوا عليّ آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أن أسكت، ثم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/ ٣٨٠ «أرقد» وهو غلط. وقيل: «الأريقط» الليثي، كان مشركاً. (نهاية الأرب ١٦/ ٣٣١).

(٢) نهاية الأرب ١٦/ ٣٣٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٢٧، ٣٢٨.

قلت: إنّما هم بنو فلان، يبتغون ضالّة لهم؛ قال: لعلّه، ثم سكت. قال: ثم مكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقُيّد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دُبر حجرتي، ثم أخذت قِداحي التي استقسم بها، ثم انطلقت، فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها؛ فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه». قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش، فآخذ المائة الناقة. قال: فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتدّ بي عثر بي، فسقطت عنه قال: فقلت: ما هذا؟ قال ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه». قال: فأبيت إلّا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره فبينا فرسي يشتدّ بي، عثر بي، فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه» قال: فأبيت إلّا أن أتبعه فركبت في أثره. فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دُخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منّي، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سُراقة بن جُعْشم: انظِروني أكلّمكم، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منّي شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكر: «قل له: وما تبتغي منّا»؟ قال فقال ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك. قال: «اكتب له يا أبا بكر».

قال: فكتب لي كتاباً في عَظْم، أو في رُقعة، أو في خزفة، ثم ألقاه إليّ، فأخذته، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت، فسكتّ فلم أذكر شيئاً مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ـ ﷺ ـ، وفرغ من حُنَين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة. قال: فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار. قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله ـ ﷺ ـ وهو على ناقته، والله لكأنّي أنظر إلى ساقه في غرزة كأنها جُمارة. قال: فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا

رسول الله، هذا كتابك، أنا سُراقة بن جُعشم قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «يوم وفاء وبِرّ، ادْنُه» قال: فدنوت منه، فأسلمت. ثم تذكّرت شيئاً أسأل رسول الله - ﷺ - عنه فما أذكره، إلا أنّي قلت: يا رسول الله، الضالّة من الإبل تغشى حياضي، وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كلّ ذات كبدٍ حرّى أجر»[1]. قال: ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله - ﷺ - صدقتي[2].

قال ابن هشام: عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعشم.

طريق الهجرة: قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قُدَيداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرَّار، ثم سلك بهما ثَنِية المَرَاة[3]، ثم سلك بهما لِقْفاً.

قال ابن هشام: ويقال؛ لَفْتا. قال مَعقِل بن خُوَيْلد الهُذلي:

نزيعا مُحْلِبا من أهل لَفْت ... لحيّ بين أثلة والنِّحام

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مَدْلَجَة لِقف، ثم استبطن بهما مدلجة

---

(١) أخرجه البخاري في حديث طويل بلفظ «كل كبد رطبة أجر» في كتاب المساقاة ٣/٧٧ باب فضل سقي الماء، وكتاب المظالم ٣/١٠٣ باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذّ بها، وكتاب الأدب ٧/٧٧ باب رحمة الناس بالبهائم، ومسلم في: كتاب السلام ٤/١٧٦١ رقم (٢٢٤٤/١٥٣) باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، وأبو داود في كتاب الجهاد ٣/٢٤ رقم ٢٥٥٠ باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، وابن ماجه في الأدب ١٢١٥ رقم ٣٦٨٦ وهو بلفظ السيرة، وابن اسحاق مدلّس، ومالك في الموطأ (٦٦٥) رقم ١٦٨٥ باب صفة النبيّ ﷺ، وأحمد في المسند ٢/٢٢٢ و ٢٧٥ و ٥١٧ و ٤/١٧٥.

(٢) دلائل النبوّة لأبي نعيم ٢/١١٥، الطبقات الكبرى ١/٢٣٢، نهاية الأرب ١٦/٣٣٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف: كذا وجدته مخفّف الراء مقيّداً. (٢/٢٤٤).

محاج[1] ـ ويقال: مِحاج فيما قال ابن هشام ـ ثم سلك بهما مرجح محاج، ثم تبطّن بهما مرجح من ذي الغضوين ـ قال ابن هشام: ويقال: العضوين[2] ـ ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداءِ مدلجة نِغْهِن[3]، ثم على العبابيد. قال ابن هشام: ويقال: العبابيب؛ ويقال: العِثيانة. يريد: العبابيب.

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الفاجّة[4]؛ ويقال: القاحّة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العرْج[5]، وقد أبطأ عليهما بعضُ ظهرهم، فحملَ رسول الله ـ ﷺ ـ رجلٌ من أسلم، يقال له: أوس بن حجر، على جملٍ له ـ يقال له: ابن الرداء ـ إلى المدينة، وبعث معه غلاماً له، يقال له: مسعود بن هُنَيْدة، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج، فسلك بهما ثَنية العائر، عن يمين رَكُوبة ـ ويقال: ثِنية الغائر، فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن رئم[6]، ثم قدِم بهما قُباء، على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلةٍ خَلَت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتدّ الضُحاء، وكادت الشمس تعتدل[7].

قدومه ﷺ قُباء: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن عبدالرحمن بن عُوَيمر بن ساعدة، قال: حدّثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، قالوا: لما سمعنا

---

(١) في طبقات ابن سعد ١/٢٣٢ «مِجاج».
(٢) ويقال «العصوين» بالصاد المهملة، نهاية الأرب ١٦/٣٣٩، تاريخ الإسلام ٣٢٣.
(٣) اسم عين بين مكة والمدينة.
(٤) الفاجّة والقاحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة، قبل السقيا بنحو ميل.
(٥) العَرْج: مكان بين مكة والمدينة على جادّة الحاجّ.
(٦) في طبقات ابن سعد ١/٢٣٣ «بطن ريغ».
(٧) الطبقات الكبرى ١/٢٣٢، ٢٣٣، المغازي لعروة ١٣٠، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٢١١، ٢١٢، نهاية الأرب ١٦/٣٣٨، ٣٣٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٢٢، ٣٢٣.

بمخـرج رسول الله ـ ﷺ ـ من مكـة، وتوكّفنـا[1] قدومـه، كنّا نخـرج إذا صلّينا الصبح، إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظر رسـول الله ـ ﷺ ـ، فوالله مـا نبرح حتى تغلبنـا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنـا وذلك في أيـام حارّة. حتى إذا كان اليوم الذي قدِم فيه رسول الله ـ ﷺ ـ، جلسنا كما كنّا نجلس حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا، وقدِم رسول الله ـ ﷺ ـ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود، قد رأى ما كنّا نصنع، وأنّا ننتظر قـدوم رسول الله ـ ﷺ ـ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلة[2]، هذا جدّكم قد جاء. قال: فخرجنا إلى رسـول الله ـ ﷺ ـ، وهو في ظـلّ نخلة، ومعه أبـو بكر رضي الله عنـه في مثل سنّه، وأكثـرنا لم يكن رأى رسـول الله ـ ﷺ ـ قبل ذلـك، وركبه النـاس[3] وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظّلّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ، فقام أبـو بكر فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك[4].

قال ابن إسحاق: فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يذكرون ـ على كُلثوم بن هِـدْم، أخي بني عمرو بن عـوف ثم أحد بني عُبيـد؛ ويقال: بـل نـزل على سعد بن خيثمة، ويقـول من يذكـر أنه نـزل على كلثوم بن هِـدْم: إنّما كـان رسـول الله ـ ﷺ ـ إذا خرج من منـزل كلثـوم بن هِـدْم جلس للنـاس في بيت سعد بن خيثمة. وذلك أنه كـان عَزَبـاً لا أهل لـه، كان منـزل الأعزاب[5] من

---

(١) توكّفنا: انتظرنا.

(٢) قَيْلة: جدّة للأنصار يُنسبون إليها.

(٣) ازدحموا عليه.

(٤) كان قدوم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول، وفي شهـر أيلول من شهور العجم، وقال غيـر ابن إسحاق: قـدِمها لثمـانٍ خلون من ربيع الأول. وقـال ابن الكلبي، خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول. ودخل المدينة يـوم الجمعة لثنتي عشرة منه، وكـانت بيعة العقبـة أوسط أيام التشـريق. (الروض الأنف ٢/٢٤٥) وانـظر الخبـر في تـاريخ الـطبـري ٢/٣٨١، ٣٨٢، وطبقـات ابن سعـد ١/٢٣٣، نهـايـة الأرب ١٦/٣٣٩، ٣٤٠، تاريخ الإسلام ٣٣١، سيرة ابن كثير ٢/٢٦٨.

(٥) وكلثوم هذا هـو بن الهِدْم بن امـريء القيس بن الحارث بن زيـد بن مالـك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وكان شيخاً كبيـراً مات بعـد قدوم رسـول الله ـ ﷺ ـ المدينة بيسير، هو أول من مـات من الأنصار بعـد قدوم النبيّ ﷺ. ثم مـات بعده أسعـد بن =

أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من المهاجرين، فمن هنالك يقال نزل على سعد ابن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة: بيت الأعزاب. فالله أعلم أيّ ذلك كان، كُلًّا قد سمِعْنا.

ونزل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه على خُبَيب بن إساف، أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح. ويقول قائل: كان منزله على خارجة بن زيد ابن أبي زهير، أخي بني الحارث بن الخزرج.

وأقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدّى عن رسول الله ـ ﷺ ـ الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها، لحِق برسول الله ـ ﷺ ـ، فنزل معه على كلثوم بن هِدْم[1].

فكان عليّ بن أبي طالب، وإنّما كانت إقامته بقُباء ليلةً أو ليلتين يقول: كانت بقُباء امرأة لا زوج لها، مسلمة. قال: فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه. قال: فاستربْت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كلّ ليلة، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حُنَيف بن واهب، قد عرف أنّي امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان عليّ رضي الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حُنيف، حتى هلك عنده بالعراق[2].

= زُرارة بأيام وسعد بن خيثمة، وأنه كان يقال لبيته، بيت العزّاب هكذا رُوي ـ وصوابه، الأعزاب، لأنه جمع عزب، يقال رجل عزب، وامرأة عزب، وقد قيل، امرأة عزبة بالتاء. (الروض الأنف ٢/٢٤٥).

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٨٢، نهاية الأرب ١٦/٣٤٠، عيون الأثر ١/١٩٢، عيون التواريخ ١/١٠٢، سيرة ابن كثير ٢/٢٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٨٢، ٣٨٣، عيون التواريخ ١/١٠٢، عيون الأثر ١/١٩٢، ١٩٣، سيرة ابن كثير ٢/٢٧٠.

قال ابن إسحاق: وحدّثني هذا، من حديث عليّ رضي الله عنه، هند ابن سعد بن سهل بن حُنيف، رضي الله عنه.

مسجد قُباء[1]: **قال ابن إسحاق**: فأقام رسول الله ـ ﷺ ـ بقُباء، في بنى عمرو بن عوف، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسّس مسجده[2].

خروج الرسول من قُباء وذهابه إلى المدينة: ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أيّ ذلك كان[3]. فأدركتْ رسول الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلّاها بالمدينة[4].

اعتراض القبائل له لينزل عندها: فأتاه عُتبان بن مالك، وعبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله. أقِمْ عندنا في العدد والعُدّة والمنعة؛ قال: «خلّوا سبيلها، فإنها مأمورة»، لناقته: فخلّوا سبيلها؛ فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة، تلقّاه زياد بن لَبِيد، وفروة بن عمرو، في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله: هلُمّ إلينا، إلى العدد والعُدَّة والمنعة؛ قال: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلّوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عُبادة، والمنذر ابن عمرو، في رجال من بني ساعدة؛ فقالوا: يا رسول الله؛ هلم إلينا إلى العدد والعُدَّة والمنعة؛ قال: «خلّوا سبيلها؛ فإنها مأمورة»، فخلّوا سبيلها، فانطلقت؛ حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد؛ وعبدالله بن رُواحة؛ في رجال من بني الحارث

---

(١) وهو أول مسجد بُني في الإسلام.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٨٣.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٨٣.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٣٩٤.

ابن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلُمّ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمنعة قال: «خلّوا سبيلها، فإنها مأمورة»؛ فخلّوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرّت بدار بني عدِيّ بن النجّار؛ وهم أخواله دِنْيا ـ أم عبد المطّلب؛ سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ـ اعترضه سليط بن قيس؛ وأبو سليط؛ أسيرة بن أبي خارجة؛ في رجال من بني عدِيّ بن النجّار؛ فقالوا. يا رسول الله؛ هلُمَّ إلى أخوالك؛ إلى العدد والعُدَّة والمنعة؛ قال؛ «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة»؛ فخلّوا سبيلها، فانطلقت.

مبرك الناقة: حتى إذا أتت دارَ بني مالك بن النجّار؛ بركت على باب مسجده ﷺ؛ وهو يومئذ مِرْبد[1] لغُلامين يتيمين من بني النجّار؛ ثم من بني مالك بن النجّار؛ وهما في حجْر مُعاذ بن عفراء؛ سهل وسُهيل ابني عمرو. فلما بركت؛ ورسول الله ـ ﷺ ـ عليها لم ينزل، وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ـ ﷺ ـ واضعٌ لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها؛ فرجعت إلى مَبركها أول مرّة؛ فبركت فيها؛ ثم تحلحلت ورزمت وألقت بِجرانها[2] فنزل عنها رسول الله ـ ﷺ ـ؛ فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ـ ﷺ ـ، وسأل عن المِرْبد لمن

---

(١) المِرْبَد: المكان الذي يُجَفّف فيه التمر.

(٢) تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أي: بعنقها، وفسّره ابن قُتيبة على تلحلح أي: لزم مكانه: ولم يبرح، وأنشد:

أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال: واما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه: زال عن موضعه، وهذا الذي قاله قوي من الاشتقاق فإنّ التلحلح يشبه أن يكون من: لحِحت عينه إذا التصقت، وهو ابن عمّي لحا.

وأما التحلحل: فاشتقاقه من الحلّ والانحلال بين، لأنه انفكاك شيء، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحاق: تحلحلت بتقديم الحاء على اللام، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوباً من تحلحلت، فيكون معناه: لصقت بموضعها، وأقامت على المعنى الذي فسّره ابن قُتيبة في تلحلحت.

وأما قوله: ورزمت الناقة رزوماً إذا أقامت من الكلال زوم ونوق رزمى، اما أرزمت بالألف، فمعناه: رغت ورجعت في رغائها، ويقال منه: أرزم الرعد، وأرزمت الريح، قاله صاحب العين. (الروض الأنف ٢/٢٤٧).

هو؟ فقال لـه مُعاذ بن عفـراء: هو يـا رسول الله لسهـل وسُهيل ابني عمـرو[1] وهما يتيمان لي؛ وسأرضيهما منه، فاتّخذه مسجداً.

مسجد المدينة قال: فأمر بـه رسول الله ـ ﷺ ـ أن يُبْنى مسجـداً، ونزل رسـول الله ـ ﷺ ـ على أبي أيّوب حتى بني مسجـده ومساكنـه[2]؛ فعمـل فيـه رسـول الله ـ ﷺ ـ ليرغّب المسلمين في العمـل فيه، فعمـل فيه المهـاجـرون والأنصار؛ ودأبوا فيه؛ فقال قائل من المسلمين:

لئن قعـدنـا والنّبـيُّ يعـمـلُ ... لـذاك منّـا العمـلُ المضـلِّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عـيش إلّا عـيش الآخـره ... اللهمّ ارحَمِ الأنصـارَ والمُهـاجِـرَهْ

قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.

قال ابن إسحاق: فيقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا عيش إلا عيش الآخره، اللهمّ ارحم المهاجرين والأنصار»[3].

عمّار والفئة الباغية: قال: فدخـل عمّار بن يـاسر: وقـد أثقلوه باللَّبِن، فقـال يـا رسـول الله ـ ﷺ ـ قتلوني: يحملون عليّ مـا لا يحملون. قـالت أمّ سَلَمة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ: فرأيت رسـول الله ـ ﷺ ـ ينفض وفرتـه بيده: وكـان رجلاً جعْداً: وهو يقول: «ويْح ابن سُمَيّة ليسوا بالذين يقتلونك: إنّما تقتلك الفئة الباغية»[4].

---

(١) سهل وسهيل هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمـرو بن عبيد بن ثعلبـة بن غَنْم بن مالـك بن النجار وقد شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها، ومات في خلافة عمر؛ أما سهل فلم يشهـد إلا ما بعد بدر، ومات قبل أخيه سهيل.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٩٦، نهاية الأرب ١٦/٣٤١، ٣٤٢، طبقـات ابن سعد ١/٢٣٦، ٢٣٧، تاريخ الإسلام ٣٣٥.

(٣) أخـرج البخاري نحـوه في مناقب الأنصـار (٣/٢٢٥). باب دعـاء النبي ﷺ أصْلح الأنصار والمهاجرة. وانظر: انساب الأشراف ١/٢٦٩، والطبقات لأبن سعد ١/٢٤٠، ونهاية الأرب ١٦/٣٤٤، وعيون الأثر ١/١٩٥، وسيرة ابن كثير ٢/٣٠٤.

(٤) أخـرج مسلم حـديثاً بنحـوه في الفتن (٢٩١٥) بـاب لا تقـوم السـاعـة حتى تعبـد دوس ذا =

وارتجز عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوي من يَعمُرُ المساجدا يدأب فيه قائماً وقاعدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بَلَغَنا أنّ عليّ بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُدْرى: أهو قائله أم غيره.

قال ابن إسحاق: فأخذها عمّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أنه إنّما يعرِّض به، فيما حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن ابن إسحاق، وقد سمّى ابن إسحاق الرجل[1].

قال ابن إسحاق: فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سُميِّة، والله إنّي لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك. قال: وفي يده عصا. قال: فغضب رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال: «ما لهم ولعمّار، يدعوهم إلى الجنّة، ويدعونه إلى النار، إنّ عمّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه».

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عُيينة، عن زكريّا، عن الشّعبيّ، قال: إنّ أول من بنى مسجداً عمّار بن ياسر[2].

= الخلصة.. وأحمد في المسند ٣/٥، وابن سعد في الطبقات ٣/٢٥٢، ٢٥٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٤٢٠، وتاريخ الإسلام ٣٩١، ويروى الحديث من طرق كثيرة ولفظ مختلف، انظر: معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي (بتحقيقنا) ٢٨٣، ٢٨٤ (المتن والحاشية. وتاريخ الاسلام (المغازي) (بتحقيقنا) ص ٣٨.

(١) وإنما لم يسمّه ابن هشام لئلا يذكر بسوء احدَ الصحابة ولا نسميه نحن ايضاً فقد اختلفوا في اسمه على أقوال كثيرة، وليس في تسميته فائدة. (الروض الأنف ٢/٢٤٧).

(٢) كيف أضاف إلى عمّار بنيان المسجد، وقد بناه معه الناس؟ نقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُباء، لأنّ عمّاراً هو الذي أشار على النبيّ ﷺ ببنيانه، وهو جمع الحجارة له، فلما أسّسه رسول الله ﷺ استتمّ بنيانه عمّار. (الروض الأنف ٢/٢٤٨).

الرسول ينزل في بيت أبي أيّوب: قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيّوب، حتى بنى له مسجده ومساكنه[1]، ثم انتقل إلى مسكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن مَرْثَد بن عبدالله اليَزَني، عن أبي رُهم السماعيّ، قال: حدّثني أبو أيوب، قال: لما نزل عليّ رسول الله - ﷺ - في بيتي، نزل في السفل، وأنا وأمّ أيوب في العُلوّ، فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي، إنّي لأكره وأعظم أن أكون فوقك. وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلوّ، وننزل نحن فنكون في السفل، فقال: «يا أبا أيّوب، إنّ أرفق بنا وبمن يغشانا، أن نكون في سفل البيت».

قال: فكان رسول الله - ﷺ - في سُفله، وكنّا فوقه في المسكن، فقد انكسر حبّ[2] لنا فيه ماء، فقمت أنا وأمّ أيوب بقطيفة لنا، مالنا لحاف غيرها، نكشف بها الماء، تخوّفاً أن يقطر على رسول الله - ﷺ - منه شيء فيؤذيه.

قال: وكنّا نصنع له العشاء، ثم نبعث إليه، فإذا ردّ علينا فضله تيمّمت أنا وأمّ أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة

---

(١) وبُني مسجد رسول الله ﷺ وسُقف بالجريد وجُعلت قبلته من اللَّبن، ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها على بعض، وجُعلت عُمده من جذوع النخل، فنُخِرت في خلافة عمر فجدّدها، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالفضة وسقفه بالساج، وجعل قبلته من الحجارة، فلما كانت أيام بني العباس بناه محمد بن ابي جعفر المتسمّى بالمهديّ، ووسّعه وزاد فيه، وذلك في سنة ثنتين ومائتين: وأتقن بنيانه، ونقش فيه ثمّ زيد فيه البنيان والنقوش على ممرّ العصور، زاده الله تشريفاً، وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة، بعضها من جريد مطيّن بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة، بعضها فوق بعض، مسّقفة بالجريد أيضاً. وقال الحسن بن أبي الحسن: كنت أدخل بيوت النبيّ عليه السلام، وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي، وكانت حُجره - عليه السلام - أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر. وفي (تاريخ البخاري) أنّ بابه عليه السلام كان يُقرع بالأظافر، أي لا حَلَق له، ولما تُوفّي ازواجه عليه السلام خُلطت البيوت والحجر بالمسجد، وذلك في زمن عبدالملك، فلما ورد كتابه بذلك ضجّ أهل المدينة بالبكاء، كيوم وفاته عليه السلام، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف، بيعت زمن بني أميّة، فاشتراها رجل بأربعة آلاف دِرهم. قاله ابن قُتيبة. (الروض الأنف ٢/٢٤٨)

(٢) الحب: الجرة الضخمة جمعه حببة مثل حجر وحجرة. (انظر المعرب للجواليقي ١٢٠).

بعشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثوماً، فردّه رسول الله ـ ﷺ ـ، ولم أر ليده فيه أثراً. قال: فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، رددت عشاءك، ولم أر فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا، تيمّمت أنا وأمّ أيوب موضع يدك، نبتغي بذلك البركة؛ قال: «إنّي وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه». فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد[1].

قال ابن إسحاق: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فلم يبق بمكة منهم أحد، إلاّ مفتون أو محبوس، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ـ ﷺ ـ إلاّ أهل دُور مسمَّون: بنو مظعون من بني جُمَح؛ وبنو جحش بن رئاب، حلفاء بني أميّة؛ وبنو البُكَير، من بني سعد بن ليث، حلفاء بني عدِيّ بن كعب، فإنّ دُورهم غُلّقت بمكة هجرةً، ليس فيها ساكن.

أبو سفيان وبنو جحش: ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم. عدا عليها أبو سفيان بن حرب، فباعها من عمرو بن علقمة، أخي بني عامر ابن لُؤَيّ؛ فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم، ذكر ذلك عبدالله ابن جحش لرسول الله ـ ﷺ ـ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألا ترضى يا عبدالله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟ قال: بلى؛ قال: «فذلك لك». فلما افتتح رسول الله ـ ﷺ ـ مكة، كلّمه أبو أحمد في دارهم، فأبطأ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ؛ فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد، إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عزّ وجلّ، فأمسك عن كلام رسول الله ـ ﷺ ـ، وقال لأبي سفيان:

أبلغ أبا سفيان عن ... أمرٍ عواقبه ندامه
دارَ ابن عمّك بعتها ... تقضي بها عنك الغرامه

---

(١) سبل الهدى ٣/٣٩٢، سيرة ابن كثير ٢/٢٧٧، ٢٧٨.

وحليفكم بالله ربّ الناس مجتهد القسامه
اذهبَ بها، اذهب بها طوّقتها طوق الحمامة[1]

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة إذ قدِمها شهرَ ربيع الأول، إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه، واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلاّ أسلم أهلها، إلاّ ما كان من خَطْمة، وواقف، ووائل، وأميّة، وتلك أوس الله، وهم حيّ من الأوس، فإنهم أقاموا على شِرْكهم.

خطب رسول الله ـ ﷺ ـ: وكانت أول خطبة خطبها رسول الله ـ ﷺ ـ: فيما بلغني، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن ـ نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ـ ﷺ ـ ما لم يقل ـ أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم. تعلمُنّ والله لَيُصْعقنّ أحدكم، ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولنّ له ربّه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلّغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدّمت لنفسك؟ فلينظرنّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنّ قدّامه فلا يرى غير جهنّم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقٍّ من تمره فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإنّ بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

قال ابن إسحاق: ثم خطب رسول الله ـ ﷺ ـ الناس مرة أخرى، فقال: «إنّ الحمدلله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضْلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زيّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٦٩.
(٢) سبل الهدى ٣/٤٧٧، الإمتاع والمؤآنسة للمقريزي ١/٤٦.

ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبّوا ما أحبّ الله، أحبّوا الله من كلّ قلوبكم، ولا تملّوا كلامَ الله وذِكره، ولا تقْس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى، وقد سمّاه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث؛ ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتّقوه حقّ تُقاته، واصْدقُوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم إنّ الله يغضب أن يُنْكَثَ عهدُه، والسلام عليكم»[1].

الرسول يوادع اليهود: قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ـ ﷺ ـ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبيّ ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرِب، ومن تبِعهم، فلحِق بهم، وجاهد معهم، إنّهم أمّة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم[3] الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين: وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النجّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكّل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عمرو بن عوْف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون

---

(١) سيرة ابن كثير ٣٠٢/٢، سبل الهدى ٤٧٧/٣، ٤٧٨.
(٢) عانيهم: أسيرهم.
(٣) المعاقل: الديات.

معـاقلهم الأولى ، وكـلّ طـائفـة منهم تفـدي عـانيهـا بـالمعـروف والقسط بين المؤمنين؛ وإنّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعـروف في فداء أو عقل».

قال ابن هشام: المفرح: المُثْقَل بالدَّيْن والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنـت لم تـبـرح تـؤدّي أمـانـةً وتحمـل أخـرى أفـرحتـك الـودائـع

«وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه؛ وإنّ المؤمنين المتّقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعـة[1] ظـلـم، أو إثم، أو عـدوان، أو فـسـاد بيـن المؤمنين؛ وإنّ أيـديهم عليه جميعـاً، ولو كـان ولد أحـدهم؛ ولا يقتـل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كـافراً على مؤمن؛ وإنّ ذمّـة الله واحدة يجير عليهم أدنـاهم؛ وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون النـاس؛ وإنـه من تبعنـا من يهود فإنّ لـه النصر والأسـوة، غير مـظلومين ولا متناصـرين عليهم؛ وإنّ سِلم المؤمنين واحـدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتـال في سبيل الله، إلاّ على سـواء وعدل بينهم؛ وإنّ كـل غـازيـة غـزت معنـا يعقب بعضهـا بعضـاً؛ وإنّ المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بمـا نـال دمـاءهم في سـبيـل الله؛ وإنّ المؤمنين المتّقين على أحسن هدى وأقومـه؛ وإنه لا يجيـر مشرك مـالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط[2] مؤمناً قتْلا عن بيّنة فإنه قوَد به إلا أن يرضى وليّ المقتول، وإنّ المؤمنين عليه كافة، ولا يحلّ لهم إلاّ قيـام عليه؛ وإنـه لا يحلّ لمؤمن أقـرّ بما في هـذه الصحيفة وآمن بـالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه؛ وأنه من نصـره أو آواه، فإنّ عليـه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صـرف ولا عدل؛ وإنّكم مهمـا اختلفتم فيه من شيء، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمـد ﷺ؛ وإنّ اليهود ينفقـون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهـود دينهم، وللمسلمين دينهم، مـواليهم وأنفسهم، إلاّ من ظلم وأَثِم، فـإنـه لا

---

(١) الدسيعة: العظيمة.

(٢) اعتبط: قتل بلا جناية.

يوتغ[1] إلا نفسه، وأهل بيته، وإنّ ليهود بني النجّار مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني جُشم مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف؛ وإنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف؛ إلّا من ظلم وأثِم، فإنه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته؛ وإنّ جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإنّ لبني الشُطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإنّ البرّ دون الإثم؛ وإنّ موالي ثعلبة كأنفسهم؛ وإنّ بطانة يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلّا بإذن محمد ﷺ؛ وإنه لا ينحجز على ثار جُرح؛ وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلّا من ظلم؛ وإنّ الله على أبرّ هذا[2]، وإنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة؛ وإنّ بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه؛ وإنّ النصر للمظلوم؛ وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإنّ الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم؛ وإنه لاتجار حُرمة إلّا بإذن أهلها؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشْتِجار يخاف فساده، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد رسول الله - ﷺ -؛ وإنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه؛ وإنه لا تُجار قريش ولا مَن نصرها؛ وإنّ بينهم النصر على من دَهَم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنّهم يصالحونه ويلبسونه؛ وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلّا من حارب في الدين، على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم؛ وإنّ يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام: ويقال: مع البرّ المحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحاق: وإنّ البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلّا على

---

(١) يوتغ: يهلك.

(٢) أي على الرضا به.

نفسه؛ وإنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلاّ من ظلم أو أثم؛ وإنّ الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله - ﷺ -[1]».

المؤآخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه من المهاجرين والأنصار[2] فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل -: تآخوا في الله أخوين أخوين؛ ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب، فقال: هذا أخي. فكان رسول الله - ﷺ - سيد المرسلين، وإمام المتّقين، ورسول ربّ العالمين، الذي ليس له خطير[3] ولا نظير من العباد، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين؛ وكان حمزة بن عبدالمطّلب، أسد الله وأسد رسوله - ﷺ - وعمّ رسول الله - ﷺ -، وزيد بن حارثة، مولى رسول الله - ﷺ - أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت؛ وجعفر ابن أبي طالب ذو الجناحين، الطيّار في الجنّة، ومُعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، أخوين.

قال ابن هشام: وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة.

---

(١) قال أبو عبيد في كتاب (الأموال ٢٠٢ - ٢٠٦): إنما كتب رسول الله ﷺ هذا الكتاب قبل أن تُفرض الجزية، وإذ كان الإسلام ضعيفاً. قال: وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

وانظر نص المعاهدة في كتاب الأموال، والبداية والنهاية ٢٢٤/٣ - ٢٢٦، وسبل الهدى ٥٥٥/٣، ٥٥٦ (بالحاشية)، ومجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله ٧/١ طبعة القاهرة ١٩٤٢، والروض الأنف ٢٥٢/٢

(٢) آخى رسول الله ﷺ بين اصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدّ أزر بعضهم ببعض، فلما عزّ الإسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يعني في التوادّ وشمول الدعوة. (الروض الأنف ٢٥٢/٢).

(٣) الخطير: المثل.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه، ابن أبي قُحافة، وخارجة بن زهير، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين. وعمر بن الخَطّاب رضي الله عنه، وعِتبان بن مالك، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين وأبو عبيدة بن عبدالله بن الجرّاح، واسمه عامر بن عبدالله، وسعد بن مُعاذ بن النعمان، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين. والزبير بن العوام، وسلمة بن سلامة بن وقش، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. ويقال: بل الزبير وعبدالله بن مسعود حليف بني زهرة، أخوين؛ وعثمان بن عفان، وأوس بن ثابت بن المنذر، أخو بني النجّار، أخوين. وطلحة بن عُبيد الله، وكعب بن مالك، أخو بني سلمة، أخوين. وسعد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وأُبَيّ بن كعب، أخو بني النجّار: أخوين، ومُصعب بن عُمير بن هاشم، وأبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النّجّار: أخوين؛ أبو حُذيفة بن ربيعة، وعبّاد بن بشْر بن وقش، أخو بني عبد الأشهل؛ أخوين. وعمّار بن يسار، حليف بنو مخزوم، وحُذيفَة بن اليمان، أخو بني عبد عبس، حليف بني عبد الأشهل: أخوين. ويقال: ثابت بن قيس بن الشمّاس، أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله ـ ﷺ ـ، وعمار بن ياسر؛ أخوين. وأبو ذَرّ، وهو برير بن جنادة الغفاريّ، والمنذر بن عمرو، المعنق ليموت[1]، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: أخوين.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من العلماء يقول: أبو ذَرّ: جندب ابن جنادة.

قال ابن إسحاق: وكان حاطب بن أبي بلتعة، حليف بني أسد بن عبد العُزّى، وعُويم بن ساعدة، أخو بني عمرو بن عوف، أخوين؛ وسلمان

---

(١) أي أنّ الموت أسرع إليه وساق إليه أجله.

الفارسيّ، وأبو الدرداء، عُويمر بن ثعلبة، أخو بلحارث بن الخزرج، أخوين.

قال ابن هشام: عويمر بن عامر؛ ويقال: عويمر بن زيد.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، مؤذّن رسول الله - ﷺ -، وأبو رُويحة، عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي، ثم أحد الفزع[1]، أخوين، فهؤلاء من سُمّي لنا، ممن كان رسول الله - ﷺ - آخى بينهم من أصحابه.

فلما دوَّن عمر بن الخطّاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مجاهداً، فقال عمر لبلال: إلى من تجعل ديوانك يا بلال؟ قال: مع أبي رُويحة، لا أفارقه أبداً، للأخوَّة التي كان رسول الله - ﷺ - عقد بينه وبيني، فضمّ إليه، وضمّ ديوان الحبشة إلى خثعم، لمكان بلال منهم، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام[2].

أبو أُمامة[3]

قال ابن إسحاق: وهلك في تلك الأشهر أبو أُمامة، أسعد بن زُرارة، والمسجد يُبنَى، أخذته الذِّبحة أو الشهقة[5].

---

(١) هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل، وأفتل هو خثعم بن أنمار، وقد اختلف النسّابون فيما بعد أنمار.
والفزع هذا بفتح الزاي، واما الفزع بسكونها، فهو الفزع بن عبدالله بن ربيعة؛ وكذلك الفزع في خُزاعة، وفي كلب هما ساكنان ايضاً قاله ابن حبيب؛ وقال الدارقطني: الفزع بفتح الزاي؛ رجل يروي عن ابن عمر. (الروض الأنف ٢/٢٥٢).

(٢) أنظر: أنساب الاشراف ١/٢٦٩ - ٢٧١، نهاية الأرب ١٦/٣٤٧، ٣٤٨، الروض الأنف ٢/٢٥٢، الطبقات الكبرى ١/٢٣٨، سيرة ابن كثير ٢/٣١٩.

(٣) انظر عنه في: المسند لأحمد ٤/١٣٨، الطبقات لأبن سعد ٣/١٣٨، الطبقات لخليفة ٩٠، ٩١، تاريخ خليفة ٥٦، المعارف ٣٠٩، الجرح والتعديل ٢/٣٤٤، الاستبصار ٥٦ - ٥٨، تاريخ الطبري ٢/٣٩٧، الاستيعاب ١/١٥٣ - ١٥٦، أسد الغابة ١/٨٦، العبر ١/٣، الإصابة ١/٥٠، شذرات الذهب ١/٩، عيون التواريخ ١/١٠٧، سيرة ابن كثير ٢/٣٢٩.

(٤) الذبحة: وجع الحلق يختنق فيقتل. (تاج العروس ٦/٣٧٢).

(٥) الشهقة: الصيحة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أسعد بن زُرارة: أنّ رسول الله - ﷺ -، قال: «بئس الميت أبو أُمامة، ليهود ومنافقي العرب يقولون: لو كان نبيًّا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة الأنصاريّ: أنه لما مات أبو أُمامة، أسعد بن زُرارة، اجتمعت بنو النجّار إلى رسول الله - ﷺ -، وكان أبو أُمامة نقيبهم، فقالوا له: يا رسول الله: إنّ هذا قد كان منّا حيث قد علمت، فاجعل منّا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم؛ فقال رسول الله - ﷺ - لهم: «أنتم أخوالي، وأنا بما فيكم، وأنا نقيبكم»؛ وكرِه رسول الله - ﷺ - أن يخصّ بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجّار الذي يعدون على قومهم، أن كان رسول الله - ﷺ - نقيبهم[2].

خبر الأذان[3]

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنّ رسول الله - ﷺ - بالمدينة، واجتمع إليه

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٩٧، وأخرج نحوه ابن ماجه في الطب (٣٤٩٢) باب من اكتوى، وابن عبدالبر في الاستيعاب ٥/٤٦٩، وأخرج احمد ٤/ ٦٥ و ٥/٣٧٨ وابن سعد ٣/١٤٠ من طريق زهير، عن أبي الزبير، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن بعض اصحاب النبيّ ﷺ قال: كوى رسول الله ﷺ أسعد أو سعد بن زرارة مرتين في حلقه من الذبحة، وقال: «لا أدع في نفسي منه حرجاً»، وهو في الموطأ ٢/٩٤٤ عن يحيى بن سعيد، قال: بلغني ان سعد بن زرارة اكتوى في زمن رسول الله ﷺ من الذبحة فمات. وروى شعبة، عن محمد ابن عبدالرحمن، ان جدّه أسعد بن زرارة اصابه وجع الذبح في حلقه، فقال رسول الله ﷺ: «لأبلغنّ أو لأُبلينَّ في أبي أُمامة عذراً» فكواه بيده فمات. فقال رسول الله ﷺ: «ميتة سوء لليهود، يقولون: هلاّ دفع عن صاحبه، ولا أملك له ولا لنفسي من الله شيئاً». (سير أعلام النبلاء ١/٣٠١).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٩٨، الطبقات لابن سعد ٣/١٤١، المستدرك على الصحيحين ٣/١٨٦، سير أعلام النبلاء ١/٣٠٠.

(٣) الطبقات الكبرى ١/٢٤٦ - ٢٤٨، انساب الاشراف ١/٢٧٣، نهاية الأرب ١٦/٣٩٩، ٤٠٠، عيون الأثر ١/٢٠٣ - ٢٠٦، سيرة ابن كثير ٢/٣٣٤.

إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفُرض الحلال والحرام، وتبوّأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحيّ من الأنصار هم الذين تَبوَّءوا الدار والإيمان. وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ حين قدِمها إنّما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهمَّ رسول الله ـ ﷺ ـ حين قدِمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرِهه؛ ثم أمر بالناقوس، فنُحِت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

رؤيا عبدالله بن زيد: فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبدالله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه، أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بيَ هذه الليلة طائف: مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبدالله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلّك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أنّ محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله».

فلما أخبر بها رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: إنّها لرؤيا حقّ، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِها عليه، فليؤذّن بها، فإنه أندى[1] صوتاً منك». فلما أذّن بها بلال سمعها عمر بن الخطّاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبيّ الله والذي بعثك بالحقّ، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فلله الحمد على ذلك»[2].

---

(١) أندى: أحسن وأبدع.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٤٦، ٢٤٧ برواية محمد بن عمر الأسلمي، عن سليمان بن سليم=

رؤيا عمر: قال ابن إسحاق: حدّثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم ابن الحارث، عن محمد بن عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه، عن أبيه.

قال ابن هشام: وذكر ابن جُريج، قال لي عطاء: سمعت عُبيد بن عُمير اللَّيثي يقول: ائتمر النّبيّ ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطّاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام، لا تجعلوا الناقوس، بل أذّنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبيّ ﷺ ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك، فما راع عمر إلّا بلال يؤذّن، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ حين أخبره بذلك: «قد سبقك بذلك الوحي»[1].

ما كان يدعو به بلال قبل الفجر: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن امرأة من بني النجّار، قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذّن عليه للفجر كلّ غَداة، فيأتي بسَحَر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطّى، ثم قال: اللهم إنّي أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك. قالت: والله ما علمته كان يتركها ليلةً واحدة[2].

أبو قيس ابن أبي أنس[3]

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنّت برسول الله ـ ﷺ ـ داره، وأظهر الله بها

= القاري، عن سليمان بن سحيم، عن نافع بن جبير. وعن عبدالحميد بن جعفر، عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، وعن هشام بن سعيد، عن زيد بن اسلم، وعن معمر بن راشد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب.

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٣ رقم ٦٣٦، عيون الأثر ١/٢٠٥، سيرة ابن كثير ٢/٣٣٧.

(٢) سيرة ابن كثير ٢/٣٣٨ ورواه ابو داود من حديثه منفرداً به.

(٣) الاستيعاب ٢/٢٠٢، أنساب الاشراف ١/٢٦٨، الإصابة ٢/١٨٣، ١٨٤.

دينه، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته؛ قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني عديّ بن النجّار.

قال ابن هشام: أبو قيس، صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عدِيّ بن النجّار.

قال ابن إسحاق: وكان رجلاً قد ترهّب في الجاهلية، ولبس المُسُوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهّر من الحائض من النساء، وهمّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له فاتّخذه مسجداً لا تدخله عليه فيه طامث ولا جُنُب، وقال: أعبد ربَّ إبراهيم، حين فارق الأوثان وكرهها، حتى قدِم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فأسلم وحَسُن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوّالاً بالحقّ معظِّماً لله عزّ وجلّ في جاهليته، يقول أشعاراً في ذلك حِساناً ـ وهو الذي يقول:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا[1]: ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبرّ والتُّقى ... وأعراضكم، والبرّ بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم[2] ... وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب[3] غرم فادح فارفقوهم ... وما حمَّلوكم في الملمّات فاحملوا
وإن أنتمُ أمعرتم[4] فتعففوا ... وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا[5]

قال ابن هشام: ويُروى:

وإن ناب أمر فادح فارفدوهم

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة أيضاً:

---

(١) في الاستيعاب «ناصحاً».
(٢) في الاستيعاب «تحسدوهم».
(٣) في الاستيعاب «يأت».
(٤) امعرتم: افتقرتم. وفي الاستيعاب «أملقتم».
(٥) الاستيعاب ٤/١٥٨.

سبّحوا الله شرق كلّ صباح ... طلعت شمسه وكلّ هلال
عالم السرّ والبيان لدينا ... ليس ما قال ربّنا بضلال
وله الطَّيرُ تَسْتَريد[1] وتأوي ... في وُكور من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفلاة تراها ... في حِقافٍ[2] وفي ظلال الرّمال
وله هَوَّدَتْ[3] يهودُ ودانت ... كلَّ دين إذا ذكرت عُضال
وله شمّس[4] النّصارى وقاموا ... كلّ عيدٍ لربّهم واحتفال
وله الراهبُ الحبيسُ[5] تراهُ ... رهْنَ بؤسٍ وكانَ ناعمَ بال
يا بَنيّ الأرحام لا تقطعوها ... وصِلُوها قصيرة من طِوال[6]
واتّقوا الله في ضعاف اليتامى ... ربما يُستحلّ غيرُ الحلال
واعلموا أنّ لليتيم وليّاً ... عالماً يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه ... إنّ مال اليتيم يرعاه والي
يا بَنيّ، التخوم لا تخْزلوها ... إنّ خزل التخوم ذو عُقّال[7]
يا بَنيّ الأيام لا تأمنوها ... واحذروا مكرها ومرّ[8] الليالي
واعلموا أنّ مَرَّها لَنَفاد الـ ... ـخلق ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البرّ والتّقْـ ... ـوَى وترك الخَنَا وأخذ الحلال[9]

وقال أبو قيس صِرْمة أيضاً، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام، وما خصّهم الله به من نزول رسوله ﷺ عليهم:

---

(١) تستريد: تذهب وترجع.
(٢) حقاف الرمل: ما تكدّس منه في استدارة.
(٣) هوّدت: رجعت.
(٤) شمّس: تعبّد.
(٥) الراهب الحبيس: الذي حبس عن ملذّات الدنيا.
(٦) أي إن كانت قصيرة فصلوها أنتم من فضلكم.
(٧) التخوم: الحدود، والخزلان: القطع، والعقّال: المنع. وفي الاستيعاب ٤/١٥٩:
«يا بني النجوم لا تخذلوها ... إن خذل النجوم ذو عُقال
(٨) في الاستيعاب «مكر».
(٩) ذكر ابن عبدالبر منها تسعة أبيات. (٤/١٥٨، ١٥٩).

ثوى[1] في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجّةً ... يذكّر لو يَلْقى صديقاً مُواتيا
ويعرِضُ في أهل المواسم نفسَه ... فلم يرَ من يُؤْوي ولم يَرَ داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه[2] ... فأصبح مسروراً بطِيبةَ راضيا
وألفى صديقاً واطمأنّت به النَّوى ... وكان له عوناً من الله باديا
يَقُصّ لنا ما قال نوحٌ لقومه ... وما قال موسى إذْ أجاب المُناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا[3]
بذلنا له الأموال من حلّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أنّ الله لا شيء غيرُه ... ونعلم أنّ الله أفضلُ هاديا[4]
نُعادي الذي عادى من الناس كلّهم ... جميعاً وإنْ كان الحبيبَ المُصافيا[5]
أقول إذا أدعوك في كلّ بيعة: ... تباركتَ قد أكثرتُ لاسمك داعيا
أقولُ إذا جاوَزتُ أرْضاً مخُوفةً: ... حَنانَيْك لا تُظْهر عليَّ الأعاديا
فطأ مُعْرِضاً إنّ الحُتُوف كثيرةٌ ... وإنّك لا تُبقي لنفسِك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتّقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تَحْفِلُ النخلُ المُعيمةُ[6] ربَّها ... إذا أصبحت ريّاً وأصبح تاويَا[7]

قال ابن هشام: البيت الذي أوله:

فطأ معرضاً إن الحتوف كثيرة

---

(١) ثوى: اقام.

(٢) وفي رواية: «فلما أتانا واطمأنّت به النوى» (تاريخ الإسلام ٣٣٧) وفي رواية «استقرّت به النوى». (الاستيعاب ٢/٢٠٣).

(٣) في الاستيعاب
«وأصبح ما يخشى ظلامة ظالم ... بعيدٍ ولا يخشى من الناس باغيا»

(٤) في تاريخ الإسلام «وأن كتاب الله أصبح هادياً».

(٥) في الاستيعاب «المواتيا»، وفي تاريخ الإسلام «المواسيا».

(٦) المعيمة: العاطشة.

(٧) التاوي: الهالك.

وانظر الأبيات باختلاف في الألفاظ وتقديم وتأخير ونقص في: تاريخ الطبري ٢/٣٨٥، ٣٨٦، الاستيعاب ٢/٢٠٣، ٢٠٤، أنساب الاشراف ١/٢٦٨، دلائل النبوة للبيهقي، تاريخ الإسلام (السيرة) ٣٣٧، سيرة ابن كثير ٢/٢٨٣، مروج الذهب (طبعة بولاق) ١/٣٠٩.

والبيت الذي يليه:

فوالله ما يدري الفتى كيف يتّقي

لأفنون التغلبيّ، وهو صريم بن معشر، في أبياتٍ له.

عداوة اليهود

قال ابن إسحاق: ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسول الله - ﷺ - العداوة، بغياً وحسداً وضغناً، لِما خصّ الله تعالى به العربَ من أخْذه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج، ممن كان عسى[1] على جاهليّته - فكانوا أهل نفاق على دِين آبائهم من الشِرْك والتكذيب بالبعث، إلاّ أنّ الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتّخذوه جُنّةً من القتل، ونافقوا في السرّ، وكان هواهم مع يهود، لتكذيبهم النبيّ ﷺ، وجحودهم الإسلام، وكانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله - ﷺ - ويتعنّتونه، ويأتونه باللّبس، ليُلْبِسوا الحقّ بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه، إلاّ قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها.

[من بني النضير]: حُيَيّ بن أخطب، وأخواه أبو ياسر بن أخطب، وجديّ بن أخطب، وسلاّم بن مشكم، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وسلام بن أبي الحُقَيق، وأبو رافع الأعور: وهو الذي قتله أصحاب رسول الله - ﷺ - بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وعمرو بن جحّاش، وكعب بن الأشرف، وهو من طيّء، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النّضير، والحَجّاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، وكَرْدَم بن قيس، حليف كعب بن الأشرف، فهؤلاء من بني النضير[2].

---

(١) عسى: بقي.

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٨٣، ٢٨٤، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.

ومن بني ثعلبة بن الفِطيون[1]: عبد الله بن صُوريا الأعور، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه؛ وابن صَلوبا، ومُخَيْريق، وكان حَبرهم، أسلم[2].

ومن بني قَيْنُقاع: زيد بن اللَّصِيت ـ ويقال: ابن اللُّصَيت ـ فيما قال ابن هشام ـ وسعد بن حُنيف، ومحمود بن سَيْحان، وعُزَيز بن أبي عُزيز، وعبدالله بن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيف[3].

قال ابن إسحاق: وسُويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفِنْحاص، وأَشْيَع، ونُعمان بن أضا، وبحرِي بن عمرو، وشأس بن عدِيّ، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو، وسُكَين بن أبي سُكَين، وعديّ بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دحْية، ومالك ابن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيف[4].

قال ابن إسحاق: وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أبي أزار. قال ابن هشام: ويقال: آزر بن آزر.

قال ابن إسحاق: ورافع بن حارثة، ورافع بن حُريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبدالله بن سلام ابن الحارث، وكان حَبْرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحُصين، فلما أسلم سمّاه رسول الله ـ ﷺ ـ عبدالله[5]. فهؤلاء من بني قَيْنُقاع.

ومن بني قُرَيظة: الزبير بن باطا بن وهْب. وعزَّال بن شمويل، وكعب ابن أسد، وهو صاحب عقد بني قُرَيظة الذي نُقض عام الأحزاب، وشمويل

---

(١) الفطيون: كلمة عبرية تطلق على من ولي أمر اليهود.

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٨٥ رقم ٦٤٣، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.

(٣) أنساب الأشراف ١/٢٨٥، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.

(٤) أنساب الأشراف ١/٢٨٤، نهاية الأرب ١٦/٣٦٢.

(٥) نهاية الأرب ١٦/٣٦٢، ٣٦٣.

ابن زيد، وجبل بن عمرو بن سُكينة، والنحّام بن زيد، وقَرْدم بن كعب، ووهْب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعديّ بن زيد، والحارث ابن عوف، وكَردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجبل بن أبي قُشَير، ووهْب بن يهوذا، فهؤلاء من بني قُرَيظة[1].

ومن يهود بني زُرَيق: لَبِيد بن أعصم، وهو الذي أخذ رسول الله - ﷺ - عن نسائه[2].

ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صُوريا.

ومن يهود بني عمرو بن عوف: قَرْدَم بن عمرو.

ومن يهود بني النجّار: سِلسِلة بن بَرْهام.

فهؤلاء أحبار اليهود، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - ﷺ -

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٦٣.

(٢) يعني من الأخذة، وهي ضرب من السحْر. وكان لَبِيد هذا قد سحر رسول الله ﷺ، وجعل سحره في مشط ومشّاطة، وروي: مشّاقة بالقاف، وهي مشّاقة الكتّان، وجف طلعة ذكر، وهي فحال النخل، وهو ذكاره. والجفّ: غلاف للطلعة، ويكون لغيرها، وأكثر أهل الحديث يقولون: ذروان تحت راعوفة البئر، وهي صخرة في أسفله يقف عليها المائح، وهذا الحديث مشهور عند الناس، ثابت عند أهل الحديث، غير أني لم أجد في الكتب المشهورة: كم لبث - رسول الله ﷺ، بذلك السحر، حتى شُفي منه، ثم وقعت على البيان في جامع معمر بن راشد، روى معمر عن الزُهْري، قال: سُحر رسولُ الله ﷺ سنة يُخيَّل إليه أنه يفعل الفعل، وهو لا يفعله وقد طعنت المعتزلة في الحديث وطوائفٍ من أهل البِدَع، وقالوا لا يجوز على الأنبياء ان يُسحروا، ولو جاز ان يُسحروا، لجاز ان يجنّوا، ونزع بعضهم بقوله عزّ وجلّ: ﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ والحديث ثابت خرّجه أهل الصحيح، ولا مطعن فيه من جهة النقل، ولا من جهة العقل، لأنّ العصمة إنّما وجبت لهم في عقولهم وأديانهم، وأما أبدانهم، فإنهم يُبتَلَون فيها، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل، والأخذة التي أخذها رسول الله ﷺ من هذا الفن: إنما كانت في بعض جوارحه دون بعض.

واما قوله سبحانه: ﴿وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فإنه قد رُوي أنه كان يحرس في الغزو: حتى نزلت هذه الآية: فأمر حُرّاسه ان ينصرفوا عنه: وقال: لا حاجة لي بكم: فقد عصمني الله من الناس: أو كما قال. عن (الروض الأنف ٢/٢٩٠).

وأصحابه، وأصحاب المسألة، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه، إلا ما كان من عبدالله بن سَلام ومُخَيْريق[2].

إسلام عبدالله بن سلّام[1]

قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبدالله بن سلّام، كما حدّثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حَبْراً عالماً، قال: لما سمعت برسول الله - ﷺ - عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنّا نتوكّف[2] له، فكنت مُسِرًّا لذلك صامتاً عليه، حتى قدِم رسول الله - ﷺ - المدينة، فلما نزل بقُباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمّتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله - ﷺ - كبَّرت؛ فقالت لي عمّتي، حين سمعت تكبيري: خيّبك الله، والله لو كنتَ سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دِينه، بُعث بما بُعث به. فقالت: أي ابن أخي، أهو النبيّ الذي كنّا نُخبر أنه يُبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجت إلى رسول الله - ﷺ -، فأسلمتُ، ثم رجعت إلى أهل بيتي، فأمرتهم فأسلموا.

---

(١) أنظر عنه في: مسند أحمد ٥/٤٥٠، الطبقات الكبرى ٢/٣٥٢، ٣٥٣، التاريخ لابن معين ٢/٣١١، الطبقات لخليفة ٨، تاريخ خليفة ٥٦ و٢٥٦، التاريخ الكبير ٥/١٨، ١٩، المعرفة والتاريخ ١/٢٦٤، الجرح والتعديل ٥/٦٢، المستدرك على الصحيحين ٣/٤١٣، الاستبصار ١٩٣، الاستيعاب ٣/٩٢١، جامع الأصول ٩/٨١، أسد الغابة ٣/٢٦٤، تاريخ الإسلام ٢/٢٣٠، العبر ١/٥١، سير أعلام النبلاء ٢/٤١٣، مجمع الزوائد ٩/٣٢٦، أنساب الأشراف ١/٢٦٦ رقم ٦١٨، عيون الأثر ١/٢٠٦، نهاية الأرب ١٦/٣٦٣، تهذيب تاريخ دمشق ٧/٤٤٣ - ٤٤٨، صفة الصفوة ١/٣٠١، ٣٠٢، تهذيب الأسماء واللغات ق ١٨١/٢٧٠، ٢٧١ رقم ٣٠٤، تذكرة الحفّاظ ١/٢٦، ٢٧، مرآة الجنان ١/١٢٠، الوافي بالوفيات ١٧/١٩٨ - ١٩٩ رقم ١٨٤، تهذيب التهذيب ٥/٢٤٩ رقم ٤٣٧، الإصابة ٢/٣٢٠ رقم ٤٧٢٥ خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) بتحقيقنا ٣٢.

(٢) نتوكف: نتوقع.

قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله - ﷺ -، فقلت له: يا رسول الله، إنّ يهود قوم بُهْت، وإنّي أحبّ أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيّبني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنّهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله - ﷺ - في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلّموه وسألوه، ثم قال لهم: أيّ رجل الحُصَين بن سلام فيكم»؟ قالوا: سيّدنا وابن سيّدنا، وحَبْرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتَعلمون إنّه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإنيّ أشهد أنه رسول الله - ﷺ -، وأومن به وأصدّقه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثم واقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله - ﷺ -: ألم أخبرك يا رسول الله أنّهم قوم بُهْتٌ، أهل غدرٍ وكذبٍ وفُجُور! قال؛ فأظهرت إسلامي وإسلامَ أهل بيتي، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث، فحسُن إسلامها[1].

من حديث مُخَيْريق: قال ابن إسحاق: وكان من حديث مُخَيْريق، وكان حَبْراً عالماً، وكان رجلاً غنيّاً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله - ﷺ - بصفته، وما يجد في علمه، وغلب عليه إلْفُ دينه، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أُحُد، وكان يوم أُحُد يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنّكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ. قالوا: إنّ اليوم يوم السبت؛ قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله - ﷺ - بأُحُد، وعهِد إلى من وراءه من قومه: إن قُتلت هذا اليوم، فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل. فكان رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - يقول: «مُخَيْريق خير يهود». وقبض رسول الله - ﷺ -

(١) أخرج البخاري نحوه في الهجرة ٧/١٩٥ - ١٩٨، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/٤١٦، ونهاية الأرب ١٦/٣٦٤، وسبل الهدى ٣/٥٥٤.

أمواله، فعامّة صدقات رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة منها[1].

حديث صفية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حُدّثت عن صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت: كنت أحَبّ ولد أبي إليه، وإلى عمّي أبي ياسر، لم ألقهما قطّ مع ولد لهما إلّا أخذاني دونه. قالت: فلما قدِم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، ونزل قُباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حُيَيّ بن أخطب، وعمّي أبو ياسر بن أخطب، مغلسَيْن. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ. قالت: وسمعت عمّي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه وتثبّته؟ قال: نعم؛ قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيتُ[2].

المنافقون بالمدينة: قال ابن إسحاق: وكان ممن انضاف إلى يهود، ممّن سُمّي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج، والله أعلم. من الأوس، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني لوذان بن عمرو بن عوف: زُوَيّ بن الحارث.

ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف: جُلّاس بن سُوَيد بن الصّامت، وأخوه الحارث بن سُويد.

وجُلّاس الذي قال: ـ وكان ممّن تخلّف عن رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة تبوك ـ لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرّ من الحمر. فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله ـ ﷺ ـ عُمير بن سعد، أحدهم، وكان في حجْر جُلاس، خَلَفَ جُلّاس على أمّه بعد أبيه، فقال له عُمير بن سعد: والله يا جُلّاس،

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٦٥، عيون الأثر ١/٢٠٨

(٢) عيون الأثر ١/٢٠٨.

إنـك لأحبّ الناس إليّ، وأحسنهم عنـدي يداً، وأعـزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكـرهه، ولقـد قلت مقالـة لئن رفعتها عليـك لأفضحنّك، ولئن صمتُّ عليهـا ليهلكنّ ديني، ولإحـداهمـا أيسـر عليّ من الأخـرى. ثم مشى إلى رسـول الله - ﷺ - فذكر له ما قـال جُلاس، فحلف جُـلاس بالله لـرسول الله - ﷺ -: لقد كذب عليّ عُمير، وما قلت مـا قال عُميـر بن سعد. فـأنزل الله عـزّ وجلّ فيه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللهِ مَا قَالُوا وَلَقَـدْ قَالُـوا كَلِمَةَ ٱلكُفْـرِ وَكَفَرُوا بَعْـدَ إِسْلَامِهِمْ، وهَمُّـوا بِمَا لَمْ يَنَـالُوا، وَمَـا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَـاهُمُ ٱللهُ وَرَسُولُـهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ، وَإِنْ يَتَوَلَّوا يُعَـذِّبْهُمُ ٱللهُ عَذَابـاً أَلِيماً فِي ٱلـدُّنْيَا وَٱلآخِـرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[1].

قال ابن هشام: الأليم: الموجع. قال ذو الرّمّة يصف إبلاً:

وتـرتـع من صـدور شَمـردَلات[2] يـصـكّ وجـوهـهـا وهـجٌ ألـيـمُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه تاب فحسُنت توبتهُ، حتى عُرِف منه الخير والإسلام.

وأخوه الحارث بن سُويد، الـذي قتل المجـذّر بن ذياد البَلَوي، وقيس ابن زيد، أحد بني ضبيعة، يوم أُحُد. خرج مع المسلمين، وكان منافقاً، فلما التقى الناس عدا عليهما، فقتلهما ثم لحِق بقريش.

قال ابن هشام: وكان المجذّر بن ذِياد قتل سُويد بن صـامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، فلما كـان يوم أُحُـد طلب الحارث ابن سُويد غـرّة المجذّر بن ذيـاد، ليقتله بأبيـه، فقتله وحده[3]، وسمعت غيـر

---

(١) سورة التوبة - الآية ٧٤.

(٢) الشمردلات: الإبل الطوال.

(٣) أنساب الأشراف ١/٢٣٨ رقم ٥٦٣ و٥٦٤ وص ٢٧٥ رقم ٦٤٠.

واحد من أهل العلم يقول، والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد، أنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أُحُد.

قال ابن إسحاق: قتل سويد بن صامت مُعاذ بن عفراء غِيلة، في غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعاث.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عمر ابن الخطّاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابن عباس -، **﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ ٱلْرَّسُولَ حَقٌّ، وَجَاءَهُمُ ٱلبَيِّنَاتُ، وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾**[1] إلى آخر القصّة.

ومن بني ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمرو بن عوف، بِجاد بن عثمان بن عامر.

ومن بني لوذان بن عمرو بن عوف: نبتل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله - ﷺ - فيما بلغني -: «من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نبتل بن الحارث»[2]. وكان رجلاً جسيماً أذلم[3] ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع[4] الخدّين، وكان يأتي رسول الله - ﷺ - يتحدّث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين؛ وهو الذي قال: إنّما محمد أُذُن، من حدّثه شيئاً صدّقه. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: **﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[5].

---

(١) سورة آل عمران - الآية ٨٦.
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٧٥.
(٣) الأذلم: المسترخي الشفتين.
(٤) الأسفع: من تضرب حُمرته إلى سواد.
(٥) سورة التوبة - الآية ٦١.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض رجال بَلعجلان أنه حُدِّث: أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له: إنه يجلس إليك رجل أذلم، ثائر شعر الرأس، أسفع الخدّين، أحمر العينين، كأنّهما قدران من صفر، كبِدُه أغلظ من كبد الحمار، ينقل حديثك إلي المنافقين، فاحذرْه. وكانت تلك صفة نَبتل بن الحارث، فيما يذكرون.

ومن بني ضُبيعة: أبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممّن بنى مسجد الضِّرار[1]، وثعلبة بن حاطب، ومُعتب بن قُشير، وهما اللذان عاهدا الله ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾[2] إلى آخر القصة. ومُعتب الذي قال يوم أحد: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾[3]. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللهِ غَيْرَ ٱلحَقِّ ظَنَّ ٱلجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾[4] إلى آخر القصّة. وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كِسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾[5] والحارث بن حاطب.

قال ابن هشام: معتِّب بن قُشير، وثعلبة، والحارث ابنا حاطب، وهم من بني أُميَّة بن زيد من أهل بدر، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أميّة بن زيد في أسماء أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وعبّاد بن حُنيف، أخو سهل بن حُنيف؛ وبحزَج،

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٦.
(٢) سورة التوبة ـ الآية ٧٥.
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.
(٤) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.
(٥) سورة الأحزاب ـ الآية ١٢.

وهم ممن كان بنى مسجد الضّرار، وعمرو بن خذام، وعبدالله بن نبتل[1].

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: جارية بن عامر بن العطّاف، وابناه: زيد ومجمّع، ابنا جارية، وهم ممن اتّخذ مسجد الضرار. وكان مجمع غلاماً حَدَثاً قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلّي بهم فيه، ثم إنه لما أُخرب المسجد، وذهب رجال من بني عمرو بن عوف، كانوا يصلّون ببني عمرو بن عوف في مسجدهم، وكان زمان عمر بن الخطّاب، كُلّم في مجمع ليصلّي بهم؛ فقال: لا، أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إله إلا هو، ما علمت بشيءٍ من أمرهم، ولكنّي كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم، فقدّموني أصلّي بهم، وما أرى أمرهم، إلاّ على أحسن ما ذكروا، فزعموا أنّ عمر تركه فصلّى بقومه[2].

ومن بني أُميّة بن زيد بن مالك: وديعة بن ثابت، وهو ممن بنى مسجد الضِّرار، وهو الذي قال: إنّما كنّا نخوض ونلعب. فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾**[3]؟!. إلى آخر القصة.

ومن بني عُبَيد بن مالك: خذام بن خالد، وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره؛ وبِشْر[4] ورافع، ابنا زيد.

ومن بني النَّبيت ـ قال ابن هشام: النبيت: عمرو بن مالك بن الأوس ـ قال ابن إسحاق: ثم من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مربع بن قيظي، وهو الذي قال لرسول الله ـ ﷺ ـ حين

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٧.
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٧٦.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٦٥.
(٤) في أنساب الأشراف ١/٢٧٧ «بشير».

أجاز في حائطه[1] ورسول الله ـ ﷺ ـ عامد إلى أُحُد: لا أحلّ لـك يا محمـد، إن كنت نبيّاً، أن تمرّ في حـائطي، وأخـذ في يده حفنـة من تراب، ثم قـال: والله لـو أعلم أنيّ لا أصيب بهذا التـراب غيرك لـرميتـك بـه، فـابتـدره القـوم ليقتلوه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «دعوه، فهذا الأعمى، أعمى القلب، أعمى البصيرة». فضربه سعد بن زيد، أخو بني عبد الأشهل بالقوس فشجّه، وأخوه أوس بن قيظي وهو الذي قال لرسول الله ـ ﷺ ـ يوم الخندق: يـا رسول الله، إنّ بيوتنا عورة، فأذَنْ لنـا فلنرجـعْ إليها. فـأنزل الله تعـالى فيه: ﴿**يَقُـولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً**﴾[2].

قال ابن هشام: عورة، أي مُعْورة للعدوّ وضائعـة؛ وجمعها: عـورات. قال النابغة الذبياني:

متى تـلْقهـم لا تلقَ لـلبيـت عـورةً ولا الجـار محرومـاً ولا الأمر ضـائعاً

وهذا البيت في أبياتٍ له. والعورة أيضاً: عورة الـرجل، وهي حُـرمته. والعورة أيضاً: السَّوْءَة.

قـال ابن إسحاق: ومن بني ظفـر، واسم ظِفر: كعب بن الحـارث بن الخـزرج: حـاطب بن أُميّـة بن رافـع، وكـان شيخـاً جسيمـاً قـد عسـا في جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمـين يقال له يزيـد بن حاطب، أصيب يوم أُحُد حتى أثبتته الجراحات، فحُمل إلى دار بني ظفر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة أنه اجتمع إليـه مَن بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت، فجعلوا يقـولون: أبشِـرْ يا بن حاطب بالجنّة. قال فنجم[3] نفـاقه حينئـذ، فجعل يقـول أبوه: أجـل جنّة والله

(١) حائطه: بستانه.
(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ١٣.
(٣) نجم: ظهر ووضح.

من حرمل، غرزْتم والله هذاالمسكينَ من نفسه[1].

قال ابن إسحاق: وبُشير بن أُبيرق، وهو أبو طعمة، سارق الدرعين، الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿**وَلَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**﴾[2]؛ وقزمان: حليف لهم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ رسول الله - ﷺ - كان يقول: «إنه لَمِنْ أهل النار». فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالاً شديداً حتى قتل بضعة نفر من المشركين، فأثبتته الجراحات، فحُمل إلى دار بني ظفر، فقال له رجال من المسلمين: أبشِرْ يا قزمان، فقد أبليت اليوم، وقد أصابك ما ترى في الله. قال: بماذا أُبَشَّر، فوالله ما قاتلت إلّا حميّةً عن قومي؛ فلما اشتدّت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كِنانته، فقطع به رواهش[3] يده، فقتل نفسه[4].

قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم، إلّا أنّ الضّحّاك بن ثابت، أحد بني كعب، رهط سعد بن زيد، قد كان يُتَّهم بالنّفاق وحبّ يهود.

قال حسّان بن ثابت:

من مُبلغُ الضّحّاك أنّ عُروقه	أعيتْ على الإسلام أن تتمجّدا
أتحبُّ يُهْدان الحجاز ودِينهم	كبِدَ الحمار، ولا تحبّ محّمدا
ديناً لَعَمري لا يوافق دِيننا	ما اسْتَنَّ آلٌ في الفضاء وخوّدا

وكان جُلّاس بن سُويد بن صامت قبل توبته - فيما بلغني - ومُعتّب بن قُشَير، ورافع بن زيد، وبِشْر، وكانوا يُدْعون بالإسلام، فدعاهم رجال من

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٧٧.
(٢) سورة النساء - الآية ١٠٧.
(٣) الرواهش: العصب في ظاهر الذراع، واحدتها راهشة.
(٤) أنساب الأشراف ١/٢٨١.

المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فدعوهم إلى الكُهّان، حكّام أهل الجاهلية، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِل مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾**[1]. . إلى آخر القصّة[2].

ومن الخزرج، ثم من بني النّجّار: رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلمة: الجدّ بن قيس، وهو الذي يقول: يا محمد، ائذن لي ولا تفتنّي، فأنزل الله تعالى فيهم **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنّيْ أَلَا فِيْ ٱلفِتْنَةِ سَقَطُوا، وَإِنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطَةٌ بِٱلكَافِرِينَ. . .﴾**[3]. إلى آخر القصَّة.

ومن بني عوف بن الخزرج: عبدالله بن أُبَيّ بن سلول، وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون، وهو الذي قال: **﴿لَئِنْ رَجَعْنا إِلَىٰ ٱلمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلأَعَزُّ مِنْهَا ٱلأَذَلَّ﴾**[4] في غزوة بني المصطلق. وفي قوله ذلك، نزلت سورة المنافقين بأسرها. وفيه وفي وديعة ـ رجل من بني عوف ـ ومالك بن أبي قوقل، وسُوَيد، وداعس، وهم من رهْط عبدالله بن أُبَيّ بن سلول؛ وعبدالله ابن أُبَيّ بن سلول. فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله ـ ﷺ ـ: أن اثبتوا، فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم. فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلكِتَاب لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبداً، وَإِنْ قُوتِلْتُم**

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١١٦.

(٢) أنساب الأشراف ١/ ٢٨٠.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٤٩.

(٤) سورة المنافقون ـ الآية ٨.

لَنَنْصُرَنَّكُمْ، وَٱللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلعَالَمِينَ﴾[1].

المنافقون من أحبار اليهود: قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوّذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من أحبار يهود.

من بني قَيْنُقاع: سعد بن حُنيف، وزيد بن اللّصِيت، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. وزيد بن اللصيت، الذي قاتل عمرَ بنَ الخَطّاب رضي الله عنه بسوق بني قَيْنُقاع، وهو الذي قال، حين ضلّت ناقة رسول الله - ﷺ -: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله - ﷺ -، وجاءه الخبر بما قال عدوّ الله في رَحْله، ودلّ الله تبارك وتعالى رسوله - ﷺ - على ناقته «إنّ قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلّا ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، فهي في هذا الشِّعب، قد حبستها شجرة بزمامها»، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله - ﷺ -، وكما وصف[2].

ورافع بن حُريملة، وهو الذي قال له الرسول الله - ﷺ - فيما بلغنا - حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين»[3].

ورفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي قال له رسول الله - ﷺ - حين هبّت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق، فاشتدّت عليه حتى أشفق المسلمون منها؛ فقال لهم رسول الله - ﷺ -: «لا تخافوا، فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار». فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينةَ وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبّت فيه الريح.

---

(١) سورة الحشر من الآية ١١ حتى الآية ١٦.

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٨٥ رقم ٦٤٣، عيون الأثر ١/٢١١.

(٣) أنساب الأشراف ١/٢٨٥ رقم ٦٤٤، عيون الأثر ١/٢١١.

وسِلسلة بن برهام. وكِنانة بن صورِيا[1].

طرد المنافقين من المسجد: وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس، فرآهم رسول الله - ﷺ - يتحدّثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله - ﷺ - فأخرِجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيّوب، خالد بن زيد بن كُلَيب، إلى عمر ابن قيس، أحد بني غَنْم بن مالك بن النجّار - كان صاحب آلهتهم في الجاهلية فأخذ برِجْله فسحبه، حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مِرْبد بني ثعلبة، ثم أقبل أبو أيّوب أيضاً إلى رافع ابن وديعة، أحد بني النجّار فلبّبه بردائه ثم نتَره نتراً شديداً، ولطم وجهه، ثم أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: أُفٍّ لك منافقاً خبيثاً: أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله - ﷺ -.

قال ابن هشام: أي ارجع من الطريق التي جئت منها. قال الشاعر:

فولَّى وأَدبر أَدراجَه وقد باء بالظُّلم من كان ثَمّ

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو، وكان رجلاً طويل اللحية، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمة خرّ منها. قال: يقول: خدشتني يا عمارة: قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك، فلا تقربنّ مسجدَ رسول الله - ﷺ -.

قال ابن هشام: اللدم: الضرب ببطن الكفّ. قال تميم بن أُبَيّ بن مُقْبل:

وللفؤاد وَجِيبٌ تحت أبهره لدمَ الوليد وراء الغَيْب بالحَجر

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٨٥، عيون الأثر ١/٢١١.

قال ابن هشام: الغيب: ما انخفض من الأرض. والأبهر: عِرْق القلب.

قال ابن إسحاق: وقام أبو محمد، رجل من بني النجّار، كان بدْريّاً، وأبو محمد مسعود بن أوْس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنم ابن مالك بن النجّار إلى قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غلاماً شاباً، وكان لا يُعلم في المنافقين شابّ غيره، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد.

وقام رجل من بلخدرة[1] بن الخزرج، رهط أبي سعيد الخُدْريّ، يقال له: عبدالله بن الحارث حين أمر رسول الله - ﷺ - بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له: الحارث بن عمرو، وكان ذا جُمَّة، فأخذ بجُمَّته فسحبه بها سحباً عنيفاً، على ما مرّ به من الأرض، حتى أخرجه من المسجد. قال: يقول المنافق: لقد أغلظت يا ابن الحارث؛ فقال له: إنّك أهل لذلك، أي عدوَّ الله لِما أنزل الله فيك: فلا تقربنّ مسجدَ رسول الله - ﷺ -، فإنّك نجِس.

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زُويّ بن الحارث؛ فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً، وأفِفَ منه، قال: غلب عليك الشيطان وأمره.

فهؤلاء من حضر المسجدَ يومئذ من المنافقين، وأمر رسول الله - ﷺ - بإخراجهم.

ما نزل في اليهود والمنافقين: ففي هؤلاء من أحبار يهود، والمنافقين من الأوس والخزرج، نزل صدر سورة البقرة إلى المئة منها - فيما بلغني - والله أعلم.

---

(١) يريد: من بني الخدرة.

يقول الله سبحانه وبحمده: ﴿الٓم . ذَٰلِكَ ٱلكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، أي لا شك فيه.

قال ابن هشام: قال ساعدة بن جؤية الهُذْلي:

فقالوا عَهِدْنا القومَ قد حَصَرُوا به ... فلا ريب أنْ قد كان ثمّ لَحِيمُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له، والريب أيضاً: الريبة. قال خالد بن زهير الهُذلي:

كأنَّني أرِيبُه برَيْب[3]

قال ابن هشام: ومنهم من يرويه:

كأنّني أربتُه بريب

وهذا البيت في أبيات له. وهو ابن أخي أبي ذُؤَيب الهُذلي.

﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]، أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهُدَى، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[5] أي يقيمون الصلاة بفرضها، ويؤتون الزكاة احتساباً لها. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[6]، أي يصدّقونك بما جئت به من الله عزّ وجَلّ، وما جاء به مَنْ قَبلك من المرسَلين، لا يفرّقون بينهم، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربّهم. ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[7]. أي بالبعث والقيامة والجنّة والنّار

---

(١) أول سورة البقرة.

(٢) لحيم: قتيل.

(٣) والرجز الذي استشهد ببيت منه:

يا قوم مالي وأبا ذؤيب ... كنت إذا أتيته من غيب

يشم عطفي ويمسّ ثوبي ... كأنّني أربته بريب

وكان أبو ذُؤَيب قد اتّهمه بامرأته فلذلك قال هذا. (الروض الأنف ٢/٢٩٣)

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٢.

(٥) سورة البقرة ـ الآية ٣.

(٦) سورة البقرة ـ الآية ٤.

والحساب والميزان، أي هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك، وبما جاءك من ربك ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾، أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]. أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شرّ ما منه هربوا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]، أي بما أُنزل إليك، وإن قالوا إنّا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، أي أنهم كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا مَا أُخذ عليهم الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[3]، أي عن الهدى أن يصيبوه أبداً، يعني بما كذّبوك به من الحقّ الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك، ﴿وَلَهُمْ﴾[3]، بما هم عليه من خلافك ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

فهذا في الأحبار من يهود، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4] يعني المنافقين من الأوس والخزرج، ومَن كان على أمرهم. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي شك ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾، أي شكّاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين: من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ، قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٥.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٦.
(٣) البقرة ـ الآية ٧.
(٤) سورة البقرة من الآية ٨ حتى ١٥.

لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحقّ، وخلاف ما جاء به الرسول **﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾**، أي إنّا على مثل ما أنتم عليه. **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**: أي إنّما نستهزىء بالقوم، ونَلعب بهم. يقول الله عزّ وجلّ: **﴿اللهُ يَسْتَهْزِيءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾**[٤].

قال ابن هشام: يعمهون: يحارون: تقول العرب: رجل عَمِهٌ وعامه: أي حيران، قال رؤبة بن العَجّاج يصف بلداً:

أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت في أرجوزة له. فالعُمه: جمع عامه؛ وأما عَمِه، فجمعه: عَمِهون. والمرأة عمِهة وعَمهاء.

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ اشْتَرَوُوا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[١]؛ أي الكفر بالإيمان **﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾**[١].

قال ابن إسحاق: ثم ضرب لهم مثلاً، فقال تعالى: **﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾** أي لا يبصرون الحقّ ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفأوه بكفرهم به ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾** أي لا يرجعون إلى الهدى، صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ عن الخير، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ، وَٱللهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾**[٢].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٦.
(٢) البقرة ـ الآيات ١٧ ـ ١٩.

قال ابن هشام: الصيِّب: المطر، وهو من صاب يصوب، مثل قولهم: السيِّد، من ساد يسود، والميّت: من مات يموت؛ وجمعه صيائب. قال علقمة بن عبد أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم:

كأنّهُم صابت عليهم سحابةٌ صَواعقُها لطيرِهنّ دَبيبُ

وفيها:

فلا تَعدلي بيني وبين مُغَمَّر[1] سقتْكَ روايا المُزْن حيث تَصُوب

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: أي هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، من الذي هم عليه من الخلاف والتخوّف لكم، على مثل ما وصف، من الذي هو في ظلمة الصيِّب، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حذر الموت. يقول: والله منزل ذلك بهم من النقمة، أي هو محيط بالكافِرين: ﴿يَكَادُ ٱلبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: أي لشّدة ضوء الحقّ ﴿كُلَّما أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، أي يعرفون الحق ويتكلّمون به، فهم من قولهم به على استقامة؛ فإذا ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيّرين. ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ أي لِما تركوا من الحقّ بعد معرفته ﴿إنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[2].

ثم قال: ﴿يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[3] للفريقين جميعاً، من الكفّار والمنافقين، أي وحّدوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ، فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) المغمَّر: الساذج الذي لم يجرّب الأمور.
(٢) البقرة ـ الآية ٢٠.
(٣) البقرة ـ الآية ٢١.
(٤) سورة البقرة ـ الآيتان ٢١ و٢٢.

قال ابن هشام: الأنداد: الأمثال، واحدهم نِدّ. قال لَبِيد بن ربيعة:

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعل

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: أي لا تُشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علِمتم أنّ الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحقّ لا شكّ فيه. **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾** أي في شكٍّ مما جاءكم به، **﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾**، أي من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه. **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾** فقد تبين لكم الحقّ **﴿فَاتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالحِجَارةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**[1]، أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

ثم رغّبهم وحذّرهم نقض الميثاق الذي أخذ عليهم لنبيّه ﷺ إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته، ثم قال: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** للأحبار من يهود **﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾** أي بلائي عندكم وعند آبائكم، لما كان نجّاهم به من فرعون وقومه **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾** الذي أخذت في أعناقكم لنبيّي أحمد إذا جاءكم **﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾** أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتّباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم **﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** أي أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره. **﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾** وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم **﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلَا تَلْبِسُوا ٱلحَقَّ بِٱلبَاطِلِ، وَتَكْتُمُوا ٱلحَقَّ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾**[2]، أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآيات ٤٠ ـ ٤٢.

برسولي وبما جاءَ به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[١]، أي أَتَنْهَوْنَ الناس عن الكفر بما عندكم من النبوَّة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجحدون ما تعلمون من كتابي.

ثم عدّد عليهم أحداثهم، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه، وتوبته عليهم، وإقالته إياهم، ثم قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللهَ جَهْرَةً﴾[٢].

قال ابن هشام: جهرة، أي ظاهراً لنا لا شيء يستره عنّا. قال أبو الأخزر الحَماني، واسمه قُتيبة.

يجهر أجوافَ المياه السُّدُم[٣]

وهذا البيت في أرجوزة له.

يجهر: يقول: يظهر الماء، ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره.

قال ابن إسحاق: وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى، وقوله لهم: ﴿ادْخُلُوا ٱلبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[٤]، أي قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره، وإقالته إياهم ذلك بعد هُزئهم.

قال ابن هشام: المنّ: شيء كان يسقط في السَّحَر على شجرهم، فيجتنونه حلواً مثل العسل فيشربونه ويأكلونه. **قال** أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانهمُ ما أبصر الناسُ طُعماً فيهمُ نَجَعا[٥]

---

(١) البقرة ـ الآية ٤٤.
(٢) سورة النساء ـ الآية ١٥٣.
(٣) السدم: هي المياه القديمة.
(٤) سورة البقرة ـ الآية ٥٨.
(٥) نجع: نفع.

وهذا البيت في قصيدة له، والسلوى: طير، واحدتها: سلواة؛ ويقال: إنها السُّمّاني، ويقال للعسل أيضاً: السلوى. وقال خالد بن زهير الهُذلي:

وقاسَمها بالله حقّاً لأنتُم ... ألذُّ من السَّلْوى إذا ما نَشُورها

وهذا البيت في قصيدة له. وحِطّة: أي حطّ عنّا ذنوبنا.

قال ابن إسحاق: وكان من تبديلهم ذلك كما حدّثني صالح بن كَيْسان، عن صالح مولى التوءمة بنت أُميّة بن خَلَف، عن أبي هريرة، ومن لا أتّهم، عن ابن عباس، عن رسول الله - ﷺ -، قال: دخلوا الباب الذي أُمِروا أن يدخلوا منه سُجَّداً يزحفون، وهم يقولون حنط في شعير.

قال ابن هشام: ويُروى: حنطة في شعيرة.

قال ابن إسحاق: واستسقاء موسى لقومه، وأمره إياه أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عيناً، لكلّ سبط[1] عين يشربون منها، قد علم كل سبط عينه التي منها يشرب، وقولهم لموسى عليه السلام: **﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وفُومِهَا﴾**.

قال ابن هشام: الفوم: الحنطة. قال أُميّة بن أبي الصَّلت الثقفي:

فوق شِيزَى مثل الجوابي[2] عليها ... قِطَعٌ كالوذِيل في نِقْي فُومِ

قال ابن هشام: الوذيل: قِطع الفضّة، والفوم: القمح؛ واحدته: فومة. وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَى بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ. اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[3].

---

(١) السبط الجماعة، وهي كالقبيلة في أولاد إسماعيل من العرب.

(٢) الشيزى: خشب أسود صلب تصنع منه الأمشاط والقصاع وغيرها يقال هو الأبنوس. والجوابي: الحياض يجبى إليها الماء، أي يجمع.

(٣) سورة البقرة - الآية ٦١.

قال ابن إسحاق: فلم يفعلوا، ورفعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا، والمسخ الذي كان فيهم، إذ جعلهم قِرَدة بأحداثهم، والبقرة التي أراهم الله عزّ وجلّ بها العبرة في القتيل الذي اختلفوا فيه، حتى بيّن الله لهم أمره، بعد التردّد على موسى عليه السلام في صفة البقرة؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة. ثم قال تعالى: **﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾** أي وإنّ من الحجارة لألْين من قلوبكم عمّا تُدعون إليه من الحقّ **﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[1].

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[2]. وليس قوله «يسمعون التوراة»، أنّ كلّهم قد سمعها، ولكنه فريق منهم، أي خاصة.

قال ابن إسحاق: فيما بلغني عن بعض أهل العلم: قالوا لموسى: يا موسى، قد حيل بيننا وبين رؤية الله، فأسمِعنا كلامه حين يكلّمك، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه، فقال له: نعم مرهم فلْيطّهروا، أو ليطهّروا ثيابهم، وليصوموا، ففعلوا. ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور، فلما غشِيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجّداً وكلّمه ربّه، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى، يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا عنه ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاءهم حرّف فريق منهم ما أمرهم به، وقالوا، حين قال موسى لبني إسرائيل: إنّ الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق الذي ذكر الله عزّ وجلّ: إنّما قال كذا وكذا، خلافاً لما قال الله لهم، فهم الذين عنى الله عزّ وجلّ لرسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٧٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٧٥.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾، أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة. ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾: لا تُحدّثوا العرب بهذا، فإنّكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان فيهم. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]، أي تقرّون بأنه نبيّ، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتّباعه، وهو يخبركم أنه النبيّ الذي كنّا ننتظر ونجد في كتابنا؛ اجحدوه ولا تقرّوا لهم به. يقول الله عزّ وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[٢].

قال ابن هشام: عن أبي عُبيدة: إلّا أمانيّ: إلّا قراءة، لأنّ الأمّيّ: الذي يقرأ ولا يكتب. يقول: لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرأونه.

قال ابن هشام: عن أبي عُبيدة ويونس أنهما تأوّلا ذلك عن العرب في قول الله عزّ وجلّ، حدّثني أبو عُبيدة بذلك.

قال ابن هشام: وحدّثني يونس بن حبيب النحْوي وأبو عُبيدة: إنّ العرب تقول: تمنّى، في معنى قرأ. وفي كتاب الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[٣]. قال: وأنشدني أبو عُبيدة النحْوي:

تمنّى كتاب الله أوّل ليله … وآخره وافى حِمام المقادر

وأنشدني أيضاً:

تمنّى كتاب الله في الليل خالياً … تمنّي داود الزبور على رِسل

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٧٦.
(٢) سورة البقرة ـ الآيتان ٧٧ و٧٨.
(٣) سورة الحج ـ الآية ٥٢.

وواحدة الأماني: أُمنية. والأمانيّ أيضاً: أن يتمنّى الرجل المال أو غيره.

قال ابن إسحاق: ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[1]: أي لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه، وهم يجحدون نُبوّتك بالظنّ. ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مولى لزيد بن ثابت، عن عِكْرمة، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: قدِم رسول الله - ﷺ - المدينة، واليهود تقول: إنّما مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذّب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنّما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً. قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾[3]. أي من عمل بمثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة، ﴿**فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ أي خُلد أبداً ﴿**وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3] أي من آمن بما كفرتم به، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنّة خالدين فيها، يخبرهم أنّ الثواب بالخير والشرّ مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عزّ وجلّ يؤنّبهم: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[4]، أي ميثاقكم ﴿**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللهَ، وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، وَذِي**

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٨٠.

(٣) سورة البقرة ـ الآيات ٨٠ ـ ٨٢.

(٤) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٣ و٨٤.

ٱلقُـرْبَىٰ وَٱليَتَامَىٰ وَٱلمَسَـاكِينِ، وقُولُـوا لِلنَّاسِ حُسْنـاً، وَأَقِيمُوا ٱلصَّـلاَةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾، أي تـركتم ذلك كلّه ليس بالتنقص. ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُم لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾[1].

قـال ابن هشام: تسفكـون: تصبّون. تقـول العـرب: سفـك دمـه، أي صبّه؛ وسفك الزِّقّ أي هراقه. قال الشاعر:

وكنّـا إذا مـا الضَّيفُ حـلّ بـأرضنـا ... سفكنـا دماء البُـدْن في تُربـة الحالِ

قال ابن هشام: يعني «بالحال»: الطِّين الذي يخالطه الرمل، وهو الذي تقول له العرب: السهلة. وقد جاء في الحديث: أنّ جبريل لما قال فـرعون: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱلَّـذِيٓ آمَنَتْ بِهِ بَنُـو إِسْرَائِيـلَ﴾[1] أخـذ من حـال البحـر وحمأته، فضرب به وجه فرعون. والحال: مثل الحمأة.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَـارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَـدُونَ﴾[2]. على أنّ هذا حقّ من ميثـاقي عليكم: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَتُخْـرِجُـونَ فَـرِيقـاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَـارِهِمْ، تَـظَاهَـرُونَ عَلَيْهِمْ بِـٱلإِثْمِ وَٱلعُدْوَانِ﴾: أي أهل الشرك: حتى يسفكوا دمـاءهم معهم. ويخرجـوهم من ديارهم معهم. ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أنّ ذلك عليكم في دينكم ﴿وَهُـوَ مُحَـرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: في كتـابكم ﴿إِخْـرَاجُهُمْ، أَفَتُؤْمِـنُونَ بِبَعْضِ ٱلكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، أي أتفادونهم مؤمنين بذلـك، وتُخرجـونهم كفّاراً بذلك. ﴿فَمَـا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَـلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِـزْيٌ فِي ٱلحَيَاةِ ٱلـدُّنْيَا، وَيَـوْمَ ٱلقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ ٱلعَذَابِ، وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّـا تَعْمَلُونَ. أُولٰئِكَ ٱلَّـذِينَ ٱشْتَـرَوُا ٱلحَيَـاةَ ٱلـدُّنْيَـا بِـٱلآخِـرَةِ، فَـلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلعَـذَابُ، وَلَا هُمْ يُنْصَـرُونَ﴾[3]. فأنّبهم الله عـزّ وجلّ بـذلك من فِعلهم، وقـد حـرّم عليهم في

---

(١) سورة يونس ـ الآية ٩٠.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٨٤.
(٣) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٥ و٨٦.

التوراة سفْك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أَسراهم.

فكانوا فـريقين، منهم بنو قَينقـاع ولفّهـم[١]، حلفاء الخـزرج: والنضير وقُريظة ولَفّهم، حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخـزرج حرب. خرجت بنو قَينقاع مع الخزرج، وخرجت النضيـر وقُريـظة مع الأوس، يـظاهر كـلّ واحدٍ من الفـريقين حلفاءه على إخـوانه حتى يتسـافكـوا دمـاءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شـرْك يعبدون الأوثان. لا يعرفون جنـة ولا ناراً، ولا بعثـاً ولا قيامـة، ولا كتابـاً، ولا حلالاً ولا حراماً، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم تصديقاً لما في التوراة، وأخذ بـه بعضهم من بعض، يفتدي بنـو قَينقاع من كـان من أسراهم في أيـدي الأوس، وتفتـدي النضيـر وقُـريـظة مـا في أيــدي الخـزرج منهم. ويطلون[٢] ما أصابوا من الـدماء،وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشـرْك عليهم. يقول الله تعـالى لهم حين أنّبهم بذلـك: ﴿أَفَتُؤْمِنُـونَ بِبَعْضِ ٱلكِتَـابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٣]، أي تفـاديـه بحكم التـوراة وتقتله، وفي حكم التوراة أن لا تفعل، تقتله وتخرجه من داره وتُظاهر عليه من يشرك بالله، ويعبد الأوثـان من دونـه، ابتغـاء عـرض الـدنيـا. ففي ذلــك من فعلهم مـع الأوس والخزرج ـ فيما بلغني ـ نزلت هذه القصة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَىٰ ٱلكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِـٱلرُّسُـلِ، وآتَيْنَـا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ ٱلبَيِّنَـات﴾[٤]، أي الآيات التي وُضعت على يـديه، من إحياء المَوتَى، وخلْقه من الطّين كهيئة الطيـر، ثم ينفخ فيـه فيكون طيـراً بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يـدّخرون في بيـوتهم، وما ردّ عليهم من التـوراة مع الإنجيـل، الذي أحـدث الله إليـه. ثم ذكـر كفـرهم

---

(١) لَفَّهُم: من عُدّ فيهم.
(٢) يطلون: يبطلون.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٨٥.
(٤) سورة البقرة ـ الآية ٨٧.

بذلك كلّه، فقال: ﴿أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ استَكْبَرْتُمْ، فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[1]، ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: في أكنَّة. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ ٱللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَروا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلكَافِرِينَ﴾[1].

قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه، قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة، كنّا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شِرْك وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون لنا: إنّ نبيّاً يُبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه، نقتلكم معه قتْل عاد وإرَم. فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش فاتّبعناه كفروا به يقول الله: ﴿فَلَمّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به، فَلَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بما أَنْزَلَ ٱللهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي أن جعله في غيرهم ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2].

قال ابن هشام: فباءوا بغضب: أي اعترفوا به واحتملوه. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حُبلَى يَسّرتها قبيلُها[3]

قال ابن هشام: يسَّرتها: أجلستها للولادة. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيّعوا من التوراة، وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبيّ ﷺ الذي أحدث الله إليهم.

ثم أنّبهم برفع الطُّور عليهم، واتّخاذهم العجْل إلهاً دون ربّهم، يقول

---

(١) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٨ و٨٩.
(٢) سورة البقرة ـ الآيتان ٨٩ و٩٠.
(٣) القبيلة: القابلة وهي من تستقبل الولد.

الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَة عِنْدَ ٱلله خَالِصَةً مِنْ دُونِ ٱلنّاس، فَتَمَنَّوُا ٱلمَوْتَ إنْ كَنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، أي ادعوا بالموت على أيّ الفريقين أكذب عند الله، فأبوا ذلك على رسول الله - ﷺ -. يقول الله جَلّ ثناؤه لنبيّه عليه الصلاة والسلام. ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ﴾[2]، أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك؛ فيقال لو تمنّوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على وجه الأرض يهوديّ إلاّ مات. ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العمر، فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاس عَلَى حَيَوٰةٍ﴾[3] اليهود ﴿وَمِنَ ٱلَّذينَ أشْرَكُوا يَوَدّ أحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ٱلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلعَذَابِ أن يُعَمَّرَ﴾[3] أي ما هو بمُنجيه من العذاب، وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحبّ طول الحياة، وأنّ اليهوديّ قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيّع مما عنده من العلم. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بإذْنِ ٱلله﴾[4].

سؤال اليهود الرسول، وإجابته: قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن عبدالرحمن بن ابي حسين المكّي، عن شهر بن حَوْشب الأشعريّ، أنّ نفراً من أحبار يهود جاءوا رسول الله - ﷺ -، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربعٍ نسألك عنهنّ، فإن فعلت ذلك اتّبعناك وصدّقناك، وآمنّا بك. قال: فقال لهم رسول الله - ﷺ - «عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدّقنّني»، قالوا: نعم، قال: «فاسألوا عما بدا لكم»؛ قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه، وإنما النطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسول الله - ﷺ -: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة؛ ونطفة المرأة صفراء رقيقة؛ فأيّتهما علت صاحبتها كان له الشّبَه»!

(١) سورة البقرة - الآية ٩٤.
(٢) البقرة - الآية ٩٥.
(٣) سورة البقرة - الآية ٩٦.
(٤) سورة البقرة - الآية ٩٧.

قالوا: اللهم نعم؛ قالوا: فأخبِرْنا كيف نومك؟ فقال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل؛ هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أنّي لست به تنام عينه وقلبه يقظان»؟ فقالوا: اللهمّ نعم؛ قال: فكذلك نومي؛ تنام عيني وقلبي يقظان؛ قالوا: فأخبِرْنا عما حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل؛ هل تعلمون أنه كان أحبَّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها؛ وأنه اشتكى شكوى؛ فعافاه الله منها؛ فحرّم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله؛ فحرّم على نفسه لحوم الأبل وألبانها»؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني»؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنّه يا محمد لنا عدوّ، وهو مَلَك، إنّما يأتي بالشدّة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لاتّبعناك؛ قال: فأنزل الله عزّ وجل فيهم: ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. . . إلى قوله تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بل أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وَٱتَّبَعُوا ما تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾، أي السحر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[1].

اليهود ينكرون نُبوّة سليمان عليه السلام وردّ الله عليهم: **قال ابن إسحاق:** وذلك أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أحبارهم: ألا تعجبون من محمد، يزعم أنّ سليمان بن داود كان نبيّاً، والله ما كان إلّا ساحراً. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾[2]، أي باتّباعهم السحر وعملهم

---

(١) البقرة ـ الآيات ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٢) البقرة ـ الآية ١٠٢.

بـه. ﴿وَمَـا أُنـزِلَ عَلَى ٱلمَلكَيْن بِبَـابِـل هَـارُوتَ وَمَـارُوت وَمَـا يُعَلِّمَـانِ مِنْ أحدٍ﴾[1].

قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني بعض من لا أتّهم عن عِكـرِمـة، عن ابن عباس، أنه كان يقول: الذي حرّم إسرائيل على نفسه زائدتـا الكبد والكليتـان والشحم، إلّا ما كان على الظهر، فإنّ ذلك كان يُقرّب للقربان، فتأكله النار.

كتـابه ﷺ الى يهـود خيبر: **قـال ابن إسحاق**: وكتب رسـول الله ـ ﷺ ـ الى يهود خيبر، فيمـا حدّثني مـوالي لآل زيد بن ثـابت، عن عكرمـة، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس:

«بسم الله الـرحمن الـرحيم: من محمـد رسـول الله ـ ﷺ ـ، صـاحب موسى وأخيه، والمصدّق لما جاء به موسى: ألا إنّ الله قد قـال لكم يا معشـر أهـل التوراة، وإنّكم لتجـدون ذلك في كتـابكم: ﴿مُحَمّدٌ رَسُـولُ آللهِ وَٱلَّذِين مَعَهُ أشدّاء عَلَى ٱلكُفَّار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْـوَاناً، سِيمَـاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِن أثـر ٱلسُّجود، ذَلِـكَ مَثَلُهُمْ في التَّـوراة وَمَثَلُهُم في الإنجيل كَزَرْعٍ أخْرَجَ شَطْأَهُ فَـآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فـاستَوَى عَلَى سُـوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ ٱلكفَّار، وَعد آلله ٱلَّذِين آمنُـوا وَعَمِلوا ٱلصَّالحـاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرةً وَأجْراً عَظيماً﴾[2].

وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بـالذي أطعم مَن كـان قبلكم من أسباطكم المنّ والسلوى، وأنشـدكم بـالـذي أيبس البحـر لآبائكم حتى أنجاهم من فـرعون وعمله، إلا أخبـرتموني: هـل تجدون فيمـا أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمـد؟ فإن كنتم لا تجـدون ذلك في كتـابكم فلا كُرْه عليكم. ﴿قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنْ ٱلغيِّ﴾[3] فأدعوكم إلى الله وإلى نبيّه».

---

(١) البقرة ـ الآية ٢٥٦.

(٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٩.

قال ابن هشام: شطوه: فراخه؛ وواحدته: شطأة. تقول العرب؛ قد أشطأ الزرع، إذا أخرج فراخه. وآزره: عاونه، فصار الذي قبله مثل الأمّهات. قال أمرؤ القيس بن حُجر الكِندي:

بمَحْنيةٍ قد آزر الضَّال نَبْتُها   مَجَرَّ جيوش غانمين وخُيَّب

وهذا البيت في قصيدة له. وقال حمد بن مالك الأرقط، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة:

زَرْعاً وقَضْباً مُؤزرَ النباتِ[1]

وهذا البيت في أرجوزة له، وسوقه: جمع ساق، لساق الشجرة.

ما نزل في أبي ياسر وأخيه: قال ابن إسحاق: وكان ممن نزل فيه القرآن، بخاصّة من الأحبار وكفّار يهود، الذي كانوا يسألونه ويتعنتونه ليُلْبسوا الحقَّ بالباطل ـ فيما ذُكر لي عن عبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله بن رئاب ـ أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسول الله ـ ﷺ ـ، وهو يتلو فاتحة البقرة: **﴿ألٓمٓ. ذَلكَ ٱلكِتابُ لا رَيْب فِيهِ﴾**، فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب في رجال من يهود، فقال: تعلّموا والله، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أُنزل عليه؛ **﴿ألٓمٓ ذَلكَ الكِتابُ﴾**: فقالوا: أنت سمعته؟ فقال: نعم؛ فمشى حُيَيًّ بن أخطب في أولئك النفر من يهود الى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقالوا له: يا محمد، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك: **﴿ألٓمٓ. ذَلكَ الكِتابُ﴾**؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: بلى؛ قالوا: أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال: نعم؛ قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بيّن لنبيّ منهم ما مدّة مُلكه، وما أكل[3] أمّته غيرك؛ فقال حُيَيّ بن أخطب، وأقبل على من معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة؛ أفتدخلون في دين إنّما

---

(١) المحنية والمحناة ما انعطف من الوادي والجمع محان، والضال: شجر تعمل منه القِسيّ.

(٢) القضبة: الشجرة التي امتدّت أغصانها.

(٣) الأكل: الرزق.

مدّة ملكه وأكل أمّته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم؛ قال: ماذا؟ قال: ﴿أَلْمِصٓ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومئة سنة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم ﴿أَلٓرٓ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مئتان، فهذه إحدى وثلاثون ومئتان، هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال: نعم ﴿أَلٓمٓرٓ﴾.. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مئتان، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة، ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد، حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم لعلّه قد جُمع هذا كلّه لمحمد، إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومئة، وإحدى وثلاثون ومئتان، وأحدى وسبعون ومئتان، فذلك سبع مئة وأربع وثلاثون سنة؛ فقالوا: لقد تشابه علينا أمره. فيزعمون أنّ هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلكِتَابِ، وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وقد سمعت من لا أتّهم من أهل العلم يذكر: أنّ هؤلاء الآيات إنّما أُنزلن في أهل نجران، حين قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمد بن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيف، أنه قد سمع: أن هؤلاء الآيات إنّما أُنزلن في نفر من يهود، ولم يفسّر ذلك لي. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

كفر اليهود بالاسلام وما نزل في ذلك: قال ابن إسحاق: وكان فيما

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٧.

(٢) نهاية الأرب ١٦/٣٧٤

بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ـ ﷺ ـ قبل مبعثه، فلما بعثه الله مع العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم مُعاذ بن جبل. وبشر بن البراء بن معرور، اخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلِموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شِرْك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته؛ فقال سلام بن مِشْكم، أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنّا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: **﴿وَلَمّا جاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُم وَكَانوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفتِحُون عَلى الَّذين كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِه، فَلَعْنَةُ آلله عَلَى الكَافِرينَ﴾**[1].

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن الصيف، حين بعث رسول الله ـ ﷺ ، ـ وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق، وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عُهد الينا في محمد عهد، وما أُخذ له علينا من ميثاق. فأنزل الله فيه: **﴿أوَ كُلَّما عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**[2].

وقال أبو صلوبا الفِطْيوني لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية فنتّبعك لها. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: **﴿وَلَقد أنْزَلْنَا إلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إلَّا آلْفَاسِقُونَ﴾**[3].

وقال رافع بن حُريملة، ووهْب بن زيد لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزّله من السماء نقرأه، وفجّرْ لنا أنهاراً نتّبعك ونصدّقك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: **﴿أَم تُريدُونَ أنْ تَسْأَلوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ آلكُفْرَ بِآلإيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ آلسَّبيلِ﴾**[4].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٨٩.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٠٠.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٩٩.
(٤) سورة البقرة ـ الآية ١٠٨.

قال ابن هشام: سواء: وسط السبيل. قال حسّان بن ثابت:

يـا ويـح أنصـار النبيّ ورهـطه   بعد المُغيب في سواء المُلحَد[1]

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: وكان حُيَيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب، من أشد يهود العرب حسداً، إذ خصّهم الله تعالى برسوله ﷺ، وكانا جاهدين في رد الناس بما استطاعا. فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ من أَهْلِ ٱلكِتَـابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمـانِكُم كُفَّاراً حَسَـداً مِنْ عند أَنْفُسِهِم مِنْ بَعْـد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلحَقّ، فَـاَعْفُـوا وَأَصْفَحُـوا حَتّى يَـأتِيَ ٱلله بِـأَمْـرِهِ، إنَّ ٱلله عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[2].

تنـازع اليهود والنصـارى عند الـرسول صلى الله عليـه وسلم: **قال ابن إسحـاق**: ولما قـدِم أهل نجـران من النصارى على رسـول الله ـ ﷺ ـ، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقـال رافع بن حُـرَيملة: ما أنتم على شيء، وكُفْـر بعيسى وبالإنجيـل؛ فقال رجـل من أهـل نجـران من النصـارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجُحْد نبوّة موسى وكُفْر بالتوراة فـأنزل الله تعـالى في ذلـك من قـولهم: **﴿وَقَـالَت ٱليَهُـودُ لَيْسَت ٱلنَّصَـارَىٰ عَلَى شَيْء، وَقَـالَت ٱلنَّصَارَىٰ لَيْستِ ٱليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلكِتَاب، كَذَلِكَ قَالَ ٱلـذِّينَ لا يَعْلَمُـونَ مِثْـلَ قَـوْلِهِمْ، فـالله يَحْكُمُ بَيْنَهُم يَـوْمَ ٱلقِيَـامَـةِ فِيمَـا كَـانُـوا فِيـهِ يَخْتَلِفُـونَ﴾**[3]، أي كل يتلو في كتـابه تصـديق ما كفـر بـه، أي يكفـر اليهـود بعيسى، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل ما جـاء به عيسى عليـه السلام، من تصـديق موسى عليـه السلام، ومـا جاء بـه من التوراة من عنـد الله، وكلٌّ يكفر بما في يد صاحبه.

---

(١) الملحَد القبر، اسم مفعول من ألحد.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٠٩.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ١١٣.

قال ابن إسحاق: وقال رافع بن حُرَيملة لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فلْيكلّمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله **﴿وَقَالَ ٱلَّذينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا ٱللهُ، أوْ تَأتِينا آيَةٌ كَذلِكَ قَالَ ٱلَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْل قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، قَدْ بَيَّنا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[1].

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفِطْيوني لرسول الله ـ ﷺ ـ: ما الهُدى الا ما نحن عليه، فاتّبعْنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبدالله بن صوريا وما قالت النصارى: **﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَو نَصَارَى تَهْتَدوُا، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلمُشْرِكِينَ﴾**[2]. ثم القصة الى قول الله تعالى: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَها مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ، ولا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[3].

ما قالته اليهود عند صرف القبلة الى الكعبة: قال ابن إسحاق: ولما صُرفت القِبلة عن الشام الى الكعبة، وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مَقْدَم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، أتى رسول الله ـ ﷺ ـ رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجّاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، فقالوا: يا محمد، ما ولّاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودينه؟ ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتّبعك ونصدّقك، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه. فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلتَّي كَانُوا عَلَيهَا، قُلْ لله ٱلمَشْرِقُ وٱلمَغْرِبُ، يَهْدي مَنْ يَشَاءُ إلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيم. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاس، وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ**

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١١٨.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٣٥.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٤١.

عَلَيْكُمْ شَهِيداً. وَمَا جَعَلْنـا ٱلقِبْلَةَ ٱلتي كُنْتَ عَلَيْها إلاَّ لنَعْلَم مَنْ يَتَّبـعُ ٱلرَّسُـولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْـهِ﴾، أي ابتـلاءً واختبـاراً ﴿وإنْ كَـانَتْ لَكَبيـرةً إلاَّ على ٱلَّـذينَ هَدَى ٱللهُ﴾، أي من الفتن: أي الـذين ثبّت الله ﴿وَمَا كَـانَ ٱللهُ لِيُضِيـعَ إيمَانَكُمْ﴾، أي إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيّكم، واتّبـاعكم إياه إلى القبلة الآخرة، وطاعتكم نبيّكم فيهـا: أي ليعطينّكم أجـرهما جميعـاً ﴿إنَّ ٱللهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

ثم قـال تعـالى: ﴿قَـدْ نَـرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِـكَ في ٱلسَّمـاءِ فَلَنُـوَلِّيَنَّـكَ قِبْلَةً تَرضاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2].

قال ابن هشام: شـطره: نحوه وقصـده. قال عمـرو بن أحمر البـاهلي - وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له:

تعـدو بنا شَـطر جمْـع وهي عـاقـدةٌ قد كاربَ العَقْدُ من إيفادها الحقبا[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال قيس بن خويلد الهذليّ يصف ناقته:

إن النَّعـوسَ[4] بها داءٌ مُخامِرهـا فشَـطْرهـا نَـظَرُ العَينين محسُـورُ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: والنَّعوس ناقته، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير، من قوله: وهو حسير.

﴿وَإنَّ ٱلَّـذِينَ أُوتُـوا ٱلكِتـابَ لَيَعْلَمُـونَ أَنَّــهُ ٱلحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَ مَـا ٱللهُ

---

(١) سورة البقرة - الآيتان ١٤٢ و١٤٣.

(٢) البقرة - الآية ١٤٤.

(٣) ناقة عاقدة: إذا جعلت ذَنَبها بين فخذيها في أول حملها، وإيفادها إشـرافها، والحقب حبـل يشدّ به الرحْل إلى بطن الناقة.

(٤) النَّعوس: الكثيرة النعاس.

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكتَابَ بِكُلِّ آيَة مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعضٍ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعد مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْم، إنَّكَ إذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمينَ﴾.

قال ابن إسحاق: الى قوله تعالى: **﴿ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلمُمْتَرِينَ﴾**[1].

كتمانهم ما في التوراة: وسأل مُعاذ بن جبل، أخو بني سلمة، وسعد بن مُعاذ، أخو بني عبد الأشهل، وخارجة بن زيد، أخو بلحارث بن الخزرج، نفراً من أحبار يهود عن بعض مافي التوراة، فكتموهم إيّاه، وأبوا أن يخبروهم عنه، فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿إنَّ ٱلَّذينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلنَا من ٱلبَيِّناتِ وٱلهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَاهُ لِلنَّاس في ٱلكِتَابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ ٱللاَّعِنُون﴾**[2].

جوابهم للنبي عليه السلام حين دعاهم الى الاسلام: قال: ودعا رسول الله - ﷺ - اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ورغّبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله ونقمته؛ فقال له رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتّبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا. فأنزل الله عز وجلّ في ذلك من قولهما: **﴿وَإذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعوا مَا أنْزَلَ ٱلله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آباءَنا، أَوَ لَوْ كَانَ آباؤهُمْ لا يَعقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾**[3].

جمعهم في سوق بني قَيْنُقاع: ولما أصاب الله عز وجلّ قريشاً يوم بدر جمع رسول الله - ﷺ - يهود في سوق بني قَيْنُقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً، فقالوا له: يا محمد، لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش، كانوا

---

(١) سورة البقرة - من الآية ١٤٤ حتى الآية ١٤٧.
(٢) سورة البقرة - الآية ١٥٩.
(٣) البقرة - الآية ١٧٠.

أغماراً[1] لا يعرفون القتال، إنّك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن النّاس، وأنك لم تلْق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿قُلْ للَّذين كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وبِئْسَ ٱلمِهَاد. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ في فِئَتَيْنِ ٱلتَقَتا، فئةٌ تُقَاتِلُ في سَبيلِ الله، وأُخرى كَافِرَةٌ، يَروْنَهُمْ مِثْلَيْهم رَأيَ ٱلعَيْنِ، وٱلله يُؤيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إنَّ في ذَلِكَ لَعِبرَةً لأولِي ٱلأبْصَارِ﴾[2].

دخوله ﷺ بيت المدراس: قال: ودخل رسول الله - ﷺ - بيت المدراس[3] على جماعة من يهود، فدعاهم الى الله؛ فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: على أيّ دين أنت يا محمد؟ قال: على ملّة إبراهيم ودينه؛ قالا؛ فإنّ إبراهيم كان يهودياً؛ فقال لهما رسول الله - ﷺ -: «فهلُمّ الى التوراة، فهي بيننا وبينكم»، فأبيا عليه: فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ألَم تَرَ إلَى ٱلَّذينَ أُوتُوا نَصيباً مِنَ الكِتَابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتَابِ ٱلله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَتوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. ذلِكَ بِأنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّار إلا أياماً مَعْدودَاتٍ، وَغَرَّهُمْ في دِينِهِمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ﴾[4].

تنازع اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام: وقال أحبار يهود ونصارى نجران، حين اجتمعوا عند رسول الله - ﷺ - فتنازعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿يا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ في إبْراهِيمَ وَمَا أُنْزِلَت ٱلتَّوراةُ وٱلإنجيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلونَ، هَا أَنْتُمْ هٰؤلاءِ حَاجَجْتُم فيما لَكُم به عِلْمٌ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فيما لَيْس لَكُمْ بِه عِلْمٌ، والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعلَمُون. مَا كَانَ إبْراهِيمُ يَهُودياً وَلا نَصْرانياً، وَلكِنْ كَانَ حَنيفاً مُسْلماً، وَمَا كَانَ مِنَ ٱلمُشْرِكينَ؛ إنَّ أوْلى ٱلنَّاس بِإبْرَاهِيمَ للَّذِينَ ٱتَّبَعُوه، وَهذا

---

(١) الأغمار: السُّذَّج الذين لم يجرّبوا الأمور.
(٢) سورة آل عمران - الآيتان ١٢ و١٣.
(٣) المدراس: البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم والمدراس أيضاً من يدرّس لهم.
(٤) سورة آل عمران - الآيتان ٢٣ و٢٤.

ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلله وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ما نزل في إيمانهم غدوة وكفرهم عشيّا: وقال عبدالله بن صيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشيّة، حتى نُلبِس عليهم دينهم لعلّهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه. فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿يا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تُلْبِسُونَ ٱلحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ، وَتَكْتُمُونَ ٱلحَقَّ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ. وقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذين آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون. وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دينَكُمْ، قُلْ إِنَّ ٱلهُدى هُدَى ٱلله أَنْ يُؤتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُم، قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ ٱللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَٱللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[2].

ما نزل في قول أبي رافع أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى: وقال ابو رافع القُرظي، حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ـ ﷺ ـ، ودعاهم الى الإسلام: أتريد منّا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانيّ، يقال له: الريس، ويروى: الريس، والرئيس: أو ذاك تريد منّا يا محمد واليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله، ولا أمرني»؛ أو كما قال. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: **﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهُ ٱللهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ، ثُمَّ يَقُول للنّاس كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ ٱللهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبانِيِّين بِمَا كُنْتُمْ تُعلِّمُونَ ٱلْكِتَابَ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾**... إلى قوله تعالى: **﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾**[3].

قال ابن هشام: الرّبانيّون: العلماء الفقهاء السادة؛ واحدهم: ربّاني.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ٦٥ ـ ٦٨.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٧١ ـ ٧٣.

(٣) سورة آل عمران ـ الآيتان ٧٩ و٨٠.

قال الشاعر:

لو كنت مُرتهناً في القوس أفْتَنَني   منهـا الكـلامُ ورَبّـانيَّ أحبـارِ

قال ابن هشام: القوس: صومعة الراهب. وأفْتَنني، لغة تميم، وفتنني، لغة قيس.

قال جرير:

لا وَصْل إذ صَرمتْ هندُ ولو وقفت   لاستنزلتني وذا المِسْحَين في القَوس

اي صومعة الراهب. والربّاني: مُشتقّ من الربّ، وهو السيّد. وفي كتاب الله: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾[1]، أي سيّده.

قال ابن إسحاق: ﴿ولا يأمُرُكم أن تتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أرباباً أيَأمُرُكم بالكُفرِ بَعْدَ إذْ أنْتُمْ مُسْلِمُون﴾[2].

ما نزل في أخْذ الميثاق عليهم: قال ابن إسحاق: ثم ذكر ما أخذ الله عليهم، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم، وإقرارهم، فقال: **﴿وَإذْ أَخَذَ آللهُ مِيثَاقَ آلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ آلشَّاهِدِينَ﴾**[3] إلى آخر القصة.

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار: قال ابن إسحاق: ومرّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا[4]، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من الأوس والخزرج. في مجلسٍ قد جمعهم، يتحدّثون فيه، فغاظه ما رأى من ألْفتهم وجماعتهم،

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٤١.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ٨٠.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ٨١.

(٤) عسا الشيخ: كبر.

وصلاح ذات بينِهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلَة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار. فأمر فتًى شاباً من يهود كان معهم، فقال: اعمدْ إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعاث وما كان قبله وأنشِدْهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار.

يوم بُعاث: وكان يوم بُعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذٍ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُضَير بن سماك الأشهلي، أبو أُسَيْد بن حُضَير؛ وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقُتلا جميعاً[1].

قال ابن هشام: قال أبو قيس بن الأسلت:

على أن قد فُجِعتُ بذي حِفاظٍ فعاودَني له حُزْنٌ رَصِينُ[2]
فإمّا تقتلوه فإنّ عَمْراً أعضّ برأسه عَضْبٌ[3] سَنِين

وهذان البيتان في قصيدة له. وحديث يوم بُعاث أطول مما ذكرت، وإنّما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطْع[4].

قال ابن هشام: سنين: مسنون، من سنّه، إذا شحذه.

قال ابن إسحاق: ففعل. فتكلّم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيَّيْن على الركْبِ، أوس بن قَيْظي، أحد بني حارثة بن الحارث، من الأوس، وجبّار بن صخر، أحد بني سَلِمة من الخزرج، فتقاولا

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٧٨، ٣٧٩.
(٢) الحفاظ: شدّة الغضب. والرصين: الثابت.
(٣) العضب: السيف القاطع.
(٤) يقصد القطع لسيرة رسول الله ﷺ. وانظر عن يوم بُعاث في: تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، ٣٥٣، نهاية الأرب ١٦/٣٠٥، تاريخ الإسلام ٢٨٨، عيون الأثر ١/١٥٥، سيرة ابن كثير ٢/١٧٤، ١٧٥.

ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحرّة ـ السلاح السلاح. فخرجوا إليها. فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظهُركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذ به من الكفر، وألّف به بين قلوبكم؟! فعرف القوم أنها نزعة[1] من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شأس بن قيس. فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس وما صنع: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُون بِآيَاتِ ٱللهِ، وَٱللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ، وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[2].

وأنزل الله في أوس بن قَيْظي وجبّار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية: **﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ. وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ ٱللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**. . . إلى قوله تعالى: **﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[3].

ما نزل في قولهم: ما اتّبع محمداً إلاّ شِرارنا: قال ابن إسحاق: ولما أسلم عبدالله بن سلاّم، وثعلبة بن سَعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عُبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه،

(١) نزغ الشيطان بينهم: أفسد وأغرى.
(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ٩٨ و٩٩.
(٣) سورة آل عمران ـ من الآية ١٠٠ ـ ١٠٥.

قالت أحبار يهود، أهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا اتّبعه إلا شِرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دِين آبائهم وذهبوا إلى غيره. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ ٱلكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللهِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾(١).

قال ابن هشام: آناء الليل: ساعات الليل: وواحدها: إني. قال المتنخل الهُذليّ، واسمه مالك بن عُويمر؛ يرثي أُثيلة ابنه:

حُلْو ومُرّ كعَطْف القِدْح شيمتهُ　　في كلّ إنْي قضاه الليلُ ينتعلُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال لَبيد بن ربيعة، يصف حمار وحش:

يُطَرِّبُ آناءَ النّهار كأنّه　　غَوِيّ سَقاه في التِّجار نَدِيمُ (٢)

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنى مقصور، فيما أخبرني يونس.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاخِرِ، وَيَأْمُرُونَ بِٱلمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلمُنْكَرِ، وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلخَيْرَاتِ، وَأُولٰئِكَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾(٣).

ما نزل في نهْي المسلمين عن مباطنة اليهود: قال ابن إسحاق: وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لِما كان بينهم من الجوار والحلْف، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ، لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ، قَدْ بَدَتِ ٱلبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَاأَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ، وَتُؤْمِنُونَ بِٱلكِتَابِ كُلِّهِ﴾، أي تؤمنون بكتابكم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم كنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١١٣.

(٢) الغويّ: المفسِد. والتّجار: بائعو الخمر. والمفرد تاجر.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١١٤.

عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ ٱلغَيْظِ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[1] إلى آخر القصة.

دخول أبي بكر بيت المدراس: ودخل أبو بكر الصِّدِّيق بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فِنْحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْر من أحبارهم، يقال له: أشيع؛ فقال أبو بكر لِفنْحاص: ويحك يا فِنْحاص! اتّق الله وأَسْلِم، فوالله إنّك لَتَعلم أنّ محمداً لرسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فِنْحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا، وإنّا عنه لأغنياء، وما هو عنّا بغنيّ، ولو كان عنّا غنيّاً ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنّا غنيًّا ما أعطانا الرِّبا. قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجه فِنْحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك، أي عدوّ الله. قال: فذهب فِنْحاص إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا محمد، أنظر ما صنع بي صاحبك؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنّ عدوّ الله قال قولاً عظيماً: إنه زعم أنّ الله فقير وأنّهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال، وضربت وجهه. فجحد ذلك فِنْحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحاص ردّاً عليه وتصديقاً لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ آللهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ آللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلحَرِيقِ﴾[2].

ونزل في أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١١٨ ـ ١٢٠.
(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٨١.

أذًى كَثِيراً. وَإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

ثم قال فيما قال فِنْحاص والأحبار معه من يهود ﴿وَإذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا به ثَمَناً قَلِيلاً، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ. لاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ ٱلعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] يعني فِنْحاص، وأشيعَ وأشباههما من الأحبار، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا للناس من الضلالة، ويحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا؛ أن يقول الناس: علماء، وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدًى ولا حقّ، ويحبّون أن يقول الناس: قد فعلوا.

أمر اليهود المؤمنين بالبخل: قال ابن إسحاق: وكان كَرْدَم بن قيس، حليفُ كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبَحْريّ بن عمرو، وحُيَيّ بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يخالطونهم، ينتصحون لهم، من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنّا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنّكم لا تدرون علام يكون. فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي من التوراة، التي فيها تصديق ما جاء به محمد ﷺ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً. وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ ٱلنَّاسِ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾... إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾[3].

اليهود ـ لعنهم الله ـ يجحدون الحقّ: قال ابن إسحاق: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا كلّم رسول الله ـ ﷺ ـ لوى لسانه،

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٨٦.
(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٨٧ و١٨٨.
(٣) سورة النساء ـ الآيات ٣٧ ـ ٣٩.

وقال: أرعنا سمْعَك يا محمد، حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام وعابه. فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا ٱلسَّبِيلَ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللهِ وَلِيًّا، وَكَفَىٰ بِٱللهِ نَصِيراً. مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ، وَرَاعِنَا﴾، (أي راعنا سمْعَك) ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَطَعْناً فِي الدِّين، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا، لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ، وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ ٱللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[1].

وكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ رؤساء من أحبار يهود، منهم: عبدالله بن صُوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال لهم: «يا معشر يهود، اتّقوا الله وأسْلِموا، فوالله إنّكم لتعلمون أَنّ الذي جئتكم به لَحقّ»؛ قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد: فجحدوا ما عرفوا، وأصرُّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ، وَكَانَ أَمْرُ ٱللهِ مَفْعُولاً﴾[2].

قال ابن هشام: نطمس: نمسحها فنسوّيها، فلا يُرى فيها عين ولا أنف ولا فم، ولا شيء مما يُرى في الوجه؛ وكذلك ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾. المطموس العين: الذي ليس بين جفنيه شق. ويقال: طمست الكتاب والأثر، فلا يُرى منه شيء. قال الأخطل، واسمه الغوث[3] بن هُبيرة بن الصّلب التغلبيّ، يصف إبلاً كلّفها ما ذكر:

وتَكليفُنَاها كلَّ طامِسة الصُّوى ... شَطونٍ تَرَى حِرباءَها يتململُ[4]

---

(١) سورة النساء ـ من الآية ٤٤ ـ ٤٦.
(٢) سورة النساء ـ الآية ٤٧.
(٣) المشهور أن اسمه غياث بن غوث بن الصلت ويُكَنَّى أبا مالك.
(٤) الشطون: البعيد، والحرباء: دُوَيبة صغيرة تتلوّن في الشمس ألواناً لها أربع قوائم، جمعها حرابيّ.

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوَى: صُوّة. والصُّوَى: الأعلام التي يُستَدَلُّ بها على الطرق والمياه.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحت فاستوت بالأرض، فليس فيها شيء ناتيء.

من حزَّبوا الأحزاب: قال ابن إسحاق: وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قُرَيظة: حُيَيّ بن أخطب، وسلام بن أبي الحُقَيق، أبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وأبو عمّار، ووحْوَح بن عامر، وهَوْذة بن قيس. فأما وَحْوَح، وأبو عمار، وهوذة فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير. فلما قدِموا على قريش قالوا. هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فسلوهم، دِينكم خيراً أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دِينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممّن اتّبعه. فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلجِبْتِ وٱلطَّاغُوتِ﴾**[1].

قال ابن هشام: الجِبت عند العرب: ما عبد من دون الله تبارك وتعالى: والطاغوت: كل ما أضلّ عن الحقّ. وجمع الجِبْت: جُبوت؛ وجمع الطاغوت: طواغيت.

قال ابن هشام: وبَلَغَنا عن ابن أبي نَجِيح أنه قال: الجبت: السحْر؛ والطاغوت: الشيطان.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلاٰءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾[1].

قال ابن إسحاق: إلى قوله تعالى: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾**[2].

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٥١.

(٢) سورة النساء ـ الآية ٥٤.

إنكار اليهود التنزيل: قال ابن إسحاق: وقال سُكَيْن وعَدِيّ بن زيد: يا محمد، ما نعلم أنّ الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً. وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ ٱللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً. رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ٱللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ، وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**[1].

ودخلت على رسول الله - ﷺ - جماعة منهم، فقال لهم: أما والله إنكم لتعلمون أنّي رسول من الله إليكم؛ قالوا: ما نعلمه، وما نشهد عليه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: **﴿لكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ، وَكَفَىٰ بِٱللهِ شَهِيداً﴾**[2].

اتفاقهم على طرح الصخرة على رسول الله - ﷺ -: وخرج رسول الله - ﷺ - إلى بني النضير يستعينهم في دِية العامريّين اللذين قتلهما عمرو بن أميّة الضمري. فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا؛ فأتى رسول الله - ﷺ - الخبرُ، فانصرف عنهم. فانزل الله تعالى فيه، وفيما أراد هو وقومه: **﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا ٱللهَ وَعَلَىٰ ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾**[3].

ادّعاؤهم أنهم أحبّاء الله: وأتى رسول الله - ﷺ - نعمانُ بنُ أضاء، وبحريّ بن عمر، وشأس بن عدِيّ، فكلّموه وكلّمهم رسول الله - ﷺ -،

---

(١) سورة النساء - الآيات ١٦٣ - ١٦٥.

(٢) سورة النساء - الآية ١٦٦.

(٣) سورة المائدة - الآية ١١.

ودعاهم إلى الله، وحذّرهم نقمته؛ فقالوا، ما تخوّفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه، كقول النصارى. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَلِلهِ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى: قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله - ﷺ - يهود إلى الإسلام ورغّبهم فيه، وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبته، فأبوا عليه، وكفروا بما جاءهم به، فقال لهم مُعاذ بن جبل، وسعد بن عُبادة وعُقبة بن وهْب: يا معشر يهود، اتّقوا الله، فوالله إنّكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته؛ فقال رافع بن حُرَيْمَلَة، ووهْب بن يَهُوذا: ما قلنا لكم هذا قطّ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿يَاأَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

ثم قصّ عليهم خبر موسى وما لقي منهم، وانتقاضهم عليه، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى قاموا في الأرض أربعين سنة عقوبة.

رجوعهم الى النبيّ ﷺ في حكم الرجْم؟ قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شهاب الزُهْريّ أنه سمع رجلاً من مُزَينة، من أهل العلم، يحدّث سعيد بن المسيّب، أنّ أبا هريرة حدّثهم: أنّ أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس، حين قدِم رسول الله - ﷺ - المدينة، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذا المرأة

---

(١) سورة المائدة - الآية ١٨.

(٢) سورة المائدة - الآية ١٩.

إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهـا بعملكم من التجبيـة ـ والتجبية: الجلد بحبـل من ليف مَطليّ بقـار، ثم تسودُّ وجـوههمـا، ثم يُحمـلان على حمـارين وتُجعـل وجـوههمـا من قِبَـل أدبـار الحمارين ـ فاتّبعوه، فإنّمـا هو مَلك، وصـدّقوه؛ وإن هـو حكم فيهما بـالرجم فـإنه نبيّ، فـاحذروه على مـا في أيديكم أن يسلبكمـوه. فأتـوه، فقـالـوا: يـا محمد، هذا رجل قد زنى بعـد إحصانـه بامـرأة قد أحصنت، فـاحكم فيهما، فقـد ولّينـاك الحكم فيهمـا. فمشى رسـول الله ـ ﷺ ـ حتى أتى أحبـارَهم في بيت المـدراس فقال: «يـا معشر يهـود أخرِجـوا إليّ علمـاءكم»، فـأُخـرج لـه عبدالله بن صُورِيا.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض بني قُرَيظة: أنهم قـد أخرجـوا إليه يومئذ، مع ابن صُورِيا، أبا ياسر بن أخطب، ووهْب بن يهوذا؛ فقـالوا: هؤلاء علمـاؤنـا. فســألهم رسـول الله ـ ﷺ ـ، ثم حصّــل أمـرهم، إلى أن قــالـوا لعبدالله بن صُورِيا: هذا أعلم من بقي بالتوراة.

قال ابن هشام: من قوله: «وحدّثني بعض بني قُرَيـظة» ـ إلى «أعلم من بقي بالتوارة» من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الذي قبله.

فخلا به رسول الله ـ ﷺ ـ، وكان غـلاماً شـابًّا من أحـدثهم سنًّا، فـألظ به[1] رسول الله ـ ﷺ ـ المسألة، يقول له: يـا بن صُورِيـا، أنشدك الله وأذكـرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أنّ الله حكم فيمن زنى بعد إحصَانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبـا القاسم إنّهم ليعـرفون أنـك لنبيٌّ مُـرسَل، ولكنهم يحسـدونك[2]. قـال: فخرج رسـول الله ـ ﷺ ـ، فأمـر بهمـا فرُجما عند باب مسجده في بني غَنْم بن مالـك بن النجّار، ثم كفـر بعد ذلـك ابن صُورِيا، وجحد نُبوَّة رسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) ألظّ به: ألح عليه.

(٢) سبل الهدى ٥٩٣/٣

قال ابن إسحاق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾، أي الذين بعثوا منهم مَن بعثوا وتخلّفوا، وأمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه. ثم قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾، أي الرجم ﴿فَاحْذَرُوا﴾[1] إلى آخر القصة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ـ ﷺ ـ برجْمهما، فرُجما بباب مسجده، فلما وجد اليهودي مسّ الحجارة قام إلى صاحبته فجنأ عليها[2]، يقيها مسّ الحجارة، حتى قُتلا جميعاً[3]، قال: وكان ذلك مما صنع الله لرسول الله ـ ﷺ ـ في تحقيق الزّنا منهما.

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، قال: لما حكّموا رسول الله ـ ﷺ ـ فيهما، دعاهم بالتوراة، وجلس حَبرٌ منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجْم، قال: فضرب عبدالله بن سلاّم يد الحَبْر ثم قال: هذه يا نبيّ الله آية الرجْم، يأبى أن يتلوها عليك؛ فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «ويْحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم»؟ قال: فقالوا: أما والله إنه قد كان فينا يُعمل به، حتى زنا رجل منّا بعد إحصانه، من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمنعه الملك من الرجْم، ثم زنا رجل بعده، فأراد أن يرجمه، فقالوا: لا والله، حتى ترجم فلاناً، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجْبية، وأماتوا ذِكْر الرجْم والعملَ به. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فأنا أول من أحيا أمرَ الله وكتابه وعمل به»، ثم أمر بهما فرُجما عند باب مسجده. وقال

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٤١.

(٢) نهاية الأرب ١٦/٣٨٦

عبدالله بن عمر فكنت فيمن رجمهما[1].

ظلمهم في الدية: قال ابن إسحاق: وحدّثني داود بن الحُصين، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أنّ الآيات من المائدة التي قال الله فيها: ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً. وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**﴾[2] إنما أُنزلت في الدِية بين بني النضير وبين بني قُرَيظة، وذلك أنّ قتلى بني النضير، وكان لهم شرف، يؤدّون الدِية كاملة، وأنّ بني قُريظة كانوا يؤدّون نصف الدِية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ـ ﷺ ـ على الحقّ في ذلك، فجعل الدِية سواء.

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أيّ ذلك كان.

رغبتهم في فتنة الرسول الله ـ ﷺ ـ: قال ابن إسحاق: وقال كعب بن أسد، وابن صُوريا، وعبدالله بن صُوريا، وشأس بن قيس، بعضهم لبعض: أذهبوا بنا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دِينه، فإنّما هو بشر، فأتوه، فقالوا له: يا محمد، إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وأنّا إن اتّبعناك اتّبعتك يهود، ولم يخالفونا، وأنّ بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنُحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدّقك، فأبى ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ. فأنزل الله فيهم: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[3]؟

إنكارهم نُبوّة عيسى عليه السلام: قال ابن إسحاق: وأتى رسول

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٣٨٦، عيون الأثر ١/٢١٧

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٤٢.

(٣) سورة المائدة ـ الآيتان ٤٩ و٥٠.

الله - ﷺ - نفرٌ منهم: أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازَر بن أبي عازر، وخالد، وزيد، وإزار بن أبي إزار، وأشْيَع. فسألوه عمّن يؤمن به من الرُسل؛ فقال رسول الله - ﷺ -: ﴿نُؤْمِنُ بالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]. فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نُبوَّته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

ادّعاؤهم أنهم على الحق: وأتى رسول الله - ﷺ - رافعُ بن حارثة، وسلاّم بن مِشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حُريملة، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أنك على ملّة إبراهيم ودِينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة: وتشهد أنها من الله حقّ؟ قال: «بلى، ولكنّكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبّينوه للناس، فبرئت من إحداثكم»؛ قالوا: فإنّا نأخذ بما في أيدينا، فإنّا على الهدى والحقّ، ولا نؤمن بك، ولا نتّبعك. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً، فَلا تَأْسَ عَلَىٰ ٱلقَوْمِ ٱلكَافِرِينَ﴾[3].

إشراكهم بالله: قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله - ﷺ - النّحّام بن زيد، وقَرْدَم بن كعب، وبَحْريّ بن عمرو، فقالوا له: يا محمد، أما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «الله لا إله إلا هو، بذلك بُعثت، وإلى ذلك أدعو. فأنزل الله فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، قُل

(١) سورة البقرة - الآية ١٣٦.
(٢) سورة المائدة - الآية ٥٩.
(٣) سورة المائدة - الآية ٦٨.

ٱللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُم، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ، أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ، قُلْ لَا أَشْهَدُ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ، ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

نهي الله المؤمنين عن موادّتهم: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسُويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، فكان رجال من المسلمين يوادّونهما. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾[2].

سؤالهم عن قيام الساعة: وقال جبل بن أبي قُشير، وشمويل بن زيد، لرسول الله ـ ﷺ ـ: يا محمد، أخبرنا، متى تقوم الساعة إن كنت نبيّاً كما تقول؟ فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ ٱللهِ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

قال ابن هشام: أيّان مُرْساها؛ متى مرساها قال، قيس بن الحُدَاديّة الخُزاعيّ:

فجئتُ ومُخْفَى السرّ بيني وبينها   لأسألها أيّان مَن سار راجعُ؟

وهذا البيت في قصيدة له. ومرساها: منهاها، وجمعه: مَراسٍ. وقال الكُمَيت بن زيد الأسديّ:

(١) سورة الأنعام ـ الآيتان ١٩ و٢٠.
(٢) سورة المائدة ـ الآيات ٥٧ ـ ٦١.
(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٨٧.

والمُصيبين بـابَ مـا أخـطأ الـنّـا سُ ومُـرسَـى قـواعـد الإسـلامِ

وهذا البيت في قصيدة له. ومُرْسى السفينة؛ حيث تنتهي. وحَفِيّ عنها - على التقديم والتأخير - يقول: يسألونك عنها كأنك حَفِيٌّ بهم تخبرهم بما لا تخبر به غيرهم. والحَفِيّ: البرّ المتعهّد، وفي كتاب الله: ﴿إنّه كانَ بِي حَفِيّاً﴾[1]. وجمعه: أحفياء. وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فإن تسألي عنّي فيارُبّ سائلٍ حَفِيّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا[2]

وهذا البيت في قصيدة له. والحَفِيّ أيضاً: المستحفي عن علم الشيء، المبالغ في طلبه.

ادّعاؤهم أنّ عُزَيراً ابن الله: قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله - ﷺ - سلام بن مِشْكم، ونعمان بن أوفى أبو أنس، ومحمود بن دِحية، وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا له: كيف نتّبعك وقد تركت قِبلتنا، وأنت لا تزعم أنّ عُزيراً ابن الله؟ فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللهِ، وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ ٱللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾[3] إلى آخر القصة.

قال ابن هشام: يضاهون: أي يشاكل قولهم قول الذين كفروا، نحو أن تحدّث بحديث، فيحدّث آخر بمثله، فهو يضاهيك.

طلبهم كتاباً من السماء: قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله - ﷺ - محمود بن سيحان، ونعمان بن أضاء، وبَحريّ بن عمرو، وعُزير بن أبي عُزير، وسلّام بن مِشْكم، فقالوا: أَحَقّ يا محمد أنّ هذا الذي جئت به لَحَقّ من عند الله، فإنّا لا نراه متّسقاً كما تتّسق التوراة؟ فقال لهم رسول

---

(١) سورة مريم - الآية ٤٧.

(٢) أصعد: سار في البلاد.

(٣) سورة التوبة - الآية ٣٠.

الله ـ ﷺ ـ: «أما والله إنّكم لتعرفون أنه من عند الله. تجدونـه مكتوبـاً عندكم في التـوراة، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يـأتوا بمثله مـا جـاءوا بـه»؛ فقالوا عند ذلك، وهم جميـع: فِنْحاص، وعبـدالله بن صُورِيا، وابن صَلُوبا، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وأشْيَع، وكعب بن أسد، وشَمْويل بن زيـد، وجبل بن سُكينة: يا محمد، أمـا يعلّمك هـذا إنس ولا جنّ؟ قال: فقـال لهم رسـول الله ـ ﷺ ـ: «أما والله إنكم لَتعلمـون أنه من عنـد الله: تجـدون ذلـك مكتوباً عندكم في التوراة»؛ فقالوا: يا محمد، فإنّ الله يصنع لـرسولـه إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً من السمـاء نقرؤه ونعـرفه، وإلّا جئنـاك بمثل مـا تأتي بـه. فأنـزل الله تعالى فيهم وفيمـا قالـوا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَت ٱلإنْسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَـأْتُوا بِمِثْـلِ هٰذَا ٱلقُـرآنِ لا يَأْتُـونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1].

قال ابن هشام: الظهير: العَون. ومنه قول العرب: تـظاهروا عليـه، أي تعاونوا عليه. قال الشاعر:

يـا سَـميّ الـنّبـيّ أصبـحتَ لـلدّين ... قـوامـاً ولـلإمـام ظـهـيـرا

أي عونا؛ وجمعه: ظُهَراء.

سؤآلهم لـه ﷺ عن ذي القـرنين: **قـال ابن إسحـاق**: وقـال حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد، وأبو رافع، وأشيـع، وشمويـل بن زيد، لعبـدالله بن سلام حين أسلم: ما تكون النّبوَّة في العـرب ولكنّ صاحبـك مَلك. ثم جاءوا رسول الله ـ ﷺ ـ فسألوه عن ذي القرنين، فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه، مما كان قصّ على قريش، وهم كانوا ممّن أمـر قريشـاً أن يسألـوا رسول الله ـ ﷺ ـ عنه، حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيط.

تهجّمهم على ذات الله: **قال ابن إسحاق**: وحُـدّثت عن سعيد بن جُبيـر أنه قال: أتى رهْط من يهـود إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقـالوا: يـا محمد، هـذا

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية ٨٨.

الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ قال: فغضب رسول الله ـ ﷺ ـ حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضباً لربّه. قال: فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه، فقال: خفِّضْ عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: **﴿قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ. ٱللهُ ٱلصَّمَدْ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**[1].

قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فصِف لنا يا محمد كيفَ خَلْقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضُده. فغضب رسول الله ـ ﷺ ـ أشدّ من غضبه الأول، وساورهم. فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ما قال له أول مرّة، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه. يقول الله تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ، وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عُتبة بن مسلم، مولى بني تَيْم، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هُريرة، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول «يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خَلَقَ الخَلْق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: **﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد﴾** ثم ليتْفِل الرجل عن يساره ثلاثاً، ولْيستعذ بالله من الشيطان الرجيم».

قال ابن هشام: الصمد: الذي يُصمَد إليه، ويُفزع إليه. قالت هند بنت مَعبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود، وخالد بن نضلة، عمّيها الأسديّين، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخميّ، وبني الغَريَّيْن[3] اللذين بالكوفة عليهما:

ألا بَكَرَ النّاعي بخَيرَيْ بني أسدْ بعمرو بن مَسعود وبالسيّد الصَّمَد

---

(١) سورة الإخلاص بكاملها. (٢) سورة الزمر ـ الآية ٦٧.

(٢) الغريّان المشهوران بالكوفة وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جَذِيمة الأبرش وسُمّيا الغَرِيَّيْن لأنّ النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من بقتله يوم بؤسه. (لسان العرب ١٩/٣٥٨)



ذِكْر نصارى نجران وما نزَّل الله فيهم

معنى العاقب والسيّد والأسقُفّ: قال ابن إسحاق: وقدِم على رسول الله - ﷺ - وفد نصارى نجران، ستّون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يتولّى أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، واسمه عبد المسيح؛ والسيد، لهم ثمالهم[1] وصاحب رَحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيْهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقُفُّهم وحَبرهم وإمامهم، وصاحب مِدْراسهم.

وكان أبو حارثة قد شرُف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حسُن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

إسلام كوز بن علقمة: فلما رجعوا إلى رسول الله - ﷺ - من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجّهاً إلى رسول الله - ﷺ -، وإلى جنبه أخ له، يقال له: كوز بن علقمة - قال ابن هشام: ويقال كُرْز - فعثرت بغلة أبي

(١) ثمال القوم: من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم.

حارثة، فقال كوز: تعِس الأبعد: يريد رسول الله ـ ﷺ ـ: فقال له أبو حارثة: بل وأنت تعست! فقال: ولِمَ يا أخي؟ قال؛ والله إنه للنبيّ الذي كنّا ننتظر، فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرّفونا وموّلونا وأكرمونا، وقد أبوا إلّا خلافه، فلو فعلت نزعوا منّا كل ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة، حتى أسلم بعد ذلك. فهو كان يحدّث عنه الحديث فيما بلغني[1].

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس: **قال ابن هشام:** وبلغني أنّ رؤساء نجران كانوا يتوارثون كُتباً عندهم. فكّلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبيّ ﷺ يمشي فعثر، فقال له ابنه: تعِس الأبعد يريد النبيَّ ﷺ؛ فقال له أبوه: لا تفعل، فإنه نبيّ واسمه في الوضائع، يعني الكتب. فلما مات لم تكن لابنه همّة إلّا أن شدّ فكسر الخواتم، فوجد فيها ذِكر النبيّ ﷺ، فأسلم فحسُن إسلامه وحجّ، وهو الذي يقول:

إليك تعدو قلِقا وضِينُها   مُعتَرِضاً في بَطْنها جَنينُها
مُخالفاً دِين النصارى دينُها

قال ابن هشام: الوضين: الحزام، حزأم الناقة. **وقال** هشام بن عُروة: وزاد فيه أهل العراق:

مُعترضاً في بطنها جنينُها

فأمّا أبو عُبيدة فأنشدناه فيه.

صلاتهم إلى جهة المشرق: **قال ابن إسحاق:** وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدِموا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فدخلوا عليه

---

(١) عيون الأثر ١/٢١٩، ٢٢٠

مسجده حين صلّى العصر، عليهم ثياب الحِبَرَات[1]، جُبَب وأرْدِية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبيّ ﷺ يومئذ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ يصلّون: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ؛ دعوهم؛ فصلّوا إلى المشرق.

أسماؤهم ومعتقداتهم: **قال ابن إسحاق**: فكانت تسمية الأربعة عشر، الذين يئول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبدالمسيح؛ والسيد هو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل، وأوس؛ والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونُبيه، وخُويلد، وعمرو، وخالد، وعبدالله، ويُحنَّس، في ستين راكباً. فكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبدالمسيح، والأيْهم السيّد ـ وهم من النصرانية على دِين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله. ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قول النصرانية[2].

فهم يحتجّون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى، ويبرىء الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطّين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً، وذلك كلّه بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾[3].

ويحتجّون في قولهم: إنه ولد الله بأنهم يقولون: لم يكن له أب يُعلم، وقد تكلّم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجّون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلّا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت؛ ولكنه هو وعيسى ومريم. ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلما كلّمه الحَبران، قال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ: أسلِما؛ قالا: قد

---

(١) برود من اليمن.
(٢) عيون الأثر ١/٢٢٠
(٣) سورة مريم ـ الآية ٢١.

أسلمنا؛ قال: إنّكما لم تُسلما فأسلما، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك: قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير؛ قالا. فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله - ﷺ - فلم يُجبهما[1].

ما نزل فيهم من القرآن: فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كلّه، صدْر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آيةً منها، فقال جلّ وعزّ: ﴿**أَلَمٓ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ٱلحَيُّ ٱلْقَيُّومُ**﴾[2]. فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إيّاها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، ردّاً عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صاحبهم، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم: فقال: ﴿**أَلَمٓ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿**ٱلحَيّ ٱلْقَيُّومُ**﴾ الحيّ الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصُلب في قولهم. والقيّوم القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به، وذهب عنه إلى غيره. ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلكِتَابَ بِٱلحَقِّ**﴾، أي بالصدق فيما اختلفوا فيه ﴿**وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ**﴾: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله ﴿**وَأَنْزَلَ ٱلفُرْقَانَ**﴾، أي الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره. ﴿**إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَٱللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾، أي أنّ الله منتقم ممن كفر بآياته، بعد علمه بها، ومعرفته بما جاء منه فيها. ﴿**إِنَّ ٱللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَاءِ**﴾، أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه إلهاً وربّاً، وعندهم من علمه غير ذلك، غِرة بالله، وكفراً به. ﴿**هُوَ ٱلذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾، أي قد كان عيسى ممّن صُوّر في الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صُوِّر غيره من

---

(١) عيون الأثر ١/٢٢٠.

(٢) أول سورة آل عمران.

ولد آدم، فكيف يكون إلٰهاً وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه، وتوحيداً لها مما جعلوا معه: ﴿لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ﴾، العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم في حجّته وعذره إلى عباده. ﴿هُوَ ٱلذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلكِتَابِ﴾ فيهنّ حجّة الربّ، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لهنّ تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحقّ. يقول عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي مَيل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، أي ما تصرّف منه، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا، لتكون لهم حجّةَ، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ابْتِغَاءَ ٱلفِتْنَةِ﴾، أي اللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه﴾. ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم: خلقنا وقضينا. يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾، أي الذي به أرادوا، ما أرادوا ﴿إِلاَّ ٱللهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد، من ربّ واحد. ثم ردّوا تأويل المتشَابَه على ما عرفوا من تأويل المُحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلّا تأويل واحد، واتّسق بقولهم الكتاب، وصدّق بعضه بعضاً، فنفذت به الحجّة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودُمغ به الكفر. يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مثل هذا ﴿إِلاَّ أُولُوا ٱلأَلْبَابِ. رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أي لا تُمِل قلوبنا، وإنْ ملنا بأحداثنا. ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ ٱلوَهَّابُ﴾[1]. ثم قال: ﴿شَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَٱلمَلاٰئِكَةُ وَأُولُوا ٱلعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا ﴿قَائِماً بِٱلقِسْطِ﴾، أي بالعدل فيما يريد ﴿لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ. إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلإِسْلاَمُ﴾، أي ما أنت عليه يا محمد: التوحيد للرَبّ، والتصديق للرسل. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلعِلْمُ﴾، أي الذي جاءك، أي أنّ الله الواحد الذي

(١) سورة آل عمران ـ الآيات من ١ ـ ٨.

ليس له شريك ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ.
﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، أي بما يأتون به من الباطل من قولهم: خلَقنا وفعلنا وأمرنا، فإنما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحقّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ﴾، أي وحده ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم ﴿أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلبَلَاغُ، وَٱللهُ بَصِيرٌ بِٱلعِبَادِ﴾[1].

ما نزل من القرآن فيما اتّبعه اليهود والنصارى: ثم جمع أهل الكتابين جميعاً، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا، من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَقْتُلُونَ ٱلذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلمُلْكِ﴾ أي ربّ العباد، والملك الذي لا يقضي فيهم غيره ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ ٱلخَيْرُ﴾، أي لا إله غيرك ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك. ﴿تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وتُولِجُ النَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ، وتُخْرِجُ ٱلحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ ٱلحَيِّ﴾ بتلك القدرة ﴿وتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2] لا يقدر على ذلك غيرك، ولا يصنعه إلا أنت. أي فإنْ كنت سلّطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام والخلق للطَير من الطّين، والإخبار عن الغيوب، لأجعله به آية للناس، وتصديقاً له في نُبوَّته التي بعثته بها إلى قومه، فإنّ من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوّة، ووضعها حيث شئت، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وإخراج الحيّ من الميت، وإخراج الميّت من الحي، ورزق من شئت من بَرٍّ أو فاجر بغير حساب: فكل ذلك لم أسلّط عيسى عليه، ولم أملّكه إياه، أفلم تكن لهم في ذلك عبرة وبيّنة! أن لو كان ذلك كلّه إليه، وهو في

(١) سورة آل عمران ـ من الآية ١٨ ـ ٢٠.
(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٢١ ـ ٢٧.

علمهم يهرب من الملوك، وينتقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد.

ما نزل من القرآن من وعظ المؤمنين وتحذيرهم: ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم، ثم قال: ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ﴾، أي إن كان هذا من قولكم حقاً، حبّ لله وتعظيماً له ﴿فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ الله، ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي ما مضى من كفركم ﴿وَالله غَفورٌ رَحِيمٌ، قُلْ أَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ﴿فَإنْ تَوَلَّوْا﴾، أي على كفرهم ﴿فَإنَّ الله لَا يُحِبُّ ٱلكَافِرِينَ﴾[1].

ما نزل في خلْق عيسى وخبر مريم وزكريا: ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿إنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبْرَاهِيمَ، وآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ ٱلعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْض، وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. ثم ذكر أمر امرأة عمران، وقولها: ﴿رَبِّ إنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾، أي نذرته فجعلته عتيقاً، تعبُّده لله، لا ينتفع به لشيء من الدنيا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ، وَالله أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ﴾، أي ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرّراً لك نذيرة ﴿وَإنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3] بعد أبيها وأمها.

قال ابن هشام: كفّلها: ضمّها.

قال ابن إسحاق: فذكرها باليتم، ثم قصّ خبرها وخبر زكريّا وما دعا به، وما أعطاه إذ وهب له يحيى. ثم ذكر مريم، وقول الملائكة لها: ﴿يَا مَرْيَمُ إنَّ ٱللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان ٣١ و٣٢.
(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ٣٣ و٣٤.
(٣) سورة آل عمران ـ الآيات ٣٥ ـ ٣٧.

لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِم﴾، أي ما كنت معهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[1].

قال ابن هشام: أقلامهم: سهامهم، يعني قِداحهم التي استهموا بها عليها، فخرج قِدْح زكريا فضمّها، فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصْريّ.

كفالة جُرَيج لمريم: قال ابن إسحاق: كفّلها ها هنا جُريج الراهب، رجل من بني إسرائيل، نجّار، خرج السهم عليه بحمْلها، فحملها، وكان زكريّا قد كفّلها قبل ذلك، فأصابت بني إسرائيل أزمة شديدة، فعجز زكريا عن حملها، فاستهموا عليها أيّهم يكفلها، فخرج السهم على جُرَيج الراهب بكفولها فكفلها. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2]، أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها. يخبره بخفيّ ما كتموا منه من العلم عندهم، لتحقيق نُبوّته والحجّة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه.

ثم قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلمَلاٰئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ ٱلمَسِيحُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَم﴾، أي هكذا كان أمره، لا كما تقولون فيه ﴿وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ أي عند الله ﴿وَمِنَ ٱلمُقَرَّبِينَ. ويُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلمَهْدِ وَكَهْلاً ومِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ يخبرهم بحالاته التي يتقلّب فيها في عمره، كتقلّب بني آدم في أعمارهم، صغاراً وكباراً، إلّا أنّ الله خصّه بالكلام في مهده آية لنبوّته، وتعريفاً للعباد بمواقع قدرته. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ؟ قَالَ كَذٰلِكِ ٱللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أي يصنع ما أراد، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ مما يشاء وكيف شاء، ﴿فَيَكُونُ﴾ كما أراد.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ٤٤.

ثم خبّرها بما يريد به، فقال: ﴿ويُعَلِّمُهُ ٱلكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى قبله ﴿وَالإِنْجِيلَ﴾، كتاباً آخر أحدثه الله عزّ وجلّ إليه لم يكن عندهم إلا ذِكره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي يحقّق بها نُبوّتي، أنّي رسول منه إليكم ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللهِ﴾ الذي بعثني إليكم، وهو ربّي وربكم ﴿وَأُبْرِيءُ ٱلأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ﴾.

قال ابن هشام: الأكْمه: الذي يولد أعمى. قال رؤبة بن العَجّاج:

هرَّجْتُ فارتدّ ارتداد الأكْمه

وجمعه: كمه. قال ابن هشام: هرَّجْتُ: صحْت بالأسد، وجلبت عليه، وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿وَأُحْيِي ٱلمَوْتَىٰ بِإِذْنِ الله؛ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَكُمْ﴾ أنّي رسول الله من الله إليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾، أي لما سبقني عنها ﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، أي أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه، ثم أحلّه لكم تخفيفاً عنكم، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته[1] ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ من رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُون، إِنَّ ٱللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي تبرّياً من الذين يقولون فيه، واحتجاجاً لربه عليهم ﴿فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلكُفْرَ﴾ والعدوان عليه، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَىٰ ٱللهِ، قَالَ ٱلحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله آمَنَّا بِالله﴾ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربّهم ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجّونك فيه ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[2] أي هكذا كان قولهم وإيمانهم.

---

(١) تباعاته: جمع تبعة: الظلامة.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٤٥ ـ ٥٣.

رفع عيسى عليه السلام: ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا ومَكَرَ ٱللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾[1]. ثم أخبرهم وردّ عليهم فيما أقرّوا لليهود بصَلبه، كيف رفعه وطهره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنّي مُتَوَفِّيكَ ورَافِعُكَ إِلَيّ، ومُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إذ همُّوا منك بما همُّوا ﴿وجَاعِلُ ٱلَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلقِيَامَةِ﴾، ثم القصّة. حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلآيَاتِ وَٱلذِّكْرِ الحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحقّ، الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى؛ وعمّا اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلنّ خبراً غيره. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ﴾ فاستمع ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. ٱلحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ ٱلمُمْتَرِينَ﴾ أي قد جاءك الحقّ من ربك فلا تمترينّ فيه، وإنْ قالوا: خلق عيسى من غير ذَكرٍ فقد خَلَقَ آدم من تراب، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً، وشعراً وبشراً، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾، أي من بعد ما قصصت عليك من خبره، وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ، ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ عَلَى ٱلكَاذِبِينَ﴾[2].

قال ابن هشام: قال أبو عُبيدة: نبتهل: ندعو باللعنة، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لا تقعُدَنَّ وقد أكَّلْتها حَطَبا ... نعوذُ من شَرِّها يوماً ونبتهل

وهذا البيت في قصيدة له. يقول: ندعو باللعنة. وتقول العرب: بَهل الله فلاناً، أي لعنه، وعليه بهلة الله. قال ابن هشام: ويقال: بُهلة الله، أي

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٥٤.

(٢) سورة آل عمران ـ من الآية ٥٥ ـ ٦١.

لعنة الله؛ ونبتهل أيضاً: نجتهد، في الدعاء.

قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هٰذَا﴾ الذي جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا ٱللهُ، وَإِنَّ ٱللهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. فَإِنْ تَوَلَّوْا، فَإِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللهَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]. فدعاهم إلى النصَف، وقطع عنهم الحجة.

إباؤهم المُلاعنة: فلما أتى رسول الله - ﷺ - الخبرُ من الله عنه، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأُمر بما أُمر به من مُلاعنتهم إن ردّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا له: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله أيا معشر النصارى لقد عرفتم أنّ محمداً لَنبيٌّ مُرسَل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيًّا قطّ فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلّا إلف دِينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله - ﷺ -، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألّا نلاعنك، وأن نتركك على دِينك ونرجع على دِيننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رِضاً[2].

أبو عُبيدة يتولّى أمرهم: قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله - ﷺ -: «ائتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين». قال: فكان عمر بن الخطّاب

---

(١) سورة آل عمران - الآيات ٦٢ - ٦٤.

(٢) عيون الأثر ١/٢٢١

يقول: ما أحببت الإمارة قطّ حبيّ إيّاها يومئذٍ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجّراً، فلما صلّى بنا رسول الله - ﷺ - الظهر سلّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عُبيدة بن الجرّاح، فدعاه فقال: «اخرج معهم، فاقضِ بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه»، قال عمر: فذهب بها أبو عُبيدة[1].

أخبار عن المنافقين

قال ابن إسحاق: وقدِم رسول الله - ﷺ - المدينةَ - كما حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة - وسيّد أهلها عبدالله بن أُبَيّ بن سلول العَوْفي ثم أحد بني الحُبلي، لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين - حتى جاء الإسلام - غيره، ومعه في الأوس رجل، هو في قومه من الأوس شريف مُطاع، أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، أحد بني ضُبَيعة بن زيد، وهو أبو حنظلة، الغسيل يوم أُحُد، وكان قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح، وكان يقال له: الراهب. فشقيا بشرفهما وضَرّهما.

فأما عبدالله بن أُبَيّ فكان قومه قد نظموا له الخرز ليُتَوِّجوه ثم يملّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله - ﷺ -، وهم على ذلك. فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن، ورأى أنّ رسول الله - ﷺ - قد استلبه مُلْكاً. فلما رأى قومه قد أبوا إلاّ الإسلام دخل فيه كارهاً مُصِرّاً على نفاق وضغن.

وأما أبو عامر فأبى إلاّ الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله - ﷺ -، فقال رسول الله - ﷺ - كما حدّثني محمد بن أبي أُمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر -: لاتقولوا: الراهب، ولكن قولوا: الفاسق.

---

(١) عيون الأثر ١/٢٢١

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عبدالله بن أبي الحَكَم، وكان قد أدرك وسمع، وكان راوية: أنّ أبا عامر أتى رسول الله - ﷺ - حين قدِم المدينة، قبل أن يخرج إلى مكة فقال: ما هذا الدِّين الذي جئت به؟ فقال: «جئت بالحنيفية دِين إبراهيم»، قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله - ﷺ -: «إنّك لست عليها»، قال. بلى قال: إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها قال: «ما فعلتُ، ولكنّي جئت بها بيضاء نقيّة»، قال: الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً يعرِّض برسول الله - ﷺ - أي أنّك جئت بها كذلك، قال رسول الله - ﷺ -: «أجل، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به؛ فكان هو ذلك عدوّ الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسول الله - ﷺ - مكة خرج إلى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحِق بالشام. فمات بها طريداً غريباً وحيداً[1].

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وكِنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمير الثقفي، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر، صاحب الروم. فقال قيصر: يرث أهلُ المَدَر أهلَ المدر[2]، ويرث أهل الوَبَر أهل الوبر[3]، فورثه كِنانة بن عبد ياليل بالمَدَر دون علقمة.

قال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع:

مَعاذَ الله من عَمَلٍ خبيثٍ ... كَسَعْيك في العشيرة عبد عمرو
فإمّا قُلتَ لي شرفٌ ونخْلٌ ... فقدْما بعتَ إيماناً بكُفْر

قال ابن هشام: ويُروى:

فإما قلت لي شرفٌ ومالٌ

قال ابن إسحاق: وأمّا عبدالله بن أُبَيّ فأقام على شرفه في قومه متردّداً

---

(١) عيون الأثر ١/٢٢٢

(٢) أهل المدر: من يسكنون المدن.

(٣) أهل الوبر: من يسكنون الخيام.

حتى غلبه الإسلام، فدخل فيه كارهاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن مسلم الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُّبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة، حبّ رسول الله - ﷺ -، قال: ركب رسول الله - ﷺ - الى سعد بن عُبادة يعوده من شكْوٍ أصابه على حمار عليه إكاف[1]، فوقه قطيفة فَدَكية[2]، مختطمة[3] بحبل من لِيف، وأردفني رسول الله - ﷺ - خلفه: قال: فمرّ بعبدالله بن أُبَيّ، وهو في ظل مُزَاحمٍ أُطُمِه[4].

قال ابن هشام: مُزَاحم: اسم الأطم.

قال ابن إسحاق: وحوله رجال من قومه. فلما رآه رسول الله - ﷺ - تذمّم[5] من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسلّم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجلّ، وذكّر بالله وحذّر، وبشّر وأنذر قال: وهو زامّ لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله - ﷺ - من مقالته، قال: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدّثه إيّاه، ومن لم يأتك فلا تَغُتّه[6] به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه؛ قال: فقال عبدالله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فاغشَنا به، وائتِنا في مجالسنا ودُورنا وبيوتنا، فهو والله مما نحبّ، ومما أكرمنا الله به وهدانا له، فقال عبدالله بن أُبَيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يكُنْ مولاك خصْمُك لا تزل تذِلّ ويصرَعْك الذي تُصارعُ
وهل يَنْهض البازيّ بغير جَناحه وإنْ جُذَّ يوماً رِيشُه فهو واقعُ

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن اسحاق.

---

(١) الإكاف: برذعمة الحمار.
(٢) منسوبة إلى فَدَك قرية بالحجار.
(٣) الخطام: حبل يجعل على أنف الدّابة تمسك به.
(٤) الأطم: الحصن.
(٥) تذمّم: استحيا.
(٦) غتّه: ثقّل عليه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْري، عن عُروة بن الزُّبير، عن أسامة، قال: وقام رسول الله ـ ﷺ ـ، فدخل على سعد بن عُبادة، وفي وجهه ما قال عدوّ الله بن أُبَيّ، فقال: والله يا رسول الله إنّي لأرى في وجهك شيئاً، لكأنّك سمعت شيئاً تكرهه؛ قال: أجل، ثم أخبره بما قال ابن أُبَيّ: فقال سعد: يا رسول الله. ارفقْ به. فوالله لقد جاءنا الله بك. وإنّا لننظم له الخرز لنتوِّجه. فوالله إنه ليرى أنْ قد سلبته مُلكاً[1].

ذِكْر من اعتلّ من أصحاب رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، وعمر بن عبدالله بن عُروة. عن عُروة بن الزُبير، عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما قدِم رسول الله ﷺ وسلم المدينةَ. قدِمها وهي أوبأ أرض الله من الحُمَّى. فأصاب أصحابه منها بلاء وسُقم. فصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه ﷺ. قالت فكان أبو بكر، وعامر بن فُهيرة، وبلال، موليا أبي بكر، مع أبي بكر في بيتٍ واحد. فأصابتهم الحُمّى. فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب. وبهم ما لا يعلمه إلاّ الله من شدّة الوعك. فدنوت من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كلّ امريءٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ   والموتُ أدْنى من شِراك نَعْلِه[2]

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول: قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فُهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموتَ قبل ذَوْقِه   إنّ الجَبَان حتفُه من فَوْقِه

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي)، وانظر عن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول في: تفسير الطبري ١٠/٢٠٤ ـ ٢٠٦، أنساب الأشراف ١/٢٧٤، تهذيب الأسماء ج ١ ق ١/٢٦٠ رقم ٢٨٥، العبر ١/١١، البداية والنهاية ٥/٣٤، ٣٥، الوافي بالوفيات ١٧/١١، الشذرات ١/١٣.

(٢) هذا البيت والذي بعده لعمرو بن مامة.

كـلّ امـريءٍ مجـاهـد بـطَوْقـه   كـالثَّـور يحْمي جِلْده بِـرَوْقـه[1]

بطوقه يريد: بطاقته. فيما قال ابن هشـام. قالت: فقلت والله مـا يدري عامر ما يقول! قـالت: وكان بـلال إذا تركتـه الحُمَّى اضطّجـع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليتَ شِـعْـري هـل أبيتنّ لـيلةً   بـفَـخّ وحَـوْلي إذْخِـرٌ وجَليـلُ[2]
وهـل أرِدْنَ يـومـاً ميـاه مَجَنَّـةٍ[3]   وهـل يَبْـدُونَ لي شـامـة وطَفِيـلُ

قال ابن هشام: شامة وطفيل: جبلان

دعاء الرسول ﷺ بنقل وباء المدينة إلى مَهْيَعَة: قالت عائشـة رضي الله عنهـا: فذكـرت لـرسـول الله ﷺ مـا سمعت منهم. فقلت: إنّهم ليهـذون ومـا يعقلون من شـدّة الحُمّى. قـالت: فقـال رسـول الله ﷺ: «اللهم حبِّب إلينـا المدينة كمـا حبَّبْتَ إلينا مكـة، أو أشدّ. وبـارِك لنا في مَـدّها وصـاعها وانقـل وباءها إلى مَهْيَعَة[4]». ومَهْيَعَة: الجُحْفَة[5].

قال ابن إسحاق: وذكـر ابن شهاب الـزُّهْريّ. عن عبـدالله بن عمرو بن العـاصي: أنّ رسول الله ﷺ لمـا قدِم المـدينة هـو وأصحـابـه أصـابتهم حُمَّى المدينة. حتى جهِدوا مرضاً. وصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه ﷺ. حتى كانوا

---

(١) روقه: قرنه.

(٢) فَـخّ: موضـع خارج مكـة، والإذخَر: نبـات يظهـر بمكة طيّب الـرائحة. والجليـل: نوع من النبات وهو ما يسمّونه التمام.

(٣) المجنّة: اسم سوق للعرب في الجاهلية.

(٤) أخرجه البخاري بلفظ: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنـا مكـة أو أشـدّ وصحّحها وبـارك لنا في صاعها ومُدّها وانقل حُمّاها فاجعلها بالجُحْفة». أنظر كتاب مناقب الأنصـار ٤/٢٦٤ باب مقدم النبيّ ﷺ وأصحابـه المدينـة، وفي كتاب المـرضى والطب (٧/٥) بـاب عيادة النسـاء والرجال، و٧/١١ بـاب من دعا بـرفع الـوباء، والحُمَّى. وفي كتـاب الدعـوات ٧/١٦٠ باب الـدعاء بـرفع الـوباء والـوجع. ومسلم في الحـج (٤٨٠) باب التـرغيب في سكنى المـدينـة والصبر على لأوائها. والموطأ في كتاب الجامـع ٦٤٢، ٦٤٣ باب مـا جاء في وبـاء المدينـة رقم (١٦٠٦)، وأحمد في المسند ٥/٣٠٩ و٦/٥٦ و٦٥ و٢٢٢ و٢٤٠ و٢٦٠.

(٥) الجُحْفَة: هي ميقات أهل الشام.

مـا يصلُّون إلاّ وهم قُعـود. قـال: فخـرج عليهم رسـول لله ﷺ وهم يصلّون كذلك. فقال لهم: «اعلموا أنّ صلاة القاعد على النصف من صلاة القـائم». قـال: فتجشّم المسلمـون القيـام على مـا بهم من الضُّعف والسُّقم التمـاس الفضل.

بدء قتال المشركين: قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ تهيّأ لحربه قـام فيما أمـره الله به من جهـاد عـدوّه، وقتـال مَن أمـره الله بـه ممّن يليـه من المشركين. مشركي العرب. وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة.



تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدّم عن عبد الملك بن هشام. قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي. عن محمد بن إسحاق المطّلبي. قال: قدِم رسول الله ﷺ المدينةَ يوم الاثنين حين اشتدّ الضُّحاء. وكادت الشمس تعتدل، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول[1]، وهو التاريخ. فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاثٍ وخمسين سنة. وذلك بعد أن بعثه الله عزّ وجلّ بثلاث عشرة سنة. فأقام بها بقيّة شهر ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر، وجُمادَيْن، ورجباً، وشعبان، وشهر رمضان؛ وشوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة ـ وولّى تلك الحجّة المشركون ـ والمحرّم، ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مَقدَمه المدينة[2].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعد بن عُبادة.

غزوة وَدَّان[3]

وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وَدّان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني

(١) أنظر تاريخ الطبري ٢/٣٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٠٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٨، تاريخ الطبري ٢/٤٧٠، تاريخ خليفة ٥٦، الروض الأنف ٣/٢٥، =

ضمرة بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، كان الذي وادعه منهم عليهم مَخْشيّ بن عمرو الضمري، وكان سيّدَهم في زمانه ذلك. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقيّة صفر، وصدْراً من شهر ربيع الأول[1].

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها.

سَرِيَّة عُبيدة بن الحارث[2]
وهي أوّل راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذلك بالمدينة عُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبدمَناف بن قُصَيّ في ستّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنِيّة المُرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهم قتال، إلاّ أنّ سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام[3].

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البَهْراني، حليف بني زُهرة، وعُتبة بن غَزْوان بن جابر المازني، حليف بني نوفل بن عبدمَناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا

= تاريخ الإسلام (المغازي ـ بتحقيقنا) ص ٤٥، عيون الأثر ١/٢٢٤، أنساب الأشراف ١/٢٨٧ رقم ٦٤٨، الكامل في التاريخ ٢/١١١، تاريخ الخميس ١/٤٠٢، عيون التواريخ ١/١٠٧، البدء والتاريخ ٤/١٨٢، المغازي للواقدي ١/٢ و١١، ١٢.

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٠٤، الكامل في التاريخ ٢/١١١

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧، المغازي للواقدي ١/٢ و١٠، البدء والتاريخ ٤/١٨١، عيون التواريخ ١/١٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ص٤٦، عيون الأثر ١/٢٢٥، الروض الأنف ٣/٢٥، ٢٦، تاريخ الطبري ٢/٤٠٤، الكامل في التاريخ ٢/١١١، تاريخ الخميس ١/٤٠٢، المحبّر ١١٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٧

ليتوصّلا بالكفّار[1]، وكان على القوم عِكرمة بن أبي جهل[2].

قال ابن هشام: حدّثني ابن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي عمرو المدني: أنه كان عليهم مكرز بن حفص بن الأخيف، أحد بني مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، في غزوة عُبيدة بن الحارث. قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر[3] ـ رضي الله عنه ـ:

إمِن طيفِ سلْمى بالبِطاح الدَّمائثِ[4] ... ارِقْتَ وأمرٍ في العشيرة حادثِ

تَرَى من لُؤَيّ فرقَةً لا يصدّها ... عن الكُفر تذكيرٌ ولا بعْثُ باعثِ

رسولٌ أتاهمْ صادقٌ فتَكَذَّبُوا ... عليه وقالوا: لستَ فينا بماكثِ

إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدْبَروا ... وهرُّوا هريرَ المُجْحَرَات اللّواهث[5]

فكم قد مَتَتْنَا فيهمُ بقرابةٍ ... وتَرْكُ التُّقَى شيءٌ لهم غيرُ كارثِ[6]

فإنْ يرجعوا عن كُفْرهم وعُقوقهم ... فما طيّبات الحلّ مثل الخبائث

وإنْ يركبوا طُغْيانهم وضلالَهم ... فليس عذابُ الله عنهم بلابث[7]

ونحن أناسٌ من ذُؤابة غالب ... لنا العزُّ منها في الفُروع الأثائث[8]

فأُولي بربّ الرّاقصاتِ عشِيَّةً ... حراجيجُ تحْدَى في السَّريح الرثائث[9]

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧، عيون التواريخ ١/١٠٦

(٣) ويشهد لصحّة من أنكر أن تكون له، ما روى عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزُّهْري، عن عُروة، عن عائشة قالت: «كذب من أخبركم أنّ أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام» رواه البخاري، عن أبي المتوكل، عن عبد الرزّاق. (الروض الأنف ٣/٢٦).

(٤) الدمائث: ما لان من الرمل.

(٥) هروا: وثبوا. والمجحرات: الملجئات إلى مواضعها.

(٦) متتنا: اتصلنا، والكارث: المحزن.

(٧) بلابث: أي بمبطيء.

(٨) الأثائث: المجتمعة.

(٩) أولى: أحلف، والراقصات، الإبل الراقصة وهو نوع من المشي لها، والحراجيج: الطوال. والسريح: ما يُربط في أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة. والثائث: البالية.

كـأُدْم ظِـبـاء حـول مكّـةَ عُـكَّفٍ ... يـرِدْن حياضَ البئـر ذات النبـائث[1]
لئن لم يفيقـوا عاجـلاً من ضـلالهم ... ولَـستُ إذا آليتُ قـولاً بِـحـانـثِ
لـتبـتـدرِنَّهـمْ غـارةٌ ذاتُ مَصـدَقٍ ... تُحـرّم أطهـار النّسـاء الـطّوامث[2]
تغـادر قتلَى تعصِب الـطيـرُ حـولهم ... ولا ترأفُ الكفَّارَ رأفَ ابن حـارث[3]
فـابلِغْ بني سهمٍ لـديـك رسـالـةً ... وكـلَّ كفـورٍ يبتغي الشـرَّ بـاحث
فإنْ تَشْعَثوا عِرْضي على سُوء رأيكم ... فـإنّيَ من أعـراضكم غيـرُ شـاعث[4]

فأجابه عبدالله بن الزِّبَعْرَى السّهميّ، فقال:

أمِنْ رسْم دارٍ أقفَـرَتْ بـالعثـاعِث[5] ... بـكيـتَ بعـينٍ دمعُهـا غيـرُ لابثِ
ومـن عَجَـبِ الأيّـام والـدّهـرُ كلُّه ... لـه عجبٌ من سـابقـاتٍ وحـادث
لجيشٍ أتـانـا ذي عُـرامٍ[6] يقُـودُه ... عُبيـدةُ يُدعَى في الهيـاج ابن حارث
لِنَتْـركَ أصنـامـاً بمكّـة عُكَّـفـاً ... مـواريثَ موروُثٍ كـريمٍ لـوارِثِ
فـلمّـا لَقينـاهـم بسُمْـرٍ رُدَيْنـةٍ ... وجُـرْدٍ عِتاقٍ في العَجاجِ لَـوَاهث[7]
وبِيضٍ كـأنّ المِلْحَ فـوق مُتُـونهـا ... بـأيدي كُمـاة كـاللُّيُـوث العـوائث[8]
نقيم بهـا إصْعـار مَن كـان مـائـلاً ... ونشْفي الذُّحُولَ عاجلاً غيـرَ لابث[9]
فكفـوا على خَـوْف شـديـدٍ وَهَيْبَـة ... وأعجبـهم أمـرٌ لـهم أمـرُ رائِـث[10]
ولـو أنّهم لـم يفـعلوا نـاحَ نِـسْـوَةٌ ... أيـامَى لهم، من بين نَسْءٍ وطامث[11]

---

(١) الظباء الأدم: التي ظهورها سُود وبطونها بيض، والنبائث: ما يخرج من تراب البئر عند حفره.
(٢) الطوامث: جمع طامث، وهي الحائض.
(٣) تعصب: تجتمع، وابن حارث: هو عُبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب.
(٤) تشعثوا: تفرقوا.
(٥) العثاعث: أفاع لا تنبث شيئاً.
(٦) ذو عرام: ذو شدّة.
(٧) السُمْر الرُدَينية: الرماح المنسوبة إلى رُدَينة امرأة كانت تثقّف الرماح. والجُرْد: السريعة، والعَجاج: الغبار.
(٨) العوائث: المفسدات.
(٩) الإصعار: الميل. والذُحُول. طلب الثأر.
(١٠) الرائث: المتمهّل في الأمور.
(١١) النسء: التي تأخر حيضها مظنة الحمل.

وقـد غُـودرتْ قَتَلى يُخَبِّـر عنهـمُ حَفِيٌّ[1] بهم أو غـافـلٌ غيـرُ بـاحث
فـأبلغْ أبـا بكـرٍ لَـدَيـكَ رسـالـةً فمـا أنت عن أعْراضِ فِهْرٍ بمـاكث
ولـمّـا تَجِبْ منّي يمينٌ غليـظة تُجـدِّد حـرْبـاً حَلْفَةً غيـرَ حـانث

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً، وأكثر أهل العِلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزِّبَعْرَى.

قال ابن إسحاق: وقـال سعد بن أبي وقّـاص في رميته تلك فيمـا يذكرون:

ألا هـل أتـى رسـولَ الله أنّـي حميتُ صحـابـتي بصُـدور نَبْـلي
أذُود بـهـا أوائـلهـم ذيـاداً بكـلّ حُـزُونـة وبكـلّ سهْـلٍ[2]
فـمـا يـعـتـدُّ رامٍ فـي عـدُوّ بِـسَهْـم يـا رسـول الله قَـبْـلي
وذلـك أنّ دِيـنـك دِيـنُ صِـدْقٍ وذو حـقّ أتـيـتَ بـه وعَـدل
يُنَجَّى المؤمنـون بـه، ويُجـزَى بـه الكُفّـار عنـد مقـام مَـهْـل[3]
فمهـلاً قـد غَـوِيـتَ فـلا تَعِبني غَـويَّ الحيّ ويحـك يـابن جَهْـل[4]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لسعد.

قال ابن إسحاق: فكانت راية عُبيدة بن الحارث ـ فيما بلغني ـ أول راية عقدها رسول لله ﷺ في الإسلام، لأحد من المسلمين. وبعض العلماء يزعم أنّ رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء، قبل أن يصل إلى المدينة.

سرِيّة حمزة إلى سِيف البحر[5]

وبعث في مقامه ذلك، حمزة بن عبدالمطّلب بن هاشم، إلى سِيف

---

(١) الحَفِيّ: المهتم.
(٢) الحزونة: الأرض الوعرة: والسهل ما انبسط من سطح الأرض.
(٣) مهل. تثبُّت.
(٤) ابن جهل. يريد عِكرمة بن أبي جهل.
(٥) البدء والتاريخ ١٨١/٤، تاريخ الطبري ٤٠٤/٢، المغازي للواقدي ٩/١، الكامل في التاريخ ١١٢/٢، سيرة ابن كثير ٢٥٩/٢، البداية والنهاية ٢٤٤/٣، عيون الأثر ٢٢٤/١، تاريخ الإسلام (المغازي)،٤٥، المُحبّر ١١٦.

البحر، من ناحية العِيص[1] في ثلاثين راكباً من المهاجرين، وليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مئة راكب من أهل مكة. فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجُهني. وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال.

وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين. وذلك أنّ بعْثه وبعْث عبيدة كانا معاً، فشُبِّه ذلك على الناس. وقد زعموا أنّ حمزة قد قال في ذلك شِعراً يذكر فيه أنّ رايته أول راية عقدها رسول الله ﷺ، فإنْ كان حمزة قد قال، فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلّا حقاً، فالله أعلم أيّ ذلك كان، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا. فعُبيدة بن الحارث أول من عُقد له. فقال حمزة في ذلك، فيما يزعمون:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر هذا الشِعر لحمزة رضي الله عنه:

ألا يالَقَومي للتحلُّم والجَهْل ... وللنقْص من رأي الرجال وللعقلِ
وللراكبينا بالمظالم لم نَطأ ... لهم حُرُماتٍ من سَوَامٍ[2] ولا أهل
كأنّا تَبَلْناهم[3] ولا تَبْلَ عندَنا ... لهم غيرُ أمرٍ بالعَفاف وبالعدل
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يقبلونه ... وينزِل منهم مثلَ منْزلة الهزْلِ
فما برحوا حتى انتدبتُ لغارة ... لهم حيث حلُّوا ابتغِي راحة الفضل
بأمر رسول الله، أول خافِق ... عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قَبلي
لواءٌ لديه النصرُ من ذي كرامة ... إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفِعلِ
عشيّةَ ساروا حاشدين وكلُّنا ... مَراجله[4] من غَيْظِ أصحابه تغلي

---

(١) العيص: عرض من أعراض المدينة على ساحل البحر. قال ابن إسحاق: من ناحية ذي المروَة بطريق قريش التي كانوا يأخذون منها إلى الشام. (معجم البلدان ٤/١٧٣)

(٢) السَوام: الإبل السائمة وهي المتروكة في المرعى.

(٣) تبلناهم: عاديناهم.

(٤) المراجل: قدور النحاس.

فلما تراءَينا أناخُوا فعقَّلوا ... مَطايا وعقَّلنا مَدى غَرَض النَّبْلِ[1]
فقلنا لهم: حبل الإلٰه نَصِيرنا ... وما لكم إلّا الضَّلالةُ من حبْل
فثار أبو جهْل هنالك باغيا ... فخاب وردَّ الله كيدَ أبي جهل
وما نحن إلّا في ثلاثين راكباً ... وهم مئتان بعد واحدةٍ فَضْل
فيالَلُؤَيَّ لا تُطيعوا غُوَاتكم ... وفيئُوا إلى الإسلام والمنهجِ السهْل
فإنّي أخاف أن يُصَبَّ عليكُم ... عذابٌ فتدعوا بالنَّدامة والثُّكل

فأجابه أبو جهل بن هشام، فقال:

عجِبتُ لأسبابِ الحفيظة والجهلِ ... وللشّاغبينَ بالخِلافِ وبالبُطْلِ
وللتاركين ما وجدنا جدودَنا ... عليه ذوي الأحساب والسُّؤدَد الجزْل
أتَونا بإفْكٍ كي يُضِلُّوا عقولَنا ... وليس مُضلًّا إفْكهُم عقلَ ذي عقل
فقلنا لهم: يا قومنا لا تُخالِفوا ... على قومكم إنّ الخلاف مدى الجهل
فإنّكم إن تفعلوا تَدْعُ نسوةٌ ... لهنّ بواكٍ بالرزيّة والثُّكْل
وإن ترجعوا عما فعلتم فإننا ... بنو عمّكم أهلُ الحفائظ والفضْل
فقالوا لنا: إنّا وجدنا محمداً ... رِضاً لذوي الأحلام منّا وذي العقل
فلما أبوا إلّا الخلافَ وزيّنوا ... جِماعَ الأمور بالقبيح من الفعل
تَيَمَّمْتُهُمْ بالساحلَين بغارةٍ ... لأتْرُكهم كالعَصْف[2] ليس بذي أصل
فورَّعني مَجْدي[3] عنهم وصُحبتي ... وقد وازروني بالسيوف وبالنبل
لإلٍّ[4] علينا واجبٍ لا نضيعه ... أمينٌ قُواه غير مُنْتَكِث الحبل
فلولا ابنُ عمرو كنتُ غادرتُ منهم ... مَلاحم للطّير العُكوف بلا تَبْل
ولكنّه آلى بإلٍّ فقلَّصت ... بأيماننا حدُّ السّيوف عن القتل
فإن تُبقني الأيامُ أرجعْ عليهم ... ببيضٍ رِقاق الحدّ مُحدثة الصَّقْل

---

(١) أي أناخوا إبلهم بالقرب من بعض فأصبحت المسافة بينهما مرمى النبل.
(٢) العَصْف: ورق الزرع الأصفر، أو القِطع الدقيقة من التبن ونحوه.
(٣) ورّعني: كفّني ومنعني. ومَجْدي هو: ابن عمرو الجُهني.
(٤) الإل: العهد.

بـأيـدي حُمـاةٍ من لُؤَيّ بن غـالـب كرامِ المساعي في الجُدوبة والمَحْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر هذا الشعر لأبي جهل.

غزوة بُواط[1]

قـال ابن إسحـاق: ثم غـزا رسـول الله ﷺ في شهـر ربيـع الأول يـريـد قريشاً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السّائب بن عثمان بن مظعون.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بـواط، من ناحيـة رَضْوى[2]، ثم رجـع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبِث بها بقيّة شهر ربيع الآخر وبعض جُمادى الأولى.

غزوة العُشَيْرة[3]

ثم غزا قُريشاً، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام.

---

(١) بواط: جبلان فرعان لأصل واحد، أحدهما: جلسي، والآخر غوري وفي الجلسي بنو دينار، ينسبون إلى دينار مولى عبدالملك بن مروان.
انـظر عن الغـزوة في: الطبقات الكبـرى ٢/ ٨، ٩، تاريخ خليفـة ٥٧، تـاريـخ الـطبـري ٢/ ٤٠٧، المغـازي للواقـدي ١/ ٢ و١٢، البـدء والتـاريـخ ٤/ ١٨٢، أنسـاب الأشـراف ١/ ٢٨٧، الكـامل في التـاريخ ٢/ ١١٢، تـاريـخ الإسـلام (المغازي) ٤٧، البداية والنهاية ٣/ ٢٤٦، عيـون الأثـر ١/ ٢٢٦، الـروض الأنف ٣/ ٢٧، سيـرة ابن كثيـر ٢/ ٣٦١، عيـون التواريخ ١/ ١٠٦، المحبّر ١١٠.

(٢) رضوى: جبل بالمدينة معروف.

(٣) العُشَيرة: بلفظ تصغير العشرة، يضاف إليه (ذو) فيقال ذو العُشَيرة، وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، وفي صحيح البخاري أنها العُشَيـرة أو العشيراء، وقيـل: العُسَيْرة والعُسَيـراء، بـالسين المهملة، والصحيح أنهـا العُشَيـرة. قـال ابن إسحـاق: هـو من أرض بني مـدلـج. (معجم البلدان ٤/ ١١٢٧)، وانظر صحيح البخاري (٥/ ٢) في المغازي.
وانظر عن الغزوة في: الطبقات الكبـرى ٢/ ٩، ١٠، تاريـخ خليفة ٥٧، تـاريخ الـطبري ٢/ ٤٠٨، المغازي للواقدي ١/ ٢ و١٢ البدء والتاريخ ٤/ ١٨٢، أنساب الأشراف ١/ ٢٨٧، الكـامل في التـاريخ ٢/ ١١٢، البـداية والنهـاية ٣/ ٢٤٦، سيـرة ابن كثير ٢/ ٣٦١، تـاريخ الإسلام (المغازي)، ٤٧، عيون التواريخ ١/ ١٠٧، عيون الأثر ١/ ٢٢٦.

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على فَيْفاء الخَبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلَّى عندها. فثَمَّ مسجده ﷺ، وصُنع له عندها طعام، فأكل منه، وأكل الناس معه، فموضع أثافيّ البُرْمة معلوم هنالك، واستُقي له من ماء به، يقال له: المُشْتَرِب، ثم ارتحل رسول الله ﷺ فترك الخلائق[1] بيَسار، وسلك شُعبة يقال لها؛ شُعبة عبدالله، وذلك اسمها اليوم، تحت صَبَّ لليسار حتى هبط يَلْيَل[2]، فنزل بمُجتمعه ومُجتمع الضَّبُوعة، واستقى من بئر بالضَّبُوعة، ثم سلك الفَرْش، فَرْش مَلَل، حتى لقي الطريق بصُحَيرات اليَمام، ثم اعتدل به الطريقُ، حتى نزل العُشَيرة من بطن ينبُع. فأقام بها جُمادى الأولى وليالي من جُمادى الآخرة، وادع فيها بني مُدْلج وحلفاءهم من بني ضَمْرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وفي تلك الغزْوة قال لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ما قال.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن محمد بن خيْثم المُحاربي، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن محمد بن خيثم أبي يزيد، عن عمَّار بن ياسر، قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشَيرة؛ فلما نزلها رسولُ الله ﷺ وأقام بها؛ رأينا أناساً من بني مُدْلِج يعملون في عينٍ لهم وفي نخل، فقال لي عليّ بن أبي طالب: يا أبا اليقظان، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت؛ قال: فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشِيَنا النوم. فانطلقت أنا وعليّ حتى اضطّجعنا في صور من النخْل[3]، وفي دَقْعاء[4] من التراب فنمنا، فوالله ما أهبّنا[5] إلّا

(١) الخلائق: أرض بنواحي المدينة كانت لعبدالله بن أحمد بن جحش. (معجم البلدان)

(٢) يَلْيَل: بتكرير الياء مفتوحتين ولامين، قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة، وفيه عين كبيرة تسمّى: البحيرة.

(٣) صور من النخل: صغار منها.

(٤) الدقعاء: مالان من التراب.

(٥) أهبّنا: أيقظنا.

رسول الله ﷺ يحرّكنا برِجْله. وقد تترّبنا من تلك الدَقْعاء التي نمنا فيها، فيومئذٍ قال رسول الله ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب: «مالك يا أبا تراب»؟ لِما يرى عليه من التراب، ثم قال: «ألاَ أحدّثكما بأشقى الناس رجلين»؟ قال: بلى يا رسول الله؛ قال: «أُحَيْمر ثمود[1] الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليّ على هذه» - ووضع يده على قرنه - حتى يَبُلّ منها هذه». وأخذ بلحْيته.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ إنّما سَمَّى عليًّا أبا تراب: أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيءٍ لم يكلّمها، ولم يقل لها شيئاً تكرهه، إلاّ أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه. قال؛ فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول «مالك؛ ياأبا تراب»؟ فالله أعلم أيّ ذلك كان.

سريّة سعد بن أبي وقّاص[2]

قال ابن إسحاق: وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقّاص، في ثمانية رهطٍ من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرَّار[3] من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيداً.

قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أنّ بعْث سعد هذا كان بعد حمزة.

---

(١) هو قدار أو قذار بن سالف وأمه قُذَيرة وهو من التسعة رهْط الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون المذكورين في سورة النمل. وهو الذي عقر ناقة صالح.

(٢) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٤٠٦، الطبقات الكبرى ٢/٧، الكامل في التاريخ ٢/١١٢، البدء والتاريخ ٤/١٨١، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، البداية والنهاية ٣/٢٤٨، سيرة ابن كثير ٢/٣٦٤، عيون التواريخ ١/١٠٨، عيون الأثر ١/٢٢٥، ٢٢٦، المغازي للواقدي ١/١١، والمحبّر ١١٧

(٣) الخرّار: موضع بالحجاز يقال هو قرب الجُحفة، وقيل وادٍ من أودية، وقيل ماء بالمدينة. (معجم البلدان ٢/٣٥٠)

غزوة سَفَوان[1]
وهي غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق: ولم يُقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدِم من غزوة العُشَيرة إلّا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كُوز بن جابر الفِهْرِيّ على سَرْح[2] المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة زَيد بن حارثة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وادياً، يقال له: سَفَوان، من ناحية بدر، وفاته كُرز بن جابر، فلم يدركه، وهي غزوة بدر الأولى. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقية جُمادى الآخرة ورَجَباً وشعبان.

سريّة عبد الله بن جحش[3]
ونزول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾

وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب، مَقْفَلَهُ من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين. ثم ينظر فيه، فيمضي لِما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

---

(١) سَفَوان؛ بفتح أوله وثانيه.
أنظر عن الغزوة في: تاريخ خليفة ٥٧، المغازي للواقدي ١/ ٢ و١٢، الطبقات الكبرى ٢/ ٩، تاريخ الطبري ٢/ ٤٠٧، البدء والتاريخ ٤/ ١٨٢، أنساب الأشراف ١/ ٢٨٧ رقم ٦٥٠، الكامل في التاريخ ٢/ ١١٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، سيرة ابن كثير ٢/ ٣٦٤، عيون التواريخ ١/ ١٠٨، عيون الأثر ١/ ٢٢٧

(٢) السَرْح: الإبل والغنم.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ١٠، ١١، تاريخ الطبري ٢/ ٤١٠، المغازي للواقدي ١/ ٢ و١٣، البدء والتاريخ ٤/ ١٨٢، الكامل في التاريخ ٢/ ١١٣ ـ ١١٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٨، عيون الأثر ١/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠، البداية والنهاية ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢، سيرة ابن كثير ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٧٢، عيون التواريخ ١/ ١٠٨ ـ ١١١، تاريخ الخميس ١/ ٤٠٢، المحبّر ١١٦

وكـان أصحـاب عبـدالله بن جحش من المهـاجـرين. ثم من بني عبـد شمس بن عبـدمَنـاف: أبـو حُـذيفـة بن عُتبـة بن ربيعــة بن عبـدشمس؛ ومن حلفـائهم: عبـدالله بن جحش، وهـو أميـر القــوم، وعُكّـاشــة بن مِحْصَن بن حرثان، أحد بني أسد بن خُزيمة، حليف لهم. ومن بني نوفل بن عبـدمَناف: عُتبة بن غزوان بن جابر، حليف لهم. ومن بني زُهرة بن كِلاب: سعد بن أبي وقّـاص. ومن بني عدِيّ بن كعب: عـامـر بن ربيعـة، حليف لهم من عَنـز بن وائل، وواقد بن عبدالله بن عبدمَنـاف بن عَرين بن ثعلبـة بن يربـوع، أحد بني تميم، حليف لهم، وخالد بن البُكَيـر، أحد بني سعـد بن ليث، حليف لهم. ومن بني الحارث بن فِهْر: سُهيل بن بيضاء.

فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فـإذا فيه: إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصّد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبدالله بن جحش في الكتاب، قـال: سمعـاً وطاعـة؛ ثم قال لأصحـابـه: قـد أمـرني رسـول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتيـه منهم بخبر، وقـد نهاني أن أستكـره أحداً منكم. فمن كـان منكم يريـد الشهادة ويـرغب فيها فلينـطلق، ومن كره ذلـك فليرجع؟ فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابـه، لم يتخلّف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجـاز، حتى إذا كان بمعـدن، فوق الفُـرُوع، يقال لـه: بُحْـران[1]، أضلّ سعـد بن أبي وقّاص، وعُتبـة بن غـزوان بعيـراً لهمـا، كـانـا يعتقبانه. فتخلّفا عليه في طلبه. ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نـزل بنخلة، فمرّت بـه عِير لقـريش تحمـل زبيبـاً وأُدمـاً، وتجـارة من تجـارة قريش، فيها عمرو بن الحضْرميّ.

---

(١) بُحران: بالضم، وهو المشهور، ويُفتح. موضع بناحية الفرع، وبين الفـرع والمدينـة ثمانيـة بُـرُد. والمعدن فكـان كل شيء فيـه أصله. ويقال: إن معـدن بُحران هـذا كان للحجّـاج بن علاط البهزيّ. (معجم البلدان ١/٣٤١)

قال ابن هشام: واسم الحضرميّ: عبدالله بن عبَّاد، وقال: مالك بن عباد أحد الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك، أحد السّكون بن أشرس بن كِنْدة، ويقال: كِنْدي.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبدالله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبدالله المخزوميّان، والحَكَم بن كَيْسان، مولى هشام بن المغيرة.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمِنوا، وقالوا عُمَّار، لا بأس عليكم منهم. . وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: واللهِ لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم، فليمتنعنّ منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام؛ فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم. فرمى واقد بن عبدالله التميميّ عمرو بن الحضْرميّ بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبدالله، والحَكَم بن كَيْسَان؛ وأفلت القومَ نوفلُ بن عبدالله فأعجزهم. وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعِير وبالأسيرين، حتى قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة.

وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش: أنّ عبدالله قال لأصحابه: إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخُمْس، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخُمْس من المغانم ـ فعزل لرسول الله ﷺ خُمس العير، وقسّم سائرها بين أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلما قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتكم بقتالٍ في انشهر الحرام». فوقَّف العِير والأسيرين. وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً: فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم، وظنّوا أنّهم قد هلكوا، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا. وقالت قريش قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال؛ فقال من يردّ عليهم من المسلمين، ممن كان بمكة: إنّما أصابوا في شعبان.

وقالت يهود ـ تفاءلُ بذلك على رسول الله ﷺ ـ عمرو بن الحضرميّ قتله واقد بن عبدالله، عمرت الحرب. والحضرميّ: حضرت الحرب، وواقد بن عبدالله وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ﴾** أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكُفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم **﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾** أي قد كانوا يفتنون المسلم في دِينه، حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾**[1]: أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين. فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله ﷺ العِير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبدالله والحَكَم بن كَيْسان، فقال رسول الله ﷺ: «لانفديكموها حتى يقدَم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقّاص، وعُتبة بن غزوان ـ فإنّا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبيكم، فقدِم سعد وعُتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم[2].

فأما الحَكَم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً. وأما عثمان بن عبدالله فلحِق بمكة، فمات بها كافراً.

فلما تجلّى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله: أنطمع أن تكون لنا غزوة

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢١٧.
(٢) الخبر في تفسير الطبري ٣٠٥/٤، ٣٠٦

نُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء.

والحديث في هذا عن الزُهْري، ويزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزبير.

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش: أنّ الله عزّ وجلّ قسّم الفَيء حين أحلّه، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله، وخُمساً، إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبدالله بن جحش صنع في تلك العِير.

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون. وعمرو بن الحضرميّ أول من قتله المسلمون، وعثمان بن عبدالله، والحَكَم بن كَيْسان أول من أسر المسلمون.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في غزوة عبدالله بن جحش، ويقال: بل عبدالله بن جحش قالها، حين قالت قريش: قد أَحَلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال ـ قال ابن هشام: هي لعبدالله بن جحش:

تَعُدُّون قتلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يَرى الرشدَ راشدُ

صُدودكم عمّا يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشاهد

وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلّا يُرى لله في البيت ساجد

فإنّا وإنْ عيَّرتمونا بقتْله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد

سَقينا من ابن الحضرميّ رماحَنا ... بنخْلةَ لما أوقَدَ الحربَ واقد

دماً وابنُ عبدالله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلّ من القدّ عاند[2]

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢١٨.

(٢) القدّ: شَرَك من جلد، والعاند: السائل بالدم غير المنقطع. والأبيات في البدء والتاريخ ٤/٦٨٤

صرف القِبْلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق: ويقال: صُرِفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدَم رسول الله ﷺ المدينة[1].

---

(1) تاريخ الطبري ٢/٤١٥، البدء والتاريخ ٤/١٨٤، الكامل في التاريخ ٢/١١٥، نهاية الأرب ١٦/٣٩٧، عيون الأثر ١/٢٣٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون التواريخ ١/١١٠، سيرة ابن كثير ٢/٣٧٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٧٥، نهاية الأرب ١٦/٣٩٧.

غزوة بدر الكبرى[1]

قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشأم في عِير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مَخْرمة بن نوفل بن أهْيب بن عبدمَناف بن زُهرة، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن مسلم الزُهْري، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عُروة بن الزبير،

---

(١) بدر: اسم بئر حفرها رجل من غِفار، ثم من بني النار منهم، اسمه: بدر، وقيل: هو بدر بن قريش بن يخلد الذي سُمّيت قريش به. وروى يونس عن ابن أبي زكريا، عن الشّعبيّ قال بدر: اسم رجل كانت له بئر.

أنظر عن الغزوة في: المغازي للواقدي ١/١٩ ـ ١٧٢، المغازي لعروة ١٣١ ـ ١٦٠، الطبقات الكبرى ٢/١١ ـ ٢٧، تاريخ الطبري ٢/٤٢١ ـ ٤٧٩، البدء والتاريخ ٤/١٨٥ ـ ١٩٥، أنساب الأشراف ١/٢٨٨ ـ ٣٠٨، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٣٩٢، الدرر في المغازي والسير لابن عبدالبر ١١٠ وما بعدها، جوامع السيرة لابن حزم ١٠٧ وما بعدها، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٦، ٢٥٧، الكامل في التاريخ ٢/١١٦ ـ ١٣٧، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٨، ١٢٩، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٠، عيون الأثر ١/٢٤١ ـ ٢٩٢، سيرة ابن كثير ٢/٣٨٠ ـ ٥٣٨، عيون التواريخ ١/١١١ ـ ١٤٠، وصحيح البخاري في المغازي (٥/٣ ـ ٢٢)

وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سُقته من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال: «هذه عِير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفّلكموها». فانتدب الناس فخفّ بعضهم وثقُل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنّوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس[1] الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوُّفاً على أمر الناس. حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أنّ محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعِيرك فحذر عند ذلك. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغِفاريّ، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة[2].

رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب: قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتّهم عن عِكرِمة، عن ابن عباس، ويزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزبير، قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبدالمطّلب، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليالٍ، رؤيا أفزعتها. فبعثت إلى أخيها العباس بن عبدالمطّلب فقالت له: ياأخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتم عنّي ما أحدّثك به؛ فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح[3]، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يالغُدُر لمصارعكم في ثلاثٍ، فأرى النّاسَ اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد

---

(١) التحسّس: بالحاء. أن تتسمّع الأخبار بنفسك، والتجسّس بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك، وفي الحديث، لا تجسّسوا، ولا تحسّسوا».

(٢) الكامل في التاريخ ١١٦/٢، عيون الأثر ٢٤٢/١

(٣) كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح، والأبطح والبطحاء الرمل المنبسط على وجه الأرض، وهو يضاف إلى مكة وإلى مِنى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان الى مِنى أقرب، وهو المحصّب، وهو خَيف بني كنانة. وقد قيل إنه ذو طوى وليس به. وذكر بعضهم أنه إنما سُمّي أبطح لأن آدم عليه السلام بطح فيه. (معجم البلدان، تاج العروس ٣١٤/٦، ٣١٥)

والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثُل به[1] بعيـره على ظهر الكعبـة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لَغُدُر لمصارعكم في ثلاثٍ: ثم مثُـل به بعيـره على رأس أبي قُبيس[2]، فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فـأرسلها. فـأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت[3]، فمـا بقي بيت من بيوت مكـة، ولا دار إلاّ دخلتهـا منها فلقـة؛ قال العبـاس: والله إنّ هذه لَـرؤيا، وأنْتِ فـاكتميهـا، ولا تذكريها لأحد.

ثم خـرج العبّاس، فلقي الـوليد بن عُتبـة بن ربيعة، وكـان له صـديقاً، فذكرها له، واستكتمه إيّاها. فذكرها الوليد لأبيه عُتبة، ففشـا الحديث بمكـة، حتى تحدّثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بـالبيت وأبو جهـل بن هشام في رهْطٍ من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضـل إذا فرغت من طوافك فأقبـل إلينا؛ فلمـا فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقـال لي أبو جهل: يا بني عبدالمطّلب، متى حدّثت فيكم هذه النّبيّة؟ قـال. قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة؛ قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبدالمطّلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجـالكم حتى تتنبّأ نسـاؤكم، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإنْ يـك حقّـاً مـا تقـول فسيكـون، وإن تمض الثـلاث ولم يكن من ذلـك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيتٍ في العرب. قال العبـاس: فوالله مـا كـان منّي إليه كبيـر، إلاّ أنّي جحدت ذلـك، وأنكـرت أن تكـون رأت شيئـاً. قال: ثم تفرّقنا.

فلمـا أمسيت، لم تبق امـرأة من بني عبـدالمـطّلب الاّ أتتني، فقـالت:

---

(١) مثُل به: قام به.

(٢) أبو قبيس: الجبل المشـرف على مكة من شـرقيّها، وفي أصـل تسميته أكثـر من رواية ذكـرها ياقوت في (معجم البلدان ١/ ٨٠، ٨١)

(٣) ارفضّت: تفتّت.

أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غِيَر[1] لشيءٍ مما سمعت، قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان منّي إليه من كبير. وأيم الله لأتعرضنّ له، فإنْ عاد لأكفيَّكنّه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب أرى أنّي قد فاتني منه أمر أحبّ أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إنّي لأمشي نحوه أتعرّضه، ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: فقلت في نفسي: ماله لعنه الله، أكل هذا فَرَق منّي أن أُشاتمه! قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم بن عمرو الغِفَاريّ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جَدّع بعيره[2]، وحوَّل رَحْله، وشقَّ قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة[3] أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغَوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر[4].

قريش تتجهّز للخروج: فتجهّز الناس سراعاً، وقالوا: أيظنُّ محمد وأصحابه أن تكون كعِير ابن الحضرميّ، كلاّ والله ليعلمنّ غير ذلك. فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً. وأوعبت قريش، فلم يتخلّف من أشرافها أحد.

---

(١) قال ابن الأنباري: في قولهم: (لا أراني الله بك غِيَراً) الغِيَر: تغيُّر الحال، وهو اسم واحد بمنزلة النِطَع والعِنَب وما أشبههما، ويجوز أن يكون جمعاً واحدنه غِيَرَة. قال بعضهم في كنانة:

فمن يشكر الله يلق المزيد ... ومن يكفرِ الله يلق الغِيَر

(الزاهر ٢/٣١٣، تاج العروس ١٣/٢٨٧)

(٢) جدع بعيره: قطع أنفه.

(٣) اللطيمة: الإبل التي تحمل البَزّ والطِّيب.

(٤) أخرجه عروة في المغازي ١٣٣، ١٣٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٧٠، نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني. وابن الأثير في الكامل ٢/١١٧، وابن سيد الناس ١/٢٤٣

إلاّ أنّ أبا لهب بن عبدالمطّلب تخلّف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يُجْزيء عنه، بعثه فخرج عنه، وتخلّف أبو لهب.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح: أنّ أُميّة بن خَلفَ كان أجمع القعود، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عُقبة بن أبي مُعَيط، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا عليّ، استجمر، فإنّما أنت من النساء؛ قال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به؛ قال: ثم تجهّز فخرج مع الناس.

ما وقع بين قريش وكِنانة من الحرب: **قال ابن إسحاق**: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبدمَناة بن كِنانة من الحرب، فقالوا: إنّا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر ـ كما حدّثني بعض بني عامر بن لُؤَيّ، عن محمد بن سعيد بن المسيّب ـ في ابنٍ لحفص بن الأخيف، أحد بني مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ، خرج يبتغي ضالّة له بضَجْنَان[2]، وهو غلام حَدث في رأسه ذُؤآبة، وعليه حلّة له، وكان غلاماً وضيئاً نظيفاً، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح، أحد بني يَعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمَناة بن كِنانة، وهو بضَجْنان، وهو سيِّد بني بكر يومئذٍ، فرآه فأعجبه؛ فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا ابنٌ لحفص بن الأخيف القرشيّ. فلما ولّى الغلام، قال عامر بن زيد: يا بني بكر، مالكم في قريش من دم؟ قالوا: بلى والله، إنّ لنا فيهم لَدِماء؛ قال: ماكان رجل ليقتل هذا الغلام برجْله إلاّ كان قد استوفى دمه. قال: فتبعه رجل من بني بكر، فقتله

---

(٤) لاط: احتبس.

(٢) ضَجْنان: بالتحريك. ويروى بسكون الجيم. جبيل على بريد من مكة وهناك الغميم في أسفله مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: وبين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة. (معجم البلدان ٣/٤٥٣)

بدم كان له في قريش؛ فتكَلّمت فيه قريش، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قريش قد كانت لنا فيكُم دماء، فما شئتم. إن شئتم فأدّوا علينا مالنا قِبَلكم، ونؤدّي مالكم قِبَلنا، وإن شئتم فإنّما هي الدماء: رجل برجل، فتجافوا عما لكم قِبلنا، ونتجافى عمّا لنا قِبَلكم، فإنّ ذلك الغلام على هذا الحيّ من قريش، وقالوا: صدق، رجل برجل. فلَهَوْا عنه، فلم يطلبوا به.

قال: فبينما أخوه مِكْرَز بن حفص بن الأخيف يسير بمَرّ الظَّهْران[1]، إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن الملوّح على جملٍ له، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به، وعامر متوشّح سيفه، فعلاه مِكْرز بسيفه حتى قتله، ثم خاض بطنه بسيفه؛ ثم أتى به مكة، فعلّقه من الليل بأستار الكعبة. فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلّقاً بأستار الكعبة، فعرفوه؛ فقالوا: إنّ هذا لَسيف عامر بن يزيد، عدا عليه مِكرَز بن حفص فقتله، فكان ذلك من أمرهم. فبينما هم في ذلك من حربهم، حجز الإسلام بين الناس؛ فتشاغلوا به، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم. وقال مكرز بن حفص في قتله عامراً:

لما رأيتُ أنّه هو عامرٌ ... تذكَّرت أشلاءَ الحبيبِ الملحَّبِ[2]
وقلتُ لنفسي: إنّه هو عامرٌ ... فلا تَرهبيه، وانظري أيَّ مركب
وأيقنتُ أنّي إن أُجَلِّله ضربةً ... متى ما أُصبْه بالفُرافر يَعْطَب
خَفَضتُ له جأشي وألقيتُ كَلكَلي[3] ... على بطلٍ شاكي السلاح مجرّب
ولم أكُ لمّا التفّ رُوعي ورُوعه ... عُصارةَ هُجنٍ من نساءٍ ولا أب
حللت به وِتْري ولم أنسَ ذَحْلَه[4] ... إذا ما تناسى ذَحْله كلُّ عَيْهب

---

(١) مَرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة. قال الواقدي: بين مر وبين مكة خمسة أميال. (معجم البلدان ٥/١٠٤)

(٢) الملحّب: الذي ذهب لحمه، وأصل اللحب تقطيع اللحم طولاً.

(٣) الكلكل: الصدر.

(٤) الذحل: الثأر.

قال ابن هشام: الفُرافر في غير هذا الموضع: الرجل الأضبط، «وفي هذا الموضع». السيف، والعَيْهب: الذي لا عقل له، ويقال لتيس الظّباء وفحل النعام: العَيْهب. قال الخليل: العَيهب: الرجل الضعيف عن إدراك وِتْره.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير، قال: لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجيّ، وكان من أشراف بني كِنانة، فقال لهم: أنا لكم جار من أن تأتيكم كِنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعاً.

خروج رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه - قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر رمضان - واستعمل عمرو بن أمّ مكتوم - ويقال اسمه: عبدالله بن أمّ مكتوم أخا بني عامر بن لُؤَيّ، على الصلاة بالناس، ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوْحاء[1]، واستعمله على المدينة.

اللواء والرايتان: قال ابن إسحاق: ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار. قال ابن هشام: وكان أبيض.

قال ابن إسحاق: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب، يقال لها: العُقاب، والأخرى مع بعض الأنصار[2].

عدد إبل المسلمين إلى بدر: قال ابن إسحاق: وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ سبعين بعيراً، فاعتقبوها؛ فكان رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَويّ يعْتَقبون بعيراً، وكان حمزة بن

---

(١) الروحاء: من عمل الفُرع بالمدينة، على نحوٍ من ثلاثين أو أربعين يوماً منها. (معجم البلدان)

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، ٥١، عيون الأثر ٢٤٦/١.

عبدالمطّلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة، مَوْلَيا رسول الله ﷺ يَعْتقبون[1] بعيراً، وكان أبو بكر، وعمر، وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً.

قال ابن إسحاق: وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار. وكانت راية الأنصار مع سعد بن مُعاذ، فيما قال ابن هشام.

الطريق إلى بدر: **قال ابن إسحاق**: فسلك طريقه من المدينة إلى مكة، على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحُلَيفة، ثم على أولات الجيش.

قال ابن هشام: ذات الجيش.

قال ابن إسحاق: ثم مرّ على تُرْبان[2]، ثم على مَلَل[3]، ثم غَمِيس الحَمام[4] من مَرَيَيْن، ثم على صُخَيرات اليَمام، ثم على السَّيَّالة[5]، ثم على فَجّ الرَّوْحاء[6]، ثم على شَنُوكة[7]، وهي الطريق المعتدلة؛ حتى إذا كان بعِرْق الظَّبية[8] - قال ابن هشام: الظَّبْية: عن غير ابن إسحاق - لقوا رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً؛ فقال له الناس: سلّم على رسول الله ﷺ قال: أَوَفِيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، فسلّم عليه؛ ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك.

---

(١) يعتقبون: يتعاقبون عليها ويتناوبونها. واعتقاب كالتعاقب: التداول.
(٢) تُرْبان: قرية من ملل على ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢/ ٢٠)
(٣) مَلَل: بالتحريك، موضع في طريق مكة بين الحرمين. ومنزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة. (معجم البلدان ٥/ ١٩٤)
(٤) غميس الحمام: بفتح أوله وكسر ثانيه. (معجم البلدان ٤/ ٢١٤)
(٥) السَّيالة: بفتح أوله، وتخفيف ثانيه. هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة. (معجم البلدان ٣/ ٢٩٢)
(٦) فجّ الروحاء: بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٤/ ٢٣٦)
(٧) شَنوكة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو. جبل. (معجم البلدان ٣/ ٣٦٩)
(٨) عِرق الظبية، بضم الظاء، بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٤/ ١٠٨).

نزوتَ عليها، ففي بطنها منك سخلة[1]، فقال رسول الله ﷺ: «مه، أفحشت على الرجل»؛ ثم أعرض عن سلمة.

ونزل رسول الله ﷺ سَجْسَج، وهي بئر الرَّوْحاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمنصرَف، ترك طريق مكة بيَسار، وسلك ذات اليمين على النازية[2]، يريد بدراً، فسلك في ناحية منها، حتى جَزَع وادياً[3]، يقال له رُحْقان، بين النازية وبين مَضيق الصَّفراء، ثم على المضيق، ثم انصبّ منه، حتى إذا كان قريباً من الصفراء، بعث بَسْبَس بن الجُهَنيّ، حليف بني ساعدة، وعدِيّ بن أبي الزَّغْباء الجُهَنيّ، حليف بني النجّار، الى بدر يتحسّسان له الأخبار، عن أبي سفيان بن حرب وغيره. ثم ارتحل رسول الله ﷺ، وقد قدِمَها. فلما استقبل الصفراء، وهي قرية بين جبلين، سأل عن جبليهما ما اسماهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما، هذا مُسلح وللآخر: هذا مُخْرِيء، وسأل عن أهلهما فقيل: بنو النار وبنو حراق، بطنان من بني غِفَار فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء[4] أهلهما: فتركهما رسول الله ﷺ والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على واد يقال له: ذَفِرَان، فجزع فيه، ثم نزل.

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم؛ فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش: فقام أبو بكر الصِّدِّيق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطّاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾[5]. ولكن اذهب أنت وربّك

---

(١) السخلة في الأصل: الصغير من الضأن واستعارها لولد الناقة.

(٢) النازية: بتخفيف الياء، عين ثَرَّة على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة قرب الصفراء، وهي إلى المدينة أقرب وإليها مضافة. (معجم البلدان ٥/٢٥١)

(٣) قطعه عرضاً.

(٤) ليس هذا من باب الطيرة والتشاؤم فقد كان ينهى عنه ﷺ، ولكن هذا من باب كراهية الاسم القبيح.

(٥) سورة المائدة - الآية ٢٤.

فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِرْك الغِماد[1] لجالَدنا معك من دونه، حتى تبلغه؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به[2].

استشارة الأنصار: ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليّ أيّها الناس. وإنّما يريد الأنصار، وذلك أنّهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعَقَبة، قالوا: يا رسول الله: إنّا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمّتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألّا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلّا ممن دهمه بالمدينة من عدوّه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍ من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن مُعاذ: والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل. قال: فقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لَما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحقّ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضْناه معك، ما تخلّف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، إنّا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء. لعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُرّ رسول لله ﷺ بقول سعد، ونشّطه ذلك؛ ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإنّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم»[4].

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفِران، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له: الدَّبَة[5]، وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم

---

(١) موضع بناحية اليمن، وقيل إنها مدينة بالحبشة. وقيل موضع في أقصى أرض هجر. (معجم البلدان).

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، ٥٢، الكامل في التاريخ ٢ ـ ١٢.

(٣) ذفِران: بفتح أوله وكسر ثانيه. وادٍ قرب الصفراء. (معجم البلدان ٣/٦).

(٤) المغازي لعروة ١٣٦، عيون الأثر ١/٢٤٧، البدء والتاريخ ٤/١٨٨

(٥) الدَّبَة: فتح أوله وتخفيف ثانيه. بلد بين الأصافر وبدر. (معجم البلدان ٢/٤٣٨)

كالجبل العظيم؛ ثم نزل قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصِّدِّيق.

قال ابن إسحاق: كما حدّثني محمد بن يحيى بن حبّان: حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم؛ قال الشيخ فأنه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإنْ كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ؛ وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف عنه. قال، يقول الشيخ: مامن ماء، أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ: سفيان الضمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب، والزُبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه ـ كما حدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير ـ فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسلم، غلام بني الحَجّاج، وعريض أبو يَسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلّي، فقالا: نحن سُقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما[2] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلّم، وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما،

---

(١) الراوية: الإبل التي يُسقى الماء عليها.
(٢) أذلقه: بالغ في ضربه.

وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنّهما لقُريش، أخبراني عن قريش»؟ قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصوى ـ والكثيب: العقنقل ـ فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم»؟ قالا: كثير؛ قال: «ما عدّتهم»؟ قالا: لاندري: قال: «كم ينحرون كلّ يوم»؟ قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «القوم فيما بين التسع مئة والألف»[1]. ثم قال لهما: «فمَن فيهم من أشراف قريش»؟ قالا: عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وحكيم بن حِزام، ونوفل بن خُوَيْلِد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيمة بن عَدِيّ بن نوفل، والنضْر بن الحارث، وزَمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُميّة بن خَلَف، ونُبيه، ومنبّه ابنا الحَجّاج، وسُهيل بن عَمرو، وعمرو بن عبد ودّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ[2] كبِدِها»[3].

قال ابن إسحاق: وكان بَسْبَس بن عمرو، وعدِيّ بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تلٍّ قريب من الماء، ثم أخذا شنّاً[4] لهما يسقيان فيه، ومَجْدِيّ بن عمرو الجُهَنِيّ على الماء. فسمع عَدِيّ وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر[5]، وهما يتلازمان[6] على الماء، والملزومة[7] تقول لصاحبتها: إنّما تأتي العِير غداً أو بعد غد، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك، قال مَجديّ: صدقت، ثم خلّص بينهما. وسمع ذلك عديّ وبَسْبَس، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا[8].

---

(١) المغازي لعروة ١٣٧، ١٣٨، تاريخ الطبري ٢/٤٢٥، الكامل في التاريخ ٢/١١٩

(٢) أفلاد: قِطَع.

(٣) عيون الأثر ١/٢٤٩، نسب قريش ٢٥١

(٤) الشّنّ: الزقّ البالي.

(٥) الحاضر: النازلون على الماء.

(٦) التلازم: تعلّق الغريم بغريمه.

(٧) الملزومة: المدينة.

(٨) تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٥٠

نجاة أبي سفيان بالعِير: وأقبل أبو سفيان بن حرب، حتى تقدّم العِير حذراً، حتى ورد الماء؛ فقال لمجديّ بن عمرو: هل أحسست أحداً؛ فقال: ما رأيت أحداً أنكره، إلاّ أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ، ثم استقيا في شنٍّ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعِيريهما، ففتّه، فإذا فيه النَّوى؛ فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجه عِيره عن الطريق، فساحَل بها[1]، فترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع[2].

قال: وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفَة، رأى جُهيم بن الصلْت بن مَخْرمة بن عبدالمطّلب بن عبدمَناف رؤيا، فقال: إنّي رأيت فيما يرى النائم، وإنّي لَبين النائم واليقظان. إذ نظرت إلى رجلٍ قد أقبل على فَرَس حتى وقف، ومعه بعير له؛ ثم قال: قتل عُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأُميَّة بن خَلَف، وفلان وفلان، فعدّد رجالاً ممن قُتل يوم بدر، من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لُبّة بعِيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلاّ أصابه نضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل؛ فقال: وهذا أيضاً نبيّ آخر من بني المطّلب، سيعلم غداً من المقتول إنْ نحن التقينا[3].

قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عِيره، أرسل إلى قريش: إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّاها الله، فارجعوا؛ فقال أبو جهل بن هشام: والله لانرجع حتى نرِد بدراً ـ وكان بدر موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوق كل عام ـ فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجُزُر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القِيان، وتسمع

---

(١) أخذ بها طريق الساحل.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/ ٢٥٠

(٣) عيون الأثر ١/ ٢٥٠

بنا العرب وبمسيرنا وجمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفيّ؛ وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجُحْفَة: يابني زُهرة، قد نجّى الله لكم أموالكم، وخلّص لكم صاحبكم مَخْرمة بن نوفل، وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا لي جُبنَها وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة، لاما يقول هذا، يعني أبا جهل. فرجعوا، فلم يشهدها زُهْرِيّ واحد، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً. ولم يكن بقي من قريش بطن إلاّ وقد نفر منهم ناس، إلاّ بني عدِيّ بن كعب، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شَريق، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد، ومشى القوم[1]. وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أنّ هواكم لَمَع محمد. فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال طالب بن أبي طالب:

لا هُم إمّا يَغْزُوَنَّ طالِبْ　　في عُصبة محالفُ محارب
في مِقْنَبٍ[2] من هذه المَقَانِب　　فليكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ
وليكُنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ[3]

قال ابن هشام: قوله «فليكن المسلوب»، وقوله «وليكن المغلوب» عن غير واحد من الرُواة للشِعر.

قريش تنزل بالعُدْوة والمسلمون ببدر: قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوَى من الوادي، خلف العَقَنْقَل وبطن الوادي، وهو يَلْيَل، بين بدر وبين العَقَنْقَل، الكثيب الذي خلفه قريش، والقُلُب[4] ببدر في

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٣٨
(٢) المقنب: الجماعة من الخيل.
(٣) أنظر القول عند الطبري بتغيير في الألفاظ وتقديم وتأخير ٢/٤٣٩، وفي الكامل ٢/١٢١
(٤) القُلُب: جمع قليب: البئر القديم مذكر وقد يؤنث.

العُـدوة الدنيـا من بطن يَلْيَـل إلى المدينـة. وبعث الله السماء، وكـان الوادي دَهْساً[1]، فأصاب رسولَ الله ﷺ وأصحابَه منها ما لبَّـد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السيـر، وأصاب قـريشاً منهـا ما لم يقـدروا على أن يرتحلوا معـه. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[2].

قـال ابن إسحاق: فحُـدِّثْتُ عن رجال من بني سلمـة، أنهم ذكروا: أنّ الحُباب بن المنذر بن الجَمُوح قال: يا رسول لله، أرأيت هذا المنزل، أمنـزلاً أنـزلكـه الله ليس لنـا أن نتقـدّمـه، ولا نتـأخّـر عنـه، أم هـو الـرأي والحـرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»؟ فقال: يا رسول الله، فـإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالنـاس حتى نأتي أدنى مـاء من القوم، فننـزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضـاً فنملؤه ماءً، ثم نقـاتل القـوم، فنشـرب ولا يشـربـون؛ فقـال رسـول الله ﷺ: لقـد أشـرت بـالـرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماءٍ من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت، وبنى حوضاً على القُلُب الذي نزل عليه فمُلىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكـر أنه حـدّث: أنّ سعد بن مُعاذ قال: يانبيّ الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونُعِدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدوّنا، فإنْ أعزّنـا الله وأظهرنـا على عدوّنـا، كان ذلـك ما أحببْنـا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحِقْت بمن وراءنا، فقد تخلّف عنـك أقوام، يا نبيّ الله، ما نحن بأشدّ لك حبّاً منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حـرباً مـا تخلّفوا عنك، يمنعـك الله بهم، يناصحـونك ويجـاهدون معـك. فأثنى عليـه

---

(١) **الدَّهْس**: المكان اللّيّن السهل الذي ليس برمل ولا تراب.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، الأغاني ٤/١٧٨ ـ ١٨٣، الكامل في التاريخ ٢/١٢٢، عيون الأثر ١/٢٥٤

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٠، الأغاني ٤/١٨٣، ١٨٤، الكامل في التاريخ ٢/١٢٢

رسـول الله ﷺ خيراً، ودعـا له بخيـر. ثم بُني لرسـول الله ﷺ عريش، فكـان فيه[1].

قـال ابن إسحاق: وقـد ارتحلت قريش حين أصبحت، فـأقبلت، فلمـا رآهـا رسول الله ﷺ تصـوّب من العَقَنْقل ـ وهـو الكثيب الذي جـاءوا منـه إلى الوادي ـ قال: «الَّلهُمَّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها، تُحادُّك وتكذّب رسولك، اللهم فنصرَك الذي وعدتني، الّلهمّ أحِنْهِمُ[2] الغَداةَ[3].

وقد قال رسول الله ﷺ ـ وقد رأى عُتبة بن ربيعة في القوم على جَمَلٍ له أحمر ـ: إن يكن في[4] أحد من القوم خير فعنـد صاحب الجمـل الأحمر، إن يُطيعوه يرشُدُوا.

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رحَضة الغِفاريّ، أو أبـوه أيماء بن رحضـة الغِفـارِيّ، بعث إلى قريش، حين مـرّوا به، ابنـاً له بجـزائره[5] أهـداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نمدّكم بِسلاح ورجالٍ فعلنا. قال: فأرسلوا إليه مع ابنه: أنْ وصلتْك رحِم، قد قضيت الذي عليك، فلَعَمْري لئن كنّا إنّما نقاتل الناس فمـا بنا من ضعف عنهم، ولئن كنّـا إنّما نقـاتل الله، كمـا يزعم محمـد، فما لأحدٍ بالله من طاقة[6].

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ـ ﷺ ـ فيهم حكيم بن حِزام؛ فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «دعوهم». فمـا شـرب منـه رجل يومئذ إلاّ قُتل، إلاّ ما كان من حكيم بن حِزام، فإنـه لم يُقتل، ثم أسلم

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٠، الكامل في التاريخ ٢/١٢٢، عيون الأثر ١/٢٥٢

(٢) أحِنْهم: أهلكهم.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤١

(٤) عند الطبري «عند».

(٥) الجزائر: الذبائح

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٤١

بعد ذلك، فحسُن إسلامه. فكان إذا جهد في يمينه، قال: «لا والـذي نجّاني من يوم بدر»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار وغيره من أهـل العلم، عن أشياخ من الأنصار، قـالـوا، لمـا اطمـأنّ القـوم، بعثـوا عُميـر بن وهْب الجُمَحيّ فقالوا: احـزروا لنا أصحـاب محمد، قـال: فاستجـال بفرسـه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاث مئـة رجل، يـزيدون قليـلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر أَلِلقَوم كمين أو مَدَد؟ قال: فضـرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئـاً، ولكنّي قد رأيت، يـا معشر قريش، البلايا[2] تحمل المنايا، نواضح[3] يثرب تحمـل الموت النـاقع، قوم ليس معهم مَنَعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجـل منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فرُوا رأيَكم[4].

فلمـا سمـع حكيم بن حِـزام ذلـك مشى في النـاس، فـأتى عُتبـة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنّك كبير قريش وسيّدها، والمُطاع فيها، هل لـك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمـل أمر حليفـك عمرو بن الحضـرميّ؛ قال: قـد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنّما هو حليفي، فعليَّ عقله ومـا أصيب من مالـه، فأتِ ابنَ الحنظلية.

الحنظلية ونَسَبها: **قال ابن هشام**: والحنظلية أمّ أبي جهل، وهي أسماء بنت مُخرَّبة، أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤١، الأغاني ٤/١٨٤، الكامل في التاريخ ٢/١٢٣، عيون الأثر ١/٢٥٢

(٢) النوق التي تُربط على قبر الأموات لا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت، كـان يفعلها بعض العـرب الذي يقرّ بالبعث لأجل أن يحشر عليها الميت وقت بعثه.

(٣) النواضح: الإبل التي يستقى الماء عليها.

(٤) تـاريخ الـطبري ٢/٤٤٢، تاريخ الإسلام (المغـازي) ٥٥، الكـامـل ٢/١٢٣، عيـون الأثـر ١/٢٥٣.

مَناة بن تميم ـ فإنّي لا أ خشى أن يشجـر[1] أمر النـاس غيره، يعني أبـا جهل بن هشام. ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً، فقـال: يا معشـر قريش، إنّكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الـرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتـل ابن عمّه أو ابن خـاله، أو رجـلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا منه ما تريدون[2].

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجـدته قـد نثل[3] درعـاً له من جرابها، فهو يهنئها[4]. ـ قال: ابن هشام يهيُئها ـ فقلت له يا أبا الحَكَم إنّ عُتبـة أرسلني إليك بكـذا وكذا، للذي قـال؛ فقال: انتفـخ والله سَحْرُه[5] حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نـرجع حتى يحكم الله بيننـا وبين محمد، وما بُعتبة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمداً وأصحابه أكلة جَزُور، وفيهم ابنـه، فقد تخوّفكم عليـه. ثم بعث إلى عامـر بن الحضرمي، فقـال: هذا يـريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فأنشد خُفْرَتَكَ[6]، ومقتَلَ أخيك.

فقـام عامـر بن الحضْـرميّ فـاكتشف ثم صـرخ: واعمـراه. واعمـراه، فحميت الحرب، وحقِب[7] الناس، واستوسقوا[8] على ما هم عليه من الشـرّ. وأُفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عُتبة.

فلما بلغ عُتبةَ قولُ أبي جهل «انتفـخ والله سَحْرُه»، قـال: سيعلم مصفِّر

---

(١) يشجر فلان أمر الناس أي يثير التخاصم والتنازع بينهم. (تاج العروس ١٢/١٤٠)

(٢) تـاريخ الـطبري ٢/٤٤٢، الأغاني ٤/١٨٥، ١٨٦، تـاريخ الإسـلام (المغازي) ٥٦، عيـون الأثر ١/٢٥٣

(٣) نثل: أخرج.

(٤) يهنئها: يطليها بعكر الزيت.

(٥) انتفخ سَحْرُه: أي رئته. يقال للجبان الذي ملأ الخوف جوفه: انتفـخ سحْره. (تـاج العروس ١١/٥١٠، ٥١١)

(٦) الخُفْرة: الذمّة والجوار. وانشد خفرتك: أي أطلب من يجيرك. (تـاج العـروس ١١/٢٠٥).

(٧) حقب الناس: اشتدّوا.

(٨) استوسقوا: استجمعوا وانضمّوا.

استِه[1] من انتفخ سَحْرُه، أنا أم هو؟.

قال ابن هشام: السَّحْر: الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السُّرَّة. وما كان تحت السُّرَّة، فهو القصب، ومنه قوله: رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصْبه في النار: قال ابن هشام: حدّثني بذلك أبو عُبيدة.

ثم التمس عُتبة بيضة ليُدْخِلَها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضة تَسَعه من عِظَم هامته؛ فلما رأى ذلك اعتجز[2] على رأسه ببُرْد له.

مقتل الأسود بن عبدالأسد المخزومي: قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان رجلاً شرِساً سيّء الخُلُق، فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم، أو لأهدمنّه، أو لأموتنّ دونه؛ فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطّلب، فلمّا التقيا ضربه حمزة فأطنّ[3] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رِجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبرّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض[4].

دعاء عُتبة إلى المبارزة: قال: ثم خرج بعد عُتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتبة، حتى إذا نصل من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف، ومعوّذ، ابنا الحارث ـ وأمهما عَفْراء ـ ورجل آخر» يقال: هو عبدالله بن رواحة؛ فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهْط من الأنصار؛ قالوا: مالنا بكم من حاجة، ثم نادى مُناديهم: يا محمد، أخرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ:

---

(١) كناية عن الدعة فقد كان الإنسان البعيد عن الحرب يتطيّب بالخلوق، وقد قصد المبالغة لإهانته بذكر استِه وإنّما هو تطييب البدن.

(٢) اعتجر: تعمّم. والاعتجار: ليّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك. والعِجْرَة بالكسر: نوع من العمّة. يقال: فلان حسن العِجْرة. (تاج العروس ٥٣٨/١٢)

(٣) أطنّ: أطار.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٤/٢، ٤٤٥، الكامل ١٢٤/٢

«قم يا عُبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا عليّ»، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عُبيدة: عُبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ؛ قالوا: نعم، أكفاء كِرام، فبارز عُبيدة، وكان أسنّ القوم، عُتبة بن ربيعة؛ وبارز حمزة شيبة بن ربيعة؛ وبارز عليّ الوليد بن عُتبة. فأمّا حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله؛ وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله، واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه[1]، وكَرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتبة فذففا[2] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أن عُتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا: أكفاء كِرام، إنّما نريد قومنا.

إلتقاء الفريقين: **قال ابن إسحاق**: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم، وقد أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبْل، ورسول الله ـ ﷺ ـ في العريش، معه أبو بكر الصِّدِّيق.

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان[4].

قال ابن إسحاق: كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين.

ضرب الرسول لابن غزية: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني حبّان بن واسع بن حبّان، عن أشياخ من قومه: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدْح يعدل به القوم، فمرّ بسوّاد بن غَزِيّة، حليف بني عدِيّ بن النّجار ـ قال ابن هشام: يقال، سوّاد، مثقّلة، وسواد في الأنصار

---

(١) أثبته: جرحه جراحة بالغة.

(٢) ذفّفا عليه: أسرعا قتله.

(٣) المغازي لعروة ١٤٠، ١٤١، تاريخ الطبري ٢/٤٤٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧، عيون الأثر ١/٢٥٤، ٢٥٥، البدء والتاريخ ٤/١٨٩.

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي).

غير هذا، مخفف ـ وهو مستنتل[1] من الصفّ ـ قال ابن هشام: ويقال: مستنصل[2] من الصفّ ـ فطعن في بطنه بالقِدْح، وقال: استو يا سواد فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحقّ والعدل، قال: فأقدني[3]. فكشف رسول الله ـ ﷺ ـ عن بطنه، وقال: «استقِدْ»، قال: فاعتنقه فقبّل بطنه: فقال: «ما حملك على هذا يا سوّاد»؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدُك. فدعا له رسول الله ـ ﷺ ـ بخير، وقاله له[4].

الرسول يناشد ربَّه النصر: قال ابن إسحاق: ثم عدّل رسول الله ـ ﷺ ـ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصِّدِّيق، ليس معه فيه غيره، ورسول الله ـ ﷺ ـ يناشد ربَّه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللّهم إن تهلِك هذه العصابة اليوم لا تُعبد»، وأبو بكر يقول: يا نبيّ الله: بعض مناشدتِك ربّك، فإنّ الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفق[5] رسول الله ـ ﷺ ـ خفقةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبشِر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسٍ يقوده، على ثناياه النقع».

أول شهيد من المسلمين: قال ابن إسحاق: وقد رُمي مِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل، فكان أول قتيل من المسلمين؛ ثم رُمي حارثة بن سُراقة، أحد بني عدِيّ بن النّجّار، وهو يشرب من الحوض، بسهمٍ فأصاب نحْره، فقتل.

قال: ثم خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الناس فحرّضهم، وقال: والذي

---

(١) مستنتل: متقدّم.
(٢) مستنصل: خارج.
(٣) أقدني: اقتصّ لي من نفسك.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤٦، ٤٤٧، عيون الأثر ١/٢٥٥، تاريخ الطبري ٢/٤٤٧، الأغاني ٤/١٩٠، ١٩١
(٥) خفق: أخذته سِنة خفيفة من النوم.

نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبِلاً غير مُدبر، إلاّ أدخله الله الجنة. فقال عُمير بن الحمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهنّ: بخ بخ[1]، أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سَيفَه، فقاتل القوم حتى قُتل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله، ما يُضحك[2] الربَّ من عبده؟ قال غمسه يده في العدوّ حاسراً. فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُهْريّ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعير العُذْريّ، حليف بني زُهرة، أنه حدّثه: لما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل ابن هشام: اللهمّ اقطَعَنا للرَّحِم، وآتانا بما لا يُعرف، فأحِنْه[4] الغداة. فكان هو المستفتح[5].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله - ﷺ - أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: «شاهت الوجوه»، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: «شُدُّوا»؛ فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش؛ وأسر من أسر من أشرافهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله - ﷺ - في العريش: وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش، الذي فيه رسول الله - ﷺ -، متوشّح السيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله - ﷺ -، يخافون عليه كَرَّة العدوّ؛ ورأى رسول الله - ﷺ - فيما ذُكر لي -

---

(١) كلمة تقال في حالة الإعجاب.

(٢) أي يرضيه غاية الرضا مع تبشير وإظهار كرامة.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٨، الأغاني ٤/١٩٢، ١٩٣

(٤) أحنه: أهلكه.

(٥) المستفتح: المبتديء لنفسه. وفيه أنزلت؛ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾. (تاريخ الإسلام - المغازي)

في وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «والله لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع القوم»؛ قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشِرْك. فكان الإثخان في القتل بأهل الشرك أحبّ إليّ من استبقاء الرجال[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني العباس بن عبدالله بن مَعْبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس؛ أنّ النّبيّ ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إنّي قد عرفت أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كرْهاً، ولا حاجة لهم بقتالنا؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مستكرهاً». قال: فقال أبو حُذَيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنّه السيف ـ قال ابن هشام: ويقال لألجمنّه السيف ـ قال: فبلغت رسول الله ـ ﷺ ـ: فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص» ـ قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ـ ﷺ ـ بأبي حفص ـ «أيُضرب وجه عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ بالسيف»؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عُنُقه بالسيف، فوالله لقد نافق، فكان أبو حُذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلّا أن تكفّرها عنّي الشهادة. فقُتل يوم اليمامة شهيداً[2].

قال ابن إسحاق: وإنّما نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن قتل أبي البَخْتَرِيّ لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقْض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطّلب. فلقيه المجذّر بن ذياد البَلَويّ، حليف الأنصار، ثم من بني سالم بن عوف، فقال المجذّر لأبي البَخْتَرِيّ: إنّ رسول

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٤٩، الأغاني ٤/١٩٣، ١٩٤، الكامل في التاريخ ٢/١٢٦، عيون الأثر ١/٢٥٧/٢٥٨

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩، عيون الأثر ١/٢٥٨.

الله ـ ﷺ ـ قد نهانا عن قتلك ـ ومع أبي البَخْتَرِيّ زميل[1] له، قد خرج معه من مكة، وهو جُنادة بن مُليحة بنت زُهير بن الحارث بن أسد، وجُنادة رجل من بني ليث واسم أبي البَخْتَرِيّ: العاص ـ قال: وزميلي؟ فقال له المجذّر: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ إلّا بك وحدك؛ فقال: لا والله، إذن لأموتنّ أنا وهو جميعاً، لا تتحدّث عنيّ نساء مكة أنّي تركت زميلي حِرْصاً على الحياة. فقال أبو البَخْتِريّ حين نازله المجذّر وأبى إلّا القتال، يرتجز:

لن يُسلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميله[2] حتّى يموتَ أو يرى سَبيلَه

فاقتتلا، فقتله المجذّر بن ذياد[3].

وقال المجذّر بن ذياد في قتْله أبا البَخْتَرِيّ:

إمَّا جهلَت أو نسيتَ نسبي فأثبِت النِّسبة أنّي من بَلِي
الطّاعِنين برماحِ اليَزَني والضّارِبين الكَبْش حتى يَنْحني
بشِّر بيُتْم من أبوهُ البَخْتَرِيّ أو بشِّرَنْ بمثلها منّي بني
أنا الذي يُقال أصلي من بَلي أطعنُ بالصَّعْدة[4] حتى تنْثني
وأعبِطِ القِرْن بعَضْب مَشْرَفي أُرزِمُ للموْت كإرزام المَرِي[5]
فلا ترى مجذّراً يَفرِي فَرِي[6]

قال ابن هشام: «المري» عن غير ابن إسحاق. والمَرِيّ: الناقة التي يُستنزل لبنها على عُسر.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ المجذّر أتى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: والذي

---

(١) الزميل: من يزامله فيركب معه على بعير واحد.

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٤٥١ «اكيله».

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٠، ٤٥١، الأغاني ٤/١٩٤، عيون الأثر ١/٢٥٨.

(٤) الصعدة: في الأصل عصا الرمح، وقد أطلق هنا على الرمح صعده.

(٥) أعبِط: أقتل، والعضْب: السيف القاطع، وأرزم: أحنّ.

(٦) فرِيَ: عمل عملاً أتى فيه بأمر عجيب. وانظر بعضه في المغازي لعروة ١٤٢.

بعثك بالحقّ لقد جهِدت عليه أن يستأسر فآتيك به، فأبى إلّا أن يقاتلني، فقاتلتُه فقتلتُه[1].

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيّ: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أُميّة بن خَلَف: **قال ابن إسحاق**: حدّثني يحيى بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدّثنيه أيضاً عن عبدالله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبدالرحمن بن عوف قال: كان أُميَّة بن خَلَف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فسمّيت، حين أسلمت، عبدالرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة يقول: يا عبد عمرو، أرغبتَ عن اسم سَمَّاكَهُ أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإنّي لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال، فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أُجِبْه. قال: فقلت له: يا أبا عليّ، اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه، فأتحدّث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه، عليّ بن أُميّة، آخذ بيده ومعي أدراع قد استلبتها، فأنا أحملها فلما رآني قال لي: يا عبد عمرو، فلم أجِبْه، فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك فيّ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت نعم، ها الله ذا[2]. قال: فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ، أما لكم حاجة في اللبن؟ قال: ثم خرجت أمشي بهما[3].

قال ابن هشام: يريد باللبن، أنّ من أسرني افتديت منه بإبلٍ كثيرة اللبن.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥١، الأغاني ٤/١٩٤، ١٩٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩، الكامل في التاريخ ٢/١٢٨، عيون الأثر ١/٢٥٨

(٢) ما: حرف تنبيه، وذا: اسم اشارة يشير به الى نفسه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥١، ٤٥٢، الأغاني ٤/١٩٦، ١٩٧، عيون الأثر ١/٢٥٩

قـال ابن إسحاق: حـدّثني عبد الـواحـد بن أبي عَـون، عن سعـد بن إبراهيم، عن عبدالـرحمن بن عَوف، قـال: قال لي أُميّـة بن خَلَف، وأنا بينـه وبين ابنه، آخذ بأيديهما: يا عبدالإله، من الرجل منكم المُعْلِم بـريشة نَعـامةٍ في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبدالمطّلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبدالرحمن: فوالله إنّي لأقـودهما إذ رآه بـلال معي ـ وكان هـو الـذي يعذّب بـلالاً بمكة على تـرْك الإسلام، فيُخـرجـه إلى رَمْضـاء مكـة إذا حميَتْ، فيُضجِعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكـذا أو تفارق دِينَ محمـد، فيقول بـلال: أَحَد أحـد. قال: فلما رآه، قال رأس الكُفر أُميَّة بن خَلَف: لا نجوت إنْ نجا قـال: قلت: أي بلال، أبأسيري قال: لانجـوت إن نجا. قـال: قلت: أتسمع يـا بن السوداء، قـال: لانجوت إن نجـا. قال: ثم صـرخ بأعلى صـوته: يـا أنصار الله، رأس الكفر أُميّة بن خَلَف، لا نجوت إنْ نجا قال: قلت: أي بلال، أبأسيري قال: لانجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثـل المُسكة[1] وأنـا أذبّ عنـه. قال: فـأخلف[2] رجل السيف، فضـرب رجل ابنـه فوقـع، وصاح أُميّـة صيحة ما سمعت مثلها قطّ. قال: فقلت انج بنفسك ولا نجـاء بك، فـوالله ما أغني عنك شيئاً. قال فهبروهمـا[3] بأسيـافهم حتى فرِغـوا منهما. قـال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريّ[4].

الملائكة تشهد وقعة بـدر: **قال ابن إسحـاق**: وحدّثني عبـدالله بن أبي بكر أنه حدّث عن ابن عباس قال: حدّثني رجـل من بني غِفَار، قـال: أقبلت أنا وابن عمّ لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بـدر، ونحن مشركـان،

(١) المسكة: الحلقة.
(٢) أخلف: سلّ.
(٣) هبروهما: قطّعوهما.
(٤) تـاريخ الـطبري ٢/٤٥٢، ٤٥٣، الأغـاني ٤/١٩٧، ١٩٨، تاريخ الإسلام ٦٠، عيون الأثر ١/٢٥٩.

ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرَة[1]، فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حَمْحَمَة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدِمْ حَيْزوم[2]، فأما ابن عمّي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدراً، قال، بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشِعْب الذي خرجت منه الملائكة[4]، لا أشكّ فيه ولا أتمارى.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن رجال من بني مازن بن النّجّار، عن أبي داود المازنيّ، وكان شهِد بدراً، قال: إنّي لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن مِقْسَم، مولى عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن عباس، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حُنَين عمائم صفراء.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن مِقسم، عن ابن عباس، قال: ولم تقاتل الملائكة في يومٍ سوى بدرٍ من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومَدَداً لا يضربون[6].

---

(١) الدَّبْرة: الدائرة.

(٢) أقدم: كلمة تزجر بها الخيل. وحيزوم هو فرس جبريل عليه السلام.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٣، الأغاني ٤/١٩٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠، الكامل ٢/١٢٩، عيون الأثر/٢٦٠.

(٤) تاريخ الاسلام (المغازي)٦١، عيون الأثر/٢٦٠.

(٥) تاريخ الإسلام (المغازي)٦١، تاريخ الطبري ٢/٤٥٣، الكامل ٢/١٢٩.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٥٤، الأغاني ٤/١٩٩، تاريخ الاسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٦٠

مقتل أبي جهل: قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز، وهو يقاتل ويقول:

ما تنقِم الحربُ العَوانُ منّي   بازلُ عامَيْن حديثُ سنّي
لمثل هذا ولدتني أمّي[1]

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يوم بدر؛ أَحَد أحد.

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من عدوّه، أمر بأبي جهل أن يُلتَمس في القتلى.

وكان أوّل من لقي أبا جهل، كما حدّثني ثور بن يزيد، عن عِكرمة، عن ابن عباس، وعبدالله بن أبي بكر أيضاً، قد حدّثني ذلك قالا: قال مُعاذ ابن عمرو بن الجَمُوح، أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرَجة ـ قال ابن هشام: الحَرَجة: الشجر الملتفّ. وفي الحديث عن عمر ابن الخطّاب: أنه سأل أعرابيّاً عن الحَرَجة؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها ـ وهم يقولون: أبو الحَكَم لا يُخلَص إليه. قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنَّت قدمه[3] بنصف ساقه، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلّا بالنَّواة تطيح من تحت مِرْضخة النَّوَى[4] حين يُضرب بها. قال: وضربني ابنه عِكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلّقت بجلدة من جنْبي، وأجهضني[5] القتال عنه، فلقد قاتلت عامّة يومي، وإنّي لأسحَبُها خلفي، فلما آذتْني وضعت عليها

---

(١) الحرب العوان جمع عون: الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، والبازل من الإبل الذي خرج سنّه فهو في ذلك يصل لذروة مرحلة الشباب.
(٢) البدء والتاريخ ٤/ ١٩٠
(٣) أطنّت قدمه: أطارتها.
(٤) مِرْضخة النوى: التي يُدقّ بها النّوى. انظر: تاج العروس ٢٥٨/٧
(٥) أجهضني: غلبني.

قدمي، ثم تمطّيت بها عليها حتى طرحتها[1].

قالَ ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان.

ثم مرّ بأبي جهل وهو عقير[2]، مُعوّذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رَمَق. وقاتل مُعوّذ حتى قُتل، فمرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل، حين أمر رسول الله - ﷺ - أن يُلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - «انظروا - إنْ خفي عليكم في القتلى - إلى أثر جُرح في ركبته، فإنّي ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبدالله بن جُدعان، ونحن غلامان، وكنت أشفَّ منه بيسير، فدفعته فوقع على رُكبتيه، فجُحِش[3] في إحداهما جَحْشاً لم يزل أثره به. قال عبدالله بن مسعود: فوجدته بآخر رمقٍ فعرفته، فوضعت رِجلي على عُنُقه - قال: وقد كان ضبث بي مرّة بمكة، فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني أعْمَد من رجلٍ قتلتموه[4]، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله[5].

قال ابن هشام: ضَبَثَ: قبض عليه ولزِمه. قال ضابيء بن الحارث البُرْجُمّي:

فأصبحتُ مما كان بيني وبينكم ... من الودّ مثل الضابثِ الماءَ باليدِ

قال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجلٍ قتلتموه، أخبِرني لمن الدائرة اليوم؟

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٤، ٤٥٥، تاريخ الإسلام (المغازي)٦١، عيون الأثر ١/٢٦٠، ٢٦١.

(٢) عقير: مجروح.

(٣) جحش: خدش.

(٤) أي ليس علي عارٌ فلن أبعد أن أكون رجلاً قتله قومه. وأعمد: أي أشرف. (إرشاد الساري ٦/٢٤٩).

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٥٥، الأغاني ٤/٢٠١، ٢٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٦١

قال ابن إسحاق: وزعم رجال من بني مخزوم، أنّ ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رُوَيْعيَ الغنم قال: ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله ـ ﷺ ـ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل؛ قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «آلله الذي لا إله غيره» ـ قال: وكانت يمين رسول الله ـ ﷺ ـ قال قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ فحمدِ الله[1].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي: أنّ عمر بن الخطّاب قال لسعيد بن العاص، ومرّ به: إنّي أراك كأنّ في نفسك شيئاً، أراك تظنّ أنّي قتلت أباك، إنّي لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ولكنّي قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإنّي مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه[2] فَحِدْتُ عنه، وقصد له ابن عمّه عليّ فقتله.

حديث عكّاشة بن مِحْصَن: **قال ابن إسحاق**: وقاتل عُكّاشة بن مِحْصَن بن حرثان الأسديّ حليف بني عبد شمس بن عبد مَناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ فأعطاه جِذْلاً[3] من حطب، فقال: قاتل بهذا يا عُكّاشة، فلما أخذه من رسول الله ـ ﷺ ـ هزّه، فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتْن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمّى: العون. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ـ ﷺ ـ حتى قُتل في الرِّدّة، وهو عنده، قتله طُليحة بن خُوَيلد الأسدي[4]، فقال طُليحة في ذلك:

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٥، ٤٥٦، الأغاني ٤/٢٠١، البدء والتاريخ ٤/١٩١، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٦١

(٢) الروق: القرن.

(٣) الجذل: أصل الشجرة.

(٤) سير أعلام النبلاء ١/٣٠٨، سيرة ابن كثير ٢/٤٤٧ تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ١/٢٦٢.

فمـا ظنّكم بـالقـوم إذ تقـتلونـهم أَلَيْسُـوا وإنْ لم يُسْلِمُـوا بـرجـال
فـإنْ تـكُ أذاودُ أُصِـبْـن ونـسْـوةٌ فلن تَـذْهبـوا فِـرْغـاً بقَتْـل حِبـال[1]
نصبتُ لهم صـدرَ الحِمالـة إنّهـا مـعـاوِدةٌ قيـلَ الكُمـاة نَـزَال[2]
فيومـاً تـراهـا في الجِـلال مَصُـونـةً ويـومـاً تـراهـا غيـرَ ذات جِـلال[3]
عشيَّـةَ غـادرتُ ابنَ أقْـرم ثـاويـاً وعُكّـاشـة الغنميَّ عنـد حجـال

قال ابن هشام: حبال: ابن طُليحة[4] بن خُويلد. وابن أقرم: ثـابت بن أقرم الأنصاريّ.

قـال ابن إسحاق: وعُكّـاشة بن مِحْصَن الـذي قال لـرسـول الله ـ ﷺ ـ حين قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يـدخل الجنـة سبعون ألفـاً من أمّتي على صورة القمر ليلة البدر». قال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «إنّك منهم»، أو «اللّهّم اجعله منهم»، فقـام رجل من الأنصـار. فقـال: يـا رسـول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكّاشة وبردت الدعوة[5]».

وقـال رسـول الله ـ ﷺ ـ، فبمـا بلغنـا عن أهله: «منّـا خيـر فـارس في العرب»، قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عُكّاشة بن مِحْصَن، فقال ضِرار

---

(١) الأذواد: جمع ذَود ـ ما بين الثلاثة الى العشرة من الإبل. والفرغ: ألاّ يطلب بثأر الدم.
(٢) الحِمالة: اسم فرس. ونزال: اسم فعل أمر بمعنى انزل.
(٣) الجلال: ما يلبسه الفَرَس لصيانته.
(٤) هو ابن أخيه لا ابنه وهو: حبال بن مسلمة بن خُويلد.
(٥) بردت الدعوة: ثبتت. والحديث أخـرجه البخـاري في: بدء الخلق٨، والأنبيـاء ١، ومسلم في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. (٣٦٩) من طـريق يونس، عن ابن شهـاب قال: حـدثني سعيد بن المسيّب، ان أبـا هريـرة حدّثـه قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفـاً، تضيء وجوههم إضـاءة القمر ليلة البدر». قال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسديّ يـرفع نَمِـرة عليه فقـال: يا رسـول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقـال رسـول الله ﷺ: «اللّهم اجعله منهم»، ثـم قـام رجل من الأنصار فقال: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال رسـول الله ﷺ: سبقك بها عُكاشة».

ابن الأَزْوَر الأسديّ: ذاك رجل منّا يا رسول الله، قال: «ليس منكم ولكنه منّا للحلف».

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصِّدِّيق ابنَه عبدالرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبدالرحمن:

لم يبق غيرُ شِكَّة وَيَعبُوبْ وصارِمٌ يقتل ضُلاّلَ الشِّيبْ[1]

فيما ذُكر لي عن عبدالعزيز بن محمد الدَرَاوَرْديّ.

طَرْح المشركين في القَلِيب: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُبير، عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله - ﷺ - بالقتلى أن يُطرحوا في القَلِيب طُرحوا فيه، إلاّ ما كان من أُميَّة بن خَلَف، فإنه انتفخ في درْعه فملأها، فذهبوا ليحرّكوه، فتزايل لحمه، فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القَلِيب، وقف عليهم رسول الله - ﷺ - فقال: «يأهل القَلِيب. هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً». قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله. أتكلّم قوماً موتى؟ فقال لهم: «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حقّاً»[2].

قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلتُ لهم، وإنّما قال لهم رسول الله - ﷺ -: «لقد علموا».

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُميد الطويل، عن أَنَس بن مالك، قال: سمع أصحاب رسول الله - ﷺ -، رسول الله - ﷺ - من جوف الليل وهو يقول: «يا أهل القَلِيب، يا عُتبة بن ربيعة، ويا شَيبة بن ربيعة، ويا أُميّة بن خَلَف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم في القَلِيب: هل وجدتم ما وعد ربُكم حقّاً؛ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً؟ فقال المسلمون: يا

---

(١) الشِّكة: السلاح. واليعبوب: الفرس الكثير الجري.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٦، الأغاني ٤/٢٠١، ٢٠٢، تاريخ الإسلام (المغازي)، الكامل ١٢٩/٢

رسول الله، أتنادي قوماً قد جيّفوا؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله - ﷺ - قال يوم هذه المقال: «يا أهل القَلِيب، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم، كذّبتموني وصدّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس»، ثم قال: «هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقّاً؟ للمقالة التي قال[2].

شعر حسّان في ذلك: قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت:

عرفتُ ديارَ زينب بالكَثِيب ... كخَطِّ الوَحْي في الوَرَق القَشيبِ
تَدَاوَلُها الرياحُ وكلّ جَوْن ... من الوَسْمِيّ[3] مُنْهمرٍ سكوب
فأمسى رسْمُها خَلقاً وأمسَتْ ... يَباباً بعد ساكِنها الحَبيب
فدعْ عنك التَّذَكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارة الصَّدْر الكَئِيب
وخبِّر بالذي لا عيبَ فيه ... بصِدْق غيرِ إخبْار الكَذُوب
بما صنَع المليك غداةَ بدْرٍ ... لنا في المُشْركين من النَّصيب
غداةَ كأنّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بدَت أركانُه جُنْحَ الغُروب
فلاقيناهُمُ منّا بجَمْع ... كأُسْد الغابِ مُردانٍ وشِيب
أمام محمّد قد وازَرُوه ... على الأعداء في لَفْح الحُرُوب
بأيدِيهم صوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... وكلُّ مجرَّب خاظي[4] الكُعوب
بنُو الأَوْس الغَطارفُ وازرَتْها ... بنو النجّار في الدّين الصّليب[5]
فغادَرْنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعُتبةَ قد تركنا بالجَبُوب[6]

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٦، ٤٥٧، الأغاني ٤/٢٠٢، الكامل ٢/١٢٩
(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٧
(٣) الوسميّ: مطر الخريف.
(٤) الخاظي: المكتنز.
(٥) الغطارف: السادة، والصّليب: القوي.
(٦) الجبوب: وجه الأرض.

وشيبةَ قد تركْنا في رجالٍ ذوي حَسَبٍ إذا نُسِبوا حَسيب
يُناديهم رسولُ الله لمّا قَذَفْناهم كباكِبَ[1] في القَلِيب
أَلم تجدوُا كلامي كان حقّاً وأمرُ الله يأخذُ بالقلوب؟
فما نَطَقُوا، ولو نَطَقُوا لقالوا: صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيب[2]

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يُلْقوا في القَلِيب، أخذ عُتبة بن ربيعة، فسُحِب إلى القَلِيب، فنظر رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ في وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة، فإذا هو كئيب قد تغيّر لونه، قال: «يا أبا حُذيفة، لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء»؟ أو كما قال ﷺ؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنّني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله ـ ﷺ ـ بخير، وقال له خيراً[3].

الفتية الذين نزل فيهم ﴿إنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلمَلاَئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنْفُسِهِمْ﴾:
وكان الفتية الذين قُتلوا ببدر، فنزل فيهم من القرآن، فيما ذكر لنا: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلمَلاَئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِيٓ ٱلأَرْضِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيهَا، فَأُوْلٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾**[4] فتيةً مسمَّين. من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: الحارث بن زَمعة بن الأسود بن عبد المطّلب بن أسد.

ومن بني مخزوم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

---

(١) الكباكب: الجماعات.
(٢) في البدء والتاريخ ١٩٢/٤ بيتان فقط.
(٣) تاريخ الطبري ٤٥٧/٢، الكامل في التاريخ ١٢٩/٢، ١٣٠، عيون الأثر ٢٦٤/١.
(٤) سورة النساء ـ الآية ٩٧

ومن بني جُمَح: عليّ بن أُميّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمح.

ومن بني سهم: العاص بن منبّه بن الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم.

وذلك أنهم كانوا أسلموا، ورسول الله - ﷺ - بمكة، فلما هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا بها جميعاً.

فَيْء بدر: ثم إنّ رسول الله - ﷺ - أمر بما في العسكر، مما جمع الناس، فجُمِع، فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدّو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القومَ حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله - ﷺ - مخافة أن يخالف إليه العدّو: والله ما أنتم بأحقّ به منّا، والله لقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ مَنَحَنا الله تعالى أكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكنّا خفنا على رسول الله - ﷺ - كرَّة العدوّ، فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ به منّا[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أُمامة الباهليّ - واسمه صدَيّ بن عَجْلان فيما قال ابن هشام - قال: سألت عُبادة بن الصامت عن الأنفال؛ فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفْل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله، فقسّمه رسول الله - ﷺ - بين المسلين عن بَوَاء. يقول: على السواء[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٧، ٤٥٨، الأغاني ٤/٢٠٢، ٢٠٣، عيون الأثر ١/٢٦٤

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨، الكامل في التاريخ ٢/١٣٠، عيون الأثر ١/٢٦٤

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: حدّثني بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد الساعديّ مالك بن ربيعة، قال: أصبت سيف بني عائذ المخزوميّين الذي يُسمّى المرزبان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يردّوا ما في أيديهم من النفْل، أقبلت حتى ألقيته في النفْل. قال: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يمنع شيئاً سُئِله، فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله ـ ﷺ ـ، فأعطاه إيّاه.

بشرى الفتح: قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ـ ﷺ ـ عند الفتح عبدالله بن رواحة بشيراً الى أهل العالية، بما فتح الله عزّ وجلّ على رسوله ـ ﷺ ـ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر ـ حين سوّينا التراب على رُقَيّة ابنة رسول الله ـ ﷺ ـ، التي كانت عند عثمان بن عفان. كان رسول الله ـ ﷺ ـ خلّفني عليها مع عثمان ـ أنَّ زيد بن حارثة قد قدِم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غشِيه الناس، وهو يقول: قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزَمَعة بن الأسود، وأبو البَخْتَرِيّ العاص بن هشام، وأُميّة بن خَلَف، ونُبيه ومنبّه ابنا الحَجّاج. قال: قلت: يا أبت، أحقّ هَذا؟ قال: نعم، والله يا بُنيّ[1].

الرجوع إلى المدينة: ثم أقبل رسول الله ـ ﷺ ـ قافلاً إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيط، والنضْر بن الحارث، واحتمل رسول الله ـ ﷺ ـ معه النفْل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجّار؛ فقال راجز من المسلمين ـ قال ابن هشام: يقال: إنه عدِيّ بن أبي الزغباء:

أقِمْ لها صُدورَها يا بَسْبَسُ ... ليس بذي الطَّلْح لها مُعرَّسُ

---

(١) تاريخ الطبري ٤٥٨/٢

ولا بـصـحــراء غُـمَـيْرٍ مَــحْبس   إنّ مــطايــا الـقــوم ِ لا تُـخــيَّس[1]
فـحمْـلُهــا عــلى الـطّريـق أكْـيَس   قــد نــصــر الله وفـرّ الأخــنس[2]

ثم أقبل رسول الله - ﷺ - حتى إذا خرج من مضيق الصَّفراء نـزل على كثيب بين المضيق وبين النازية - يقال له: سَيَر - إلى سَرْحةٍ به. فقسّم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء[3].

ثم ارتحـل رسول الله - ﷺ -، حتى إذا كـان بالـرَّوْحاء لقيـه المسلمون يهنّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، ويزيد بن رُومان -: مـا الذي تهنّئـوننا به؟ فوالله إنْ لقِينا إلاّ عجائزَ صُلْعاً كالبُدْن المَعقَّلة، فنحـرناهـا، فتبسّم رسول الله - ﷺ - ثم قال: «أي ابن أخي، أولئك الملأ»!![4].

قال ابن هشام: الملأ: الأشراف والرؤساء.

مقتل النضْر وعُقبة: قال ابن إسحـاق: حتى إذا كان رسـول الله - ﷺ - بـالصفراء قُتـل النضر بن الحـارث، قتله عليّ بن أبي طالب، كمـا أخبـرني بعض أهل العلم من أهل مكة.

قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بعِرق الظّبية قتل عُقبـة بن أبي مُعَيط.

قال ابن هشام: عِرْق الظّبية عن غير ابن إسحاق.

قـال ابن إسحـاق: والـذي أسـر عُقبـة: عبـدالله بن سلمــة أحـد بني العَجْلان.

---

(١) لا تُخَيَّس: لا تُحبس
(٢) أنظر أنساب الأشراف ١/٢٩١
(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٨
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، الكامل في التاريخ ٢/١٣٠.

قال ابن إسحاق: فقال عُقبة حين أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بقتله: فمن للصِّبْية يا محمد؟ قال: «النار». فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ، أخو بني عمرو بن عوف، كما حدّثني أبو عُبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر.

قال ابن هشام: ويقال قتله عليّ بن أبي طالب[1] فيما ذكر لي ابن شهاب الزُهْرِيّ وغيره من أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ولقي رسول الله ـ ﷺ ـ بذلك الموضع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضي بحَمِيت مملوء حيساً[2].

قال ابن هشام: الحَمِيت: الزّقّ، وكان قد تخلّف عن بدر، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ، وهو كان حجّامَ رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: إنّما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكِحوه، وأنكِحوا إليه، ففعلوا[3].

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ـ ﷺ ـ حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر، أنّ يحيى بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن أسعد بن زُرَارة، قال: قدِم بالأسارى حين قدِم بهم، وسَوْدة بنت زَمَعة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ عند آل عفراء، في مَناحتهم على عوف ومُعوِّذ ابني عَفراء، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب[4].

قال: تقول سَودة: والله إنّي لَعندهم إذا أتينا، فقيل: هؤلاء الأساري، قد أُتي بهم. قالت: فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ـ ﷺ ـ فيه، وإذا أبو يزيد

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، الأغاني ٤/٢٠٣، الكامل ٢/١٣٠

(٢) الحَيْس: السمن يُخلط بالتمر والدقيق ويُعجن.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٩، ٤٦٠

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٠

سُهيل بن عمرو في ناحية الحجرة، مجموعةٌ يداه إلى عُنُقه بحبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد: أعطيتم بأيديكم، أو مُتُّم كراماً، فوالله ما أنبهني إلاّ قول رسول الله - ﷺ - من البيت؛ «يا سَوْدة، أعَلَى الله ورسوله تحرّضين»؟! قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عُنُقه أن قلت ما قلت[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نُبيه بن وهْب، أخو بني عبدالدار. أنّ رسول الله - ﷺ - حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه، وقال: «استوصوا بالأسارى خيراً». قال: وكان أبو عزيز بن عُمير بن هاشم، أخو مُصْعَب بن عُمير لأبيه وأمه في الأسارى[2].

قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مُصعَب بن عُمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدّ يديك به، فإنّ أمه ذات متاع، لعلّها تفديه منك، قال وكنت في رهْط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله - ﷺ - إيّاهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسْرة خبز إلاّ نفحني بها. قال: فأستحيي فأردّها على أحدهم، فيردّها عليَّ ما يمسّها[3].

بلوغ مصاب قريش في رجالها الى مكة: قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مُصعب بن عُمير لأبي اليسر، وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصيتك بي، فقال له مُصْعب: إنه أخي دونك. فسألت أمّه عن أغلى ما فُدي به قُرَشيّ، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم، ففَدَتْه بها.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٠، الأغاني ٤/٢٠٤، الكامل في التاريخ ٢/١٣١

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٦٠، تاريخ الإسلام (المغازي)

(٣) تاريخ الطبري ٢/٢٦٠، ٤٦١

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدِم مكة بمُصاب قريش الحيسُمان بن عبدالله الخُزاعيّ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأميّة بن خَلَف، وزَمَعة بن الأسود، ونُبيه ومنبّه ابنا الحَجّاج، وأبو البَخْترِيّ بن هشام، فلما جعل يعدّد أشراف قريش؛ قال صفوان بن أُميَّة، وهو قاعد في الحجْر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عني؛ فقالوا: ما فعل صفوان بن أُميّة؟ قال: ها هو ذاك جالساً في الحجْر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُسين بن عبدالله بن عُبيد الله بن عباس، عن عِكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله - ﷺ -: كنت غلاماً للعباس بن عبدالمُطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلّف رجل إلاّ بعث مكانه رجلاً، فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش، كَبَتَهُ الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً. قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل الأقداح. أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إنّي لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رِجْليه بشَرّ، حتى جلس على طنب الحُجْرة[2]، فكان ظهره إلى ظهري؛ فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان ابن الحارث بن عبدالمطّلب - قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة - قد قدِم قال: فقال أبو لهب: هلُمّ إليّ، فعندك لَعَمْري الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرْني كيف

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦١، الكامل في التاريخ ٢/١٣١، عيون الأثر ١/٢٦٦

(٢) طنب الحجرة: طرفها.

كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلّا أنْ لقِينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايْم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بِيضاً، على خيل بُلق، بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً[1]، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة؛ قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة. قال: وثاورته[2] فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة، فأخذته فضربته فلعت[3] في رأسه شجّة مُنْكَرة، وقالت: استضعفته أنْ غاب عنه سيّده؟ فقام مولّياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلّا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة[4] فقتلته[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابَه، فيشمتوا بكم؛ ولا تبعثوا في أسْراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب[6] عليكم محمد وأصحابه في الفداء[7].

قال: وكان الأسود بن المطّلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زَمَعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زَمَعة، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له: وقد ذهب بصره: أنظر هل أحلّ النَّحْب؛ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة، يعني زَمَعة، فإنّ جوفي قد احترق. قال: فلما رجع إليه الغلام

---

(١) لا تبقي شيئاً.

(٢) ثاورته: وثبت اليه.

(٣) لعت: شقت.

(٤) العدسة: بثرة خطرة تخرج في الجسم تشبه الطاعون تقتل صاحبها سريعاً.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، الأغاني ٤/٢٠٥، عيون الأثر ١/٢٦٦، ٢٦٧

(٦) أي تأخّروا في فداء أسْراكم حتى لا يشتدّ عليكم في الفداء.

(٧) تاريخ الطبري ٢/٤٦٣، الأغاني ٤/٢٠٦، عيون الأثر ١/٢٦٧

قال: إنما هي امرأة تبكي على بعِيرٍ لها أضلَّته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أتبكي أن يضِلَّ لها بعيرٌ ... ويمنعُها من النَّوْم السُّهودُ
فلا تبكي على بَكْرٍ[1] ولكنْ ... على بدرٍ تقاصَرَتِ الجُدُودُ
على بدرٍ سَراةِ بني هُصَيْصٍ ... ومخزومٍ ورهْطِ أبي الوليدِ
وبكّي إنْ بَكيتِ على عَقِيلٍ ... وبكّي حارثاً أسَدَ الأُسُود
وبكّيهمْ ولا تَسَمي جميعاً ... وما لأبي حكيمَةَ من نَدِيد[2]
ألا قد ساد بعدهُمُ رجالٌ ... ولولا يومُ بدرٍ لم يَسُودُوا

قال ابن هشام: هذا إقواء، وهي مشهورة من أشعارهم، وهي عندنا إكفاء[3]. وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا[4].

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبَيرة السَّهْمِيّ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ له بمكة ابناً كيِّساً تاجراً ذا مال، وكأنّكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه»؛ فلما قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أُسْرائكم، لا يأرِب عليكم محمد وأصحابه، قال المطّلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسولاً لله ﷺ عنَى -: «صدقتم، لاتَعْجَلُوا»، وانسلّ من الليل فقدِم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به[5].

فداء سهيل بن عمرو: قال؛ ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدِم مِكْرَز بن حفص بن الأخْيف في فداء سُهيل بن عَمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بني سالم بن عوف، فقال:

---

(١) البَكْر: الفتى من الإبل

(٢) تسَمَى: تسأمي. والنديد: الشبيه.

(٣) الإقواء والإكفاء: عيوب في قافية الشعر.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٤، الكامل في التاريخ ٢/١٣٢، المغازدي للواقدي ١/١٢٣، ١٢٤، نسب قريش ٢١٩.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٤، ٤٦٥، الاغاني ٤/٢٥٨، عيون الأثر ١/٢٦٨

أســرتُ سُــهيــلاً فــلا أبــتـغــي أسيــراً بــه من جـمـيــعِ الأمـم
وخِــنْــدَفُ تــعــلـمُ أنّ الــفــتــى فــتــاهــا سُــهــيــل إذا يــظلم
ضــربتُ بِــذِي الشَّفْــر حتى انثنَى وأكــرهْتُ نفسي عـلى ذي العـلم[1]

وكان سهيل رجلاً أَعْلَمَ من شفته السفلى[2].

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعـر يُنكر هـذا الشِعر لمـالك بن الدُّخْشُم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عَمرو بن عطاء، أخو بني عامـر بن لُؤَيّ: أنّ عمر بن الخطّاب قال لرسول الله ﷺ: يارسول الله، دعني أنزع ثَنِيَّتَيْ سهيل بن عمرو، ويَـدْلَعُ[3] لسانـه، فلا يقـوم عليك خـطيباً في مـوطن أبداً؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً»[4].

قـال ابن إسحـاق: وقـد بلغني أنّ رسـول الله ﷺ قـال لعمـر في هــذا الحديث: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه».

قـال ابن هشام: وسـأذكر حـديث ذلك المقـام في موضعـه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: فلمـا قاولهـم فيـه مِكْرز وانتهى إلى رضـاهم، قالـوا: هـاتِ الـذي لنـا، قـال: اجعلوا رِجلي مكـان رجْله، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفـدائه، فخلّوا سبيـل سُهيل، وحبسـوا مِكْرزاً مكـانه عنـدهم[5]، فقـال مِكْرز:

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٠٣

(٢) الأعلم: مشقـوق الشفة العليـا وليس السفلى. والخبر في تـاريخ الـطبري ٢/٤٦٥، الأغـاني ٤/٢٠٨، ٢٠٩

(٣) يدلع: يخرج.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٥

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٥

فـديتُ بـأذوادٍ ثَمـانٍ[1] سِبـا فتىً ... ينـالُ الصميمَ غُـرمُهـا لا المَـواليـا

رهنتُ يـدي والمالُ أيسَـرُ من يـدي ... عليّ ولكـنّي خشِيتُ المَـخَـازيـا

وقلتُ سُهيـلٌ خَيـرُنـا فـاذْهَبُـوا بـه ... لأبنـائنـا حتى نُـدِيـر[2] الأمـانيـا[3]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكر هذا لمِكْرز.

أسر عمرو بن أبي سفيـان: **قال ابن إسحـاق**: وحدّثني عبـدالله بن أبي بكـر، قال: كـان عمرو بن أبي سفيـان بن حـرب، وكان لبنت عُقبة بن أبي مُعَيط ـ قال ابن هشام: أم عمـرو بن أبي سفيان بنت أبي عمـرو، وأخت أبي مُعيط بن أبي عمرو ـ أسيراً في يدي رسول الله ﷺ، من أسرى بدر.

قال ابن هشام: أسره عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: فقيل لأبي سفيان: افدِ عمراً ابنك؛ قال: أيجمع عليَّ دمي ومالي؟! اقتلوا حنظلة، وأفدي عمراً! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم.

قال: فبينما هو كذلك، محبوس بالمدينـة عند رسول الله ﷺ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكّال، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مُريّة[4] له، وكان شيخاً مسلماً، في غنم له بالنقيع[5]، فخرج من هنالـك معتمِـراً، ولا يخشى الذي صنـع به، لم يـظنّ أنـه يُحبس بمكـة، إنمـا جـاء معتمِراً. وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجّاً أو معتمراً إلاّ بخير؛ فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان:

---

(١) في نسب قريش «كرام».

(٢) في نسب قريش: «يديروا».

(٣) هـذا البيت والبيت الأول في معجم الشعراء للمـرزباني، وفي نسب قـريش ٤١٧، والإصـابـة (الترجمة) ٨١٨٩ مع اختلاف الألفاظ.

(٤) مُريّة: تصغير أمرأة.

(٥) موضع قرب المدينة.

أَرَهْطَ ابنِ أَكَّالٍ أجيبُوا دُعاءه ... تعاقدتمُ لا تُسلِموا السّيِّد الكَهلا
فإنّ بني عمروٍ لئامٌ أذِلَّةٌ ... لئنْ لم يَفُكُّوا عن أسيرهِمُ الكَبْلا[1]

فأجابه حسّان بن ثابت فقال:

لو كان سعدُ يومَ مكّةَ مُطْلقاً ... لأكثَرَ فيكمْ قبلَ أن يُؤْسَرَ القَتْلا
بعَضْب حُسامٍ أو بصفراءَ نَبعةٍ ... تحنّ إذا ما أُنبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلا[2]

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ. فبعثوا به إلى أبي سفيان. فخلّى سبيل سعد[3].

قصّة زينب بنت الرسول وزوجها أبي العاص: قال ابن إسحاق: وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبدالعُزّى بن عبدشمس، خَتَن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب.

قال ابن هشام: أسره خِراش بن الصّمّة، أحد بني حَرام.

قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين، مالاً، وأمانة، وتجارة، وكان لهالة بنت خُويلد، وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسولَ الله ﷺ أن يزوّجه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوّجه، وكانت تعدّه بمنزلة ولدها. فلما أكرم الله رسول الله ﷺ بنبوَّته آمنت به خديجة وبناته، فصدّقته، وشهدن أن ما جاء به الحقّ، ودنّ بدِينه، وثبت أبو العاص على شِرْكه[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٧، أنساب الأشراف ١/٣٠١، الكامل في التاريخ ٢/١٣٣، عيون الأثر ١/٢٦٨

(٢) العضب: السيف القاطع، والصفراء النبعة: القوس المصنوعة من شجرة النبع. وتحن: يصوت وترها. وأنبضت: تحرك وتر القوس استعداداً للانطلاق. وتحفز النبلا: ترميه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٤٦٧، الكامل في التاريخ ٢/ ١٣٣

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٦٧، الكامل في التاريخ ٢/١٣٤

وكان رسول الله ﷺ قد زوّج عُتبة بن أبي لهب رُقَيَّة، أو أمّ كلثوم[1].

فلما بادى قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرغتم محمداً من همّه، فردّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارقْ صاحبتك ونحن نزوّجك أي امرأة من قريش شئت؛ قال: لا والله، إنّي لا أفارق صاحبتي، وما أحبّ أنّ لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره خيراً، فيما بلغني. ثم مشوا إلى عُتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلّق بنت محمد ونحن نُنْكِحك أي امرأة من قريش شئت؛ فقال: إنْ زوّجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها، فزوّجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن أُدخِل بها؛ فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهواناً له، وخَلف عليها عثمان بن عفان بعده[2].

وكان رسول الله ﷺ لا يحلّ بمكة ولا يحرّم، مغلوباً على أمره؛ وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع، إلاّ أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما صارت قريش إلى بدر، سار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله - ﷺ - في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها

---

(١) كانت رُقية بنت رسول الله ﷺ تحت عُتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تحت عُتيبة، فطلّقاهما بعزم أبيهما وأمّهما حين نزلت. ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فأما عُتيبة فدعا عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يسلّط الله عليه كلباً من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم نيام حوله، وأما عُتبة ومُعتّب ابنا أبي لهب، فأسلما ولهما عقِب. (الروض الأنف ٣/٦٨)

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٦٨

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٦٨.

كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها؛ قالت: فلما رآها رسول الله ـ ﷺ رقّ لها رقّة شديدة وقال: «إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا»؛ فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها[1].

خروج زينب إلى المدينة

قال: وكان رسول الله ـ ﷺ قد أخذ عليه، أو وعد رسول الله ـ ﷺ ذلك، أن يخلّي سبيلَ زينب، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ـ ﷺ فيُعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلّى سبيله، بعث رسول الله ـ ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا ببطن يأجَج حتى تمرّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها. فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه[2]، فلما قدِم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهّز[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر، قال: حُدّثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهّز بمكة للّحوق بأبي لقيتني هند بنت عُتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمّي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بمال تتبلّغين به إلى أبيك، فإنّ عندي حاجتك، فلا تضطني[4] منّي، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكنّي خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهّزت[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٨، الكامل في التاريخ ٢/١٣٤.

(٢) شيعة؛ قريب منه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٦٩، الكامل ٢/١٣٤.

(٤) أي لا تستحي.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٦٩.

فلما فرغت بنت رسول الله ـ ﷺ من جهازها قدّم لهـا حَمْوُهـا كِنانـة بن الربيع أخو زوجها بعيراً، فركِبته، وأخذ قوسه وكِنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودج لها. وتحدّث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركـوهـا بـذي طـوَى، فكـان أول من سبق إليهـا هبّـار بن الأسـود بن المـطّلب بن أسد بن عبـدالعُزَّى، والفهـريّ، فروّعهـا هبّار بـالـرمـح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً ـ فيما يزعمون ـ فلما ريعت طرحت ذا بطنها[1]، وبرك حموُها كِنانة، ونثر كِنانته، ثم قـال: والله لا يدنـو منّي رجل إلاّ وضعت فيه سهماً، فتكركر[2] النـاس عنه. وأتى أبـو سفيان في جِلّة من قـريش فقال: أيها الرجل، كفّ عنّا نَبْلك حتى نكلّمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقَف عليه، فقال: إنك لم تُصِب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مُصيبتنا ونَكبتنا، وما دخـل علينا من محمـد، فيظنّ النـاس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، أنّ ذلـك عن ذلٍّ أصابنـا عن مصيبتنا التي كانت، وأنّ ذلـك منّا ضعف ووهن، ولَعَمـري مالنـا بحبْسها عن أبيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثؤرة[3]، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدّث الناس أنْ قد ردَدناها، فسُلَّها سرّاً، وألحقها بأبيها، قـال: ففعل. فـأقامت ليـالي، حتى إذا هدأت الأصـوات خرج بهـا ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ـ ﷺ[4].

قـال ابن إسحاق: فقـال عبدالله بن رواحـة: أو أبـو خيثمـة، أخـو بني سـالم بن عـوف، في الـذي كـان من أمـر زينب ـ قـال ابن هشـام: هي لأبي خيثمة ـ:

أتـاني الـذي لا يُقـدِرُ النّـاسُ قَـدَرَه   لـِزينَب فيهـم من عُـقـوق ومـأثـمِ

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تكركر: رجع.

(٣) الثؤرة: طلب الثأر.

(٤) الطبري ٢/٤٧٠.

وإخـــراجُهـــا لم يُخْـــزَ فيـهـــا محمـــد		عــلى مَـــأقِط وبيننـــا عِـــطْر مَنْشَم[1]
وأمسى أبو سُفيان من حِلفِ ضَمْضَم		ومِنْ حـــرْبنـــا في رغم أنفٍ وَمَنْـــدَم
قَــرَنَّـــا ابنَـــه عَمْـــرا وَمَـــوْلى يمينـــه		بـــذي حَلَقٍ جَلْد الصَّلاصـل مُحْكم[2]
فـــأقسمتُ لا تَنْفَـــك منّـــا كـتـــائبُ		سُراةُ خَمِـــيسٍ في لُهـــام مُـــسَـــوَّم[3]
نـــزوعَ قـــريشَ الكفـــرَ حتى نَعُلَّهـــا[4]		بخـــاطمـــةٍ فـــوق الأُنـــوف بمِيسَـــم
نُـنَـــزِّلهـــم أكْـنـــاف نـــجـــدٍ ونَـخْـلة		وإنْ يُتْهِمـــوا بالخيـــل والرَّجْـــل نُتْهِم[5]
يَدَ الدَّهْـرِ حتى لا يُعـوَّج سِـرْبُنـا[6]		ونُـلْحِـقـهـم آثـــار عـــادٍ وجُـــرْهُـــم
ويـنـــدمَ قـــومٌ لم يُـــطيعـــوا محمـــداً		عـــلى أمـــرهـــم وأيّ حـــيـــن تَـــنَـــدُّم
فـــابلِغْ أبـــا سُفـيـــان إمّـــا لقِـيتـــه		لئن أنت لم تُخـلِصْ سجـــوداً وتُـسْلم
فـــأبشِرْ بخـــزيٍ في الحيـــاة مُعَجَّـــل		وسِرْبـــال قـــارٍ خـــالـــداً في جـهـنّـم

قال ابن هشام: ويُروَى: وسِربال نار.

قـال ابن إسحـاق: ومـولى يمين أبي سفيـان، الـذي يعني: عـامـر بن الحضرميّ: كان في الأسارى، وكان حلف الحضْرميّ إلى حرب بن أُميّة.

قـــال ابن هشـام: مـــولى يمين أبي سفيـــان، الـــذي يعني: عُقبـــة بن عبدالحارث بن الحضْرميّ، فأما عامر بن الحضرميّ فقُتل يوم بدر.

ولمـا انصرف الـذين خرجـوا إلى زينب لقِيَتْهم هند بنت عُتبـة. فقـالت لهم:

---

(١) المأقِط: معترك الحرب ومَنْشَم: امرأة كانت تبيع العطر فتحالف قوم على الموت في قتال عدوّهم وغمسوا أيديهم في عطرها فماتوا جميعاً فضرُب به المثل في الشؤم.
(٢) ذي حَلَق: السلاسل. والصلاصل: صوت الحديد.
(٣) السرّاة: السادة. والخميس: الجيش. واللُهام: الكثير. والمسوَّم: المعلم.
(٤) نزوع: نسوق. نَعُلّها: نعيد عليهم الكَرَّة.
(٥) الأكناف: النواحي. نجد ما ارتفـع من أرض الحجار. ونخلة مـوضع قـريب من مكة وأُتْهم: أتى تِهامة وهي ما انخفض من أرض الحجاز.
(٦) يد الدهر: أي أبد الدهر. والسِرب: الطريق.

أفـي السِّـلْم أعيــارٌ جَـفــاءً وغِلْظةً وفي الحرب أشْباهُ النساء العوارِكِ[1]

وقال كِنانة بن الربيع في أمر زينب، حين دفعها إلى الرجلين:

عـجِبْتُ لهَـبّـار وأَوْبــاش قــوْمــه يُــريــدون إخفــاري ببنت محمَّــد
ولستُ أُبــالي مـا حَيِيتُ عــديـدَهم ومـا استجمعتْ قبضاً يـدي بالمُهَنَّـد

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيـد بن أبي حبيب، عن بُكير بن عبـدالله بن الأشـجّ، عن سليمان بن يَسـار، عن أبي إسحاق الـدَّوْسي. عن أبي هريـرة. قـال: بعث رسول الله ـ ﷺ سـريّة أنـا فيها. فقـال لنـا: إن ظفـرتم بهبّـار بن الأسـود، أو الرجـل الآخر الـذي سبق معه إلى زينب ـ قـال ابن هشام: وقـد سمّى ابن إسحاق الرجل في حديثه وقال: هو نافع بن عبد قيس ـ فحـرِّقوهمـا بالنار: قال؛ فلما كان الغد بعث إلينا. فقال: إنّي كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما. ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنّـار إلا الله. فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما.

إسلام أبي العاص بن الربيع[2]

قــال ابن إسحـاق: وأقــام أبـو العــاص بمكـة. وأقــامت زينب عنـد رسـول الله ـ ﷺ ـ بالمـدينة. حين فـرّق بينهما الإسـلام. حتى إذا كـان قُبيـل الفتـح، خرج أبـو العاص تـاجراً إلى الشـام، وكان رجـلًا مأمـوناً، بمـالٍ لـه وأموالٍ لرجالٍ من قريش، أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارتـه وأقبل قـافلاً، لقِيته سريّة لرسول الله ـ ﷺ ـ فأصابوا ما معه، وأعجـزهم هاربـاً، فلما قـدِمت السـريّة بمـا أصابـوا من مالـه، أقبل أبـو العاص تحت الليـل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ، فاستجار بها، فـأجارتـه، وجاء في طلب مـاله،

(١) الأعيار؛ الحمير. والعوارك: الحيّض.

(٢) أنـظر عنه: نسب قـريش ٢٣٠، ٢٣١، تاريـخ خليفة ١١٩، مشـاهير علماء الأمصـار (ترجمة ١٥٦)، الاستيعـاب ١٢/٢٤، أسـد الغـابـة ٦/١٨٥، تهـذيب الأسماء واللغـات ٢/٢٤٨، ٢٤٩، العـبر ١/٥، سير أعـلام النبلاء ١/٣٣٠، مجمـع الزوائـد ٩/٣٧٩، والعقـد الثميـن ٧/١١٠ و٨/٦١، الإصابة ١١/٢٣١.

فلما خرج رسول الله ـ ﷺ إلى الصبح ـ كما حدّثني يزيد بن رُومان ـ فكبّر وكبّر الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيّها الناس، إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال: فلما سلّم رسول الله ـ ﷺ ـ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس! هل سمعتم ما سمعت»؟ قالوا: نعم؛ قال: «والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيءٍ من ذلك حتى سمعت ما سمعت، إنه يجير على المسلمين أدناهم». ثم انصرف رسول الله ـ ﷺ ـ، فدخل على ابنته، فقال: «أي بُنَية، أكرِمي مثواه، ولا يخلصنّ إليك، فإنّك لا تحلّين له»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إنّ هذا الرجل منّا حيث قد علِمتم، أصبتم له مالاً، فإن تُحسِنوا وتردّوا عليه الذي له، فإنّا نحبّ ذلك، وإنْ أبيتم فهو فَيْء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إنّ الرجل ليأتي بالدّلْو، ويأتي الرجل بالشّنَّة وبالإداوة[2] حتى إنّ أحدهم ليأتي بالشظاظ[3]، حتى ردّوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً. ثم احتمله إلى مكة، فأدّى إلى كلّ ذي مالٍ من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلاّ تخوّفي أن تظنّوا أنّي أردت أن آكل أموالكم، فلما أدّاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدِم على رسول الله ـ ﷺ[4] ـ.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٧٠، ٤٧١، الطبقات الكبرى ٨/٣٢ و٣٣.
(٢) الشنّة: السقاء البالي، والإداوة: الإناء الصغير من الجلد.
(٣) الشظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الكيس، والجمع: أشظة.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٧١، «الطبقات الكبرى» ٨/٣٣.

قال ابن إسحاق: وحدّثني داود بن الحُصَين، عن عِكرِمة، عن ابن عباس قال: ردّ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ زينب على النكاح الأول لم يُحدِث شيئاً[1] بعد ستّ سنين[2].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ أبا العاص بن الربيع لما قدِم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

قال ابن هشام: وحدّثني عبدالوارث بن سعيد التنوري، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبيّ، بنحوٍ من حديث أبي عُبيدة عن أبي العاص.

قال ابن إسحاق: فكان ممن سمّي لنا من الأسارى ممن مَنّ عليه بغير فداء، من بني عبد شمس بن عبد مَناف: أبو العاص بن الربيع بن عبدالعُزّى بن عبد شمس، مَنَّ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ بفدائه. ومن بني مخزوم بن يقظة: المطّلب بن حَنطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم، كان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فتُرك في أيديهم حتى خلّوا سبيله. فلحِق بقومه.

---

(١) ويعارضه حديث عمرو بن شعيب أنه ردّها عليه بنكاح جديد، ويمكن الجمع بينهما أنه ردّها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلاً.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٧٢، الطبقات الكبرى ٨/٣٣ المحبّر ٥٣، والخبر بطوله أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢٣٦، ٢٣٧. أما حديث ابن عباس فأخرجه أبو داود (٢٢٤٠) في الطلاق، باب: إلى متى ترد عليه زوجته إذا أسلم، والترمذي في النكاح (١١٤٣) باب: ما جاء في الزوجين المشركين يُسلم أحدهما. وابن ماجه في النكاح (٢٠٩) باب: الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر، والدار قطني، صفحة ٣٩٦، والحاكم في المستدرك ٣/٦٣٨، ٦٣٩ بالسند عن ابن إسحاق، وفيه داود وهو لينّ، وما رواه عن عكرمة منكر، لكن للحديث شواهد مرسلة صحيحة، عن عامر، وقتادة وعكرمة بن خالد أخرجها ابن سعد في طبقاته ٨/٣٣، وعبد الرزاق في المصنّف (١٢٦٤٧) والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢/١٤٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٣٣٢ ـ ٣٣٤ وأخرجه ابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ (بتحقيقنا) ٧٠، ٧١ رقم ١٢ بالسند نفسه عن ابن إسحاق. قال الترمذي: هو حديث حسن ردّ ابنته زينب على ابي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاريّ، أخو بني النجّار.

قال ابن إسحاق: وصيفيّ بن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، تُرك في أيدي أصحابه، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليبعثنّ إليهم بفدائه، فخلّوا سبيله، فلم يف لهم بشيء؛ فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

وما كان صَيْفيٌّ لِيُوفيَ ذمّةً ... قفا ثعلبٍ أعيا ببعضِ المواردِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأبو عزّة، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أهيب بن حُذافة بن جُمَح، كان محتاجاً ذا بنات، فكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال، وإنّي لذو حاجة، وذو عيال، فأمنُن عليّ؛ فمنّ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ، وأخذ عليه ألّا يظاهر عليه أحداً. فقال أبو عزّة في ذلك، يمدح رسول الله ـ ﷺ ـ ويذكر فضله في قومه:

مَن مُبلّغٌ عنّي الرسولَ محمّداً ... بأنّك حقّ والمَلِيك حميدُ
وأنت امرؤٌ تدْعو إلى الحقّ والهُدَى ... عليك من الله العظيمِ شهيدُ
وأنت امرُؤٌ بُوِّئْتَ[1] فينا مَباءةً ... لها درجاتٌ سَهْلة وصُعود
فإنّك مَن حاربْتَهُ لمُحارَبٌ ... شقيٌّ ومَن سالَمتَه لسَعيد
ولكنْ إذا ذكِّرْتُ بدراً وأهلَه ... تأوَّبَ[2] مابي: حَسْرةٌ وقعود

ثمن الفداء: قال ابن هشام: كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلّا من لا شيء له، فمنّ رسول الله ـ ﷺ ـ عليه.

---

(١) بوئت: نزّلت.
(٢) تأوّب: رجع.

إسلام عُمير بن وهْب وتحريض صفوان له على قتْل الرسول

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير قال: جلس عُمير بن وهْب الجُمَحيّ مع صفوان بن أُميّة بعد مُصاب أهل بدر من قريش ـ في الحجْر ـ بيسير، وكان عُمير بن وهْب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، ويلقون منه عناءً وهو بمكة، وكان ابنه وهْب بن عُمير في أُسَارى بدر.

قال ابن هشام: أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُرَيق.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة بن الزبير، قال: فذكر أصحاب القَليب ومُصابهم، فقال صفوان: والله إنْ في العيش بعدهم خيرٌ؛ قال له عُمير: صدقتَ والله، وأما والله لولا دَيْن عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضَّيْعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإنّ لي قِبَلهم علّة: ابني أسير في أيديهم؛ قال: فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دَينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أُواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم؛ فقال له عُمير: فاكتم شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

قال: ثم أمر عُمير بسيفه، فشُحذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة؛ فبينا عمر بن الخطّاب في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهْب حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهْب، والله ما جاء إلاّ لشرّ. وهو الذي حَرّش بيننا، وحَزَرنا[1] للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله

---

(١) حرّش: أفسد، والحزر: تقدير العدد تخميناً.

عُمير بن وهْب قد جاء متوشّحاً سيفه: قال: فأدخِلْه عليّ، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمّالة سيفه في عنقه فلبَّبه بها، وقال لرجالٍ ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ـ ﷺ ـ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله ـ ﷺ ـ.

فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ، وعمر آخذ بحمّالة سيفه في عنقه، قال: أرسِلْه يا عمر، أدن يا عُمير؛ فدنا ثم قال: أنعِموا صباحاً، وكانت تحيّة أهل الجاهلية بينهم؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ؛ «قد أكرمنا الله بتحيّةٍ خيرٍ من تحيّتك يا عُمير، بالسلام: تحيّة أهل الجنة»؟ فقال: أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد: قال: «فما جاء بك يا عُمير»؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال: «فما بال السيف في عنقك»؟ قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنّا شيئاً؟ قال: «أصدِقْني، ما الذي جئت له»؟ قال ما جئت إلّا لذلك؛ قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أُميّة في الحجْر، فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش، ثم قلت؛ لولا دَيْن عليّ وعيالٍ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً، فتحمّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك»؛ قال عُمَير: أشهد أنك رسول الله، قد كنّا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فوالله إنّي لأعلم ما أتاك به إلّا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحقّ. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فقِّهوا أخاكم في دِينه. وأقْرِئوه القرآن، وأطلِقوا له أسيره»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إنّي كنت جاهداً على إطفاه نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ، وأنا أحبّ أن تأذن لي، فأقَدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله ـ ﷺ ـ، لعلّ الله يهديهم، وإلّا آذيتهم في دِينهم كما كنت أوذي أصحابك في دِينهم؟ فأذِن له رسول الله ـ ﷺ، فلحِق بمكة. وكان صفوان بن أُميَّة حين خرج عُمير بن وهْب، يقول: أبشِروا

بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تُنْسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قَدِم راكب فيخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلّمه أبداً، ولا ينفعه بنفعٍ أبداً.

قال ابن إسحاق: فلما قدِم عُمير مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذًى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير[1].

قال ابن إسحاق: وعُمير بن وهْب، أو الحارث بن هشام، قد ذُكر لي أحدهما، الذي رأى إبليس حين نكص على عقِبَيْه يوم بدر، فقال: أين، أي سُراق؟ ومثل[2] عدوّ الله فذهب، فأنزل الله تعالى فيه. ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ . وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾[3]، فذكر استدراج إبليس إيّاهم، وتشبُّهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشُم لهم، حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة في الحرب التي كانت بينهم. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة، قد أيّد الله بهم رسوله ﷺ والمؤمنين على عدوّهم ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِنْكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾. وصدق عدوّ الله، رأى ما لم يروا، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ الله، وَالله شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]. فذُكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سُراقة لا يُنكرونه، حتى إذا كان يوم بدر، والتقى الجمعان نكص على عقِبيه، فأوردهم ثم أسلمهم.

قال ابن هشام: نكص: رجع. قال أوس بن حجر، أحد بني أسد بن عمرو بن تميم:

نكصتُم على أعقابكم يوم جئتمُ ... تُزَجُّون أنفالَ الخميس العرمرم

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٧٢ ـ ٤٧٤، أنساب الأشراف ١/٣٠٤، ٣٠٥، أسد الغابة ٤/١٤٨ ـ ١٥٠ وفيه قال؛ أخرجه الثلاثة، البدء والتاريخ ٤/١٩٣، ١٩٤.

(٢) مثل: ذهب في الأرض واختفى.

(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٤٨.

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت:

قومي الذين همُ آوَوْا نبيَّهمُ — وصدَّقوه وأهلُ الأرض كُفّارُ
إلّا خصائصَ أقوام هُم سَلَفٌ — للصّالحين مع الأنصار أنْصار
مُسْتَبْشِرين بقَسْمِ الله قولُهم — لمّا أتاهُمْ كريمُ الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففي أمنٍ وفي سَعَةٍ — نِعْم النّبيُّ ونِعْم القَسْمُ والجارُ
فأنْزلوه بدار لا يُخاف بها — من كان جارَهم داراً هي الدار
وقاسمُوه بها الأموال إذْ قدموا — مهاجرِين وقَسْمُ الجاحدِ النار
سِرْنا وساروا إلى بدْر لحَيْنهم — لو يعلمون يَقين العِلم ما ساروا
دلّاهُمُ بغُرور ثم أسْلمهم — إنّ الخبيث لمن والاهُ غرّار
وقال: إنّي لكم جارٌ فأوْرَدَهُم — شرَّ الموارد فيه الخزْي والعار
ثم التقينا فولَّوْا عن سَرَاتِهمُ — من مُنْجدين ومنهم فرْقة غاروا[1]

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لما أتاهم كريم الأصل مختار» أبو زيد الأنصاريّ.

المُطْعِمون من قريش

قال ابن إسحاق: وكان المُطْعِمون[2] من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مَناف: العباس بن عبدالمطّلب بن هاشم[3].

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس[4].

---

(١) السراة: الخيار. وغاروا: تفرّقوا. وذكر في البدء والتاريخ ١٩٣/٤ بيتين منها.
(٢) من يطعمون الحجيج أيام الموسم.
(٣) نحر عشراً من الجزور. وذكر محمد بن عمر المزني أن قريشاً كفأت قدور العباس ولم تَطْعَمْها لعلمها بمَيله إلى رسول الله ﷺ. (المحبّر ١٦٢).
(٤) نحر عشراً. (المحبّر ١٦٢).

ومن بني نوفل بن عبد مَناف: الحارث بن عامر بن نوفل[1]، وطُعيمة بن عدِيّ بن نوفل، يعتقبان ذلك.

ومن بني أسد بن عبدالعُزّى: أبا البَخْتَريّ بن هشام بن الحارث بن أسد[2]. وحكيم بن حِزام بن خُويلد بن أسد: يعتقبان ذلك.

ومن بني عبدالدار بن قُصيّ: النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبدالدار.

قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مَناف بن عبدالدار.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: أبا جهل بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم[3].

ومن بني جُمَح: أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح[4].

ومن بني سهم بن عمرو: نُبَيْهاً ومنبّها ابني الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سهم، يعتقبان ذلك[5].

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر[6].

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أنه كان مع المسلمين يوم

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٢٨.
(٢) نحر عشراً. (المحبّر ١٦٢).
(٣) نحر عشراً. (المحبر ١٦١).
(٤) نحر تسعاً. (المحبّر ١٦٢) الواقدي ١/١٢٨.
(٥) نحرا عشراً. (المحبّر ١٦٢).
(٦) نحر عشراً. (المحبّر ١٦٢).

بدر من الخيل، فرس مَرْثَد بن أبي مَرْثَـد الغَنَويّ، وكـان يقال لـه: السَّبَل[1]؛ وفرس المِقداد بن عمرو البَهْرانيّ، وكان يقال له: بَعزجة[2]، ويقال: سَبْحَـة؛ وفرس الزُبير بن العوّام، وكان يقال له: اليعسوب[3].

قال ابن هشام: ومع المشركين مائة فرس.

---

(١) الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام لمحمد بن كامل التـاجي الصاحبي (ق ٧) ـ تحقيق عبـدالله الجبوري ـ طبعـة النـادي الأدبي بـالـريـاض ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م. ـ ص ٩٦ رقم ٤، عقد الأجياد للأمير عبدالقادر الجزائري طبعة القاهـرة ١٣٣١ هـ. ـ ص ٣٢٨، فضل الخيـل للحـافظ الـدميـاطي ـ نشره محمـد راغب الـطبـاخ بحلب ١٣٤٩ هـ./١٩٣٠ م ـ ص ١٦٧.

(٢) الحلبـة في أسـماء الخيـل ٤٥ رقم ٢، فضـل الخيـل للدميـاطي ١٦٨، ١٦٩، عقـد الأجيـاد للجزائري ٢٢٦ وفيه للمقداد بن الأسود.

(٣) الأنساب لابن الكلبي ٢٠، ٣٠، فضل الخيل للدمياطي ١٣٧ و ١٦٩، ١٧٠، حلية الفرسـان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي ـ نشره محمد عبد الغني حسن ـ سلسلة ذخائـر العرب، بـدار المعارف بـالقاهـرة ١٩٥١ ـ ص ١٥١ ـ ١٥٣، حيـاة الحيـوان للدمـيري ٢/٢١٩، تـاج العروس ٣/٣٧١، معجم الخيل العربية المنسوبة، لعبدالله الجبوري، ملحق بـالحلبة في أسـماء الخيل ٢١٨، ٢١٩.



نزول سورة الأنفال
تصف أحداث بدر

قال ابن إسحاق: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفْل حين اختلفوا فيه: **﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[1].

فكان عُبادة بن الصّامت ـ فيما بلغني ـ إذا سُئل عن الأنفال، قال: فينا معشر أهل بدر نزلت، حين اختلفنا في النفْل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا؛ فردّه على رسول الله ـ ﷺ ـ نقسّمه بيننا عن بَوَاء ـ يقول: على السواء ـ وكان في ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعة رسوله رسول الله ـ ﷺ، وصَلاح ذات البَيْن.

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين عرف القوم أنّ قريشاً قد ساروا إليهم، وإنّما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة، فقال: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ**

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ١.

يَنْظُرُونَ﴾: أي كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش، حين ذكروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُم الله إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ الله أَنْ يُحِقَّ ٱلحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلكَافِرِينَ﴾: أي بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾؛ أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوّهم، وقلّة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء رسول الله ـ ﷺ ـ ودعائكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أي أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾ للمطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء، وخلّى سبيل المسلمين إليه ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلأَقْدَامَ﴾[1]: أي ليُذهب عنكم شكَّ الشيطان، لتخويفه إيّاهم عدوَّهم، واستجلاد[2] الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوّهم.

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ ٱلمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي آزروا الذين آمنوا ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا الله وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ الله شَدِيدُ ٱلعِقَابِ﴾[3]، ثم قال: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ ٱلأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلمَصِيرُ﴾[4]: أي تحريضاً لهم على عدوّهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم.

ثم قال تعالى في رمي رسول الله ـ ﷺ ـ إيّاهم بالحصباء من يده. حين

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ٥ ـ ١١.
(٢) الاستجلاد: الشدّة.
(٣) سورة الأنفال ـ الآيتان ١٢ و١٣.
(٤) سورة الأنفال ـ الآيتان ١٥ و١٦.

رماهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾: أي لم يكن ذلك برمْيتك، لولا الذي جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى في صدور عدوّك منها حين هزمهم الله ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾[1]: أي ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوّهم، وقلّة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته.

ثم قال: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: أي لقول أبي جهل: اللهم أقطعُنا للرَّحِم، وآتانا بما لا يعرف، فأحِنْه الغداة. والاستفتاح: الإنصاف في الدعاء.

يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾: أي لقريش ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾: أي بمثل الوقعة التي أصبناكم بها يوم بدر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أنّ عددكم وكثرتكم في أنفسكم لن تغني عنكم شيئاً، وإنّي مع المؤمنين، أنصرهم على مَن خالفهم.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾. أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم منه، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أي كالمنافقين الذين يُظهرون له الطاعة، ويُسرّون له المعصية ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ ٱلْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي المنافقين الذين نهيتُكم أن تكونوا مثلهم، بُكم عن الخير، صُمٌّ عن الحقّ، لا يعقلون: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النقمة والتباعة[2] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾[3]، أي لأنفذ لهم قولهم الذي قالوا بألسنتهم، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، ما وفوا لكم بشيء مما خرجوا عليه.

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ١٧.

(٢) التباعة: طلب الشخص بما ارتكب من المظالم.

(٣) لم يأت بجزء من الآية وهو «ولو أسمعهم».

﴿يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلَّرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: أي للحرب التي أعزّكم الله بها بعد الذّلّ، وقوّاكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوِّكم بعد القهر منهم لكم، ﴿واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ، وَرزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يَا أَيُّهَا ٱلّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا آمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تُظهروا له من الحقِّ ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السرّ إلى غيره، فإنّ ذلك هلاك لأماناتكم، وخيانة لأنفسكم. ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾: أي فصلاً بين الحقّ والباطل، لِيُظهر الله به حقّكم، ويطفيء به باطل من خالفكم.

ثم ذكّر رسول الله ـ ﷺ بنعمته عليه، حين مكر به القوم ليقتلوه أو يُثبتوه أو يخرجوه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله، والله خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾[1]: أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلّصتك منهم.

ثم ذكر غِرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا: ﴿اللّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ من عِنْدِكَ﴾[2] أي ما جاء به محمد ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي بعض ما عذّبت به الأمم قبلنا، وكانوا يقولون: إنّ الله لا يعذّبنا ونحن نستغفره، ولم يعذّب أمة ونبيّها معها حتى يخرجه عنها. وذلك من قولهم ورسول الله ـ ﷺ بين أظهرهم، فقال تعالى لنبيّه ـ ﷺ، يذكّر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم، حين نعى سوء أعمالهم: ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي لقولهم: إنّا نستغفر ومحمد بين أظهرنا، ثم قال ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ﴾ وإن كنت بين أظهرهم، وإن كانوا

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية ١٩ ـ ٣٠.
(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٣٢ ـ ٣٥.

يستغفرون كما يقولون ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي من آمن بالله وعبده: أي أنت ومن اتّبعك، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الذين يحرّمون حُرمته ويقيمون الصلاة عنده: أي أنت ومن آمن بك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ﴾ التي يزعمون أنه يدفع بها عنهم ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[1].

قال ابن هشام: **المُكاء**: الصفير. والتَّصْدية: التصفيق. قال عنترة بن عمرو بن شدّاد العبْسيّ:

ولَـرُبَّ قِرْنٍ قـد تـركتُ مُجَـدَّلاً   تَمْكُـو فـريضتُـه كشِـدْقِ الأعْلمِ[2]

يعني: صوت خروج الدم من الطعنة، كأنه الصفير: وهذا البيت في قصيدة له. وقال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائي:

لهـا كلَّمـا رِيعتْ صـداةً وركْـدةً   بمُصْدان أعلَى ابني شَمام البـوائن[3]

وهذا البيت في قصيدة له. يعني الأروية، يقول: إذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع صَدَى قرعها بيدها. الصفاة مثل التصفيق. والمصدان: الحرز. وابنا شمام: جبلان.

قال ابن إسحاق: وذلك ما لا يُرضي الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يحبّه، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:[4] أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه

---

(١) مجدَّلاً: واقع على الأرض. والفريصة: جزء في مرجع الكتف. والأعلم: مشقوق الشفَة العليا، ويريد به الجمل.

(٢) صداة: تصفير. والركدة: السكون، والمصدان: الجدران. وابن شمام: هضبتان بجبل شمام، والبوائن: المبتعدة.

(٣) سورة الأنفال ـ من الآية ٣٥.

عبّاد، عن عائشة قالت: ما كان بين نـزول: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾[1]، وقول الله تعالى فيها: ﴿**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**﴾[2] إلاَّ يسير، حتى أصاب الله قريشاً بالوقعة يوم بدر.

قال ابن هشام: الأنكال: القيود؛ واحدها: نِكل. قال رؤبة بن العجّاج:

يكفيك نِكْلي بغَي كلّ نِكْلِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[3] يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يقوّوهم بها على حرب رسول الله ـ ﷺ، ففعلوا.

ثم قال: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا**﴾ لحربك ﴿**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾[4] أي من قُتل منهم يوم بدر.

ثم قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ**﴾: أي حتّى لا يُفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك، ويخلع ما دونه من الأنداد ﴿**فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَوْلَاكُمْ**﴾الذي أعزّكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلّة عددكم

---

(١) أول سورة المزَّمِّل.
(٢) سورة المزَّمِّل ـ الآية من ١١ ـ ١٣.
(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٣٦.
(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٣٨.

﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

ثم أعلمهم مقاسم الفَيْء وحُكمه فيه، حين أحلّه لهم، فقال: ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فإنَّ لله خُمُسَهُ ولِلْرَّسُول وَلِذِي القُرْبَىٰ وَآليَتَامَىٰ وَآلمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم بالله وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ والله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي يوم فرّقتُ فيه بين الحقّ والباطل بقدرتي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من الوادي ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ القُصْوَىٰ﴾ من الوادي إلى مكة ﴿والرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ﴿ولَوْ تَواعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِيْ المِيعَاد﴾أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم، وقلّة عددكم ما لقيتموهم ﴿ولٰكِنْ لِيَقْضِي الله أمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ أي ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه، ثم قال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، ويَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإنَّ الله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي ليكفر من كفر بعد الحجّة لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

ثم ذكر لطفه به وكيده له، ثم قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً، ولَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فيْ الأَمْر وَلٰكِنَّ الله سَلَّمَ إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾[2]، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نِعَمه عليهم، شجّعهم بها على عدوّهم، وكفَّ بها عنهم ما تُخوِّف عليهم من ضعفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام: تخوّف: مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها[3].

---

(١) سورة الأنفال ـ الآيتان ٣٩ و ٤٠.

(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٤١ ـ ٤٣.

(٣) يقال: إنها «تخوفت» ولذلك أصلح ابن هشام اللفظ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلتَقَيْتُمْ في أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ويُقَلِّلُكُمْ في أَعْيُنِهِم لِيَقْضِيَ ٱللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[1]: أي ليؤلِّف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه، من أهل ولايته.

ثم وعظهم وفهّمهم وأعلمهم الذي ينبغي لهم أن يسيروا به في حربهم، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ تقاتلونهم في سبيل الله عزّ وجلّ ﴿فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا الله كَثِيراً﴾ الذي له بذلتم أنفسكم، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وأَطِيعُوا الله ورَسُولَه ولا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾: أي لا تختلفوا فيتفرّق أمركم ﴿وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي وتذهب حَدَتكم ﴿واصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي إنّي معكم إذا فعلتم ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً ورِئَاءَ النَّاس﴾[2]: أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه، الذين قالوا: لا نرجع حتى نَأتي بدراً فننحر بها الجُزُر ونَسقي بها الخمر، وتعزف علينا فيها القِيان، وتسمع العرب: أي لا يكون أمركم رياءً، ولا سُمعة، ولا التماس ما عند الناس وأخلِصوا لله النيّة والحسْبة في نصر دينكم، وموآزرة نبيّكم، لا تعملوا إلّا لذلك ولا تطلبوا غيره.

ثم قال تعالى: ﴿وإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أعْمَالَهُمْ وقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ ٱليَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾[3].

قال ابن هشام: وقد مضى تفسير هذه الآية.

قال ابن إسحاق: ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر، وما يلقون عند موتهم، ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيّه ﷺ عنهم، حتى انتهى إلى أن قال ﴿فإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ في ٱلحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[4] أي فنكِّل بهم

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٤٤.
(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٤٥ ـ ٤٧.
(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٤٨.
(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٥٧.

من ورائهم لعلّهم يعقلون ﴿وأعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِبَاطِ آلخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وعَدُوَّكُمْ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ومَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ في سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ أي لا يضيعَ لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها﴾: أي إنْ دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾ إنّ الله كافيك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[1].

قال ابن هشام: جنحوا للسَّلْم: مالوا إليك للسلم. الجنوح: الليل. قال لَبِيد بن ربيعة:

جنوحُ الهالِكيِّ على يَدَيْه   مُكِبًّا يَجْتلي نُقَبَ النِّصال[2]

وهذا البيت في قصيدة له. والسلم أيضاً: الصلح، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾[3]، ويقرأ: «إلى السِّلم»، وهو ذلك المعنى. قال زُهير بن أبي سُلمى:

وقد قُلتما إنْ ندرِك السِّلْم واسعاً   بمالٍ ومعروفٍ من القَوْل نَسْلَمِ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وبلغني عن الحسن بن أبي الحَسَن البَصْريّ، أنه كان يقول: ﴿وإنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ﴾ للإسلام. وفي كتاب الله تعالى: ﴿يَاأَيُّها الذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي آلسِّلْمِ كَافَّةً﴾[4]، ويقرأ ﴿في السَّلْمِ﴾، وهو الإسلام. قال أُميّة بن أبي الصَّلت:

فما أنابوا لسَلْم حين تُنْذِرهم   رُسْل الإله وما كانوا له عَضُداً

---

(١) سورة الأنفال ـ الآيتان ٦٠ و ٦١.

(٢) الهالكي: الحداد والصيقل نسبة إلى أول من عمل الحدادة وهو الهالك بن أسد. ونقب النصال: جرب الحديد.

(٣) سورة محمد ـ الآية ٣٥.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٢٠٨.

وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب لدلو تُعمل مستطيلة: السَّلم. قال طُرفة بن العبد أحد بني قيس بن ثعلبة، يصف ناقة له:

لها مِرْفقان أفْتلان كأنّما ... تمُرّ بسَلْمى دالجٍ مُتشدّدِ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وإنْ يُرِيدُوا أنْ يَخْدَعُوكَ فَإنَّ حَسْبَكَ الله﴾[2] هو من وراء ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ بعد الضعف ﴿وبالمُؤْمِنِينَ وألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿لَوْ أنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مَا ألَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿إنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله ومَن اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ. يَا أيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَىٰ القِتَال، إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُون صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا ألْفاً مِنَ الذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[2]: أي لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبدالله بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئة ألفاً، فخفّف الله عنهم، فنسختها الآية الأخرى: ﴿الآنَ خَفَّفَ الله عَنْكُمْ وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً، فَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ بِإذْنِ الله، والله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]. قال: فكانوا على الشطر من عدوّهم لم ينبغ لهم أن يفرّوا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

---

(١) الدالج: الذي يحمل الدلو من البئر إلى الحوض ليُفرغها فيه، فهو يمشي متمهّلاً.

(٢) سورة الأنفال ـ من الآية ٦٢ ـ ٦٥.

(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٦٦.

قال ابن إسحاق: ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى، وأخْذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدوّ له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد أبو جعفر بن عليّ بن الحسين، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نُصِرْتُ بالرُّعب، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطَهُوراً، وأُعطِيت جَوامع الكَلِم، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تُحلَّل لنبيٍّ كان قبلي، وأُعطِيت الشفاعةَ، خمسٌ لم يؤتَهنَّ نبيٌّ قبلي»[1].

قال ابن إسحاق: فقال: **﴿ما كان لنبيٍّ﴾**: أي قبلك **﴿أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾** من عدوّه **﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فيْ الأَرْضِ﴾**، أي يُثْخن[2] عدوّه، حتى ينفيه من الأرض **﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا﴾**: أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال **﴿والله يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾**[3]: أي قتْلهم لظهور الدين الذي يريد إظهاره، والذي تُدرَك به الآخرة **﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾**: أي من الأسارى والمغانم **﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**: أي لولا أنه سبق منّي أنّي لا أعذّب إلّا بعد النهي ولم يك نهاهم، لعذّبْتكم فيما صنعتم، ثم أحلَّها له ولهم رحمة منه، وعائدة من الرحمن الرحيم، **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً واتَّقُوا الله إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** ثم قال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فيْ أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إنْ يَعْلَمِ الله**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبدالله (١/٨٦) في التيمّم، أول الكتاب، وفي كتاب الصلاة (١/١١٣) باب الصلاة في البيعة، وفي كتاب الجهاد والسِيَر (٤/١٢) باب قول النبيّ ﷺ: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وفي كتاب التعبير (٨/٧٢) باب رؤيا الليل، و(٨/٧٦) باب المفاتيح في اليد، وفي كتاب الاعتصام (٨/١٣٨) باب قول النبيّ ﷺ بُعثت بجوامع الكلم، وفي كتاب التيمّم (١/٨٦) أول الباب. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) و(٥٢٣) أول الكتاب، والدارمي في السير، باب (٩٨)، والترمذي في السِيَرَ (١٥٩٤) باب ما جاء في الغنيمة، والنسائي في الغُسْل (١/٢٠٩ ـ ٢١١) باب التيمّم بالصعيد، وفي الجهاد (٦/٣، ٤) باب وجوب الجهاد، وأحمد في المسند ١/٩٨ و٣٠١ و٢/٢٢٢ و٢٦٤ و٢٦٨ و٣١٤ و٣٩٦ و٤١٢ و٤٥٥ و٥٠١ و٣/٣٠٤ و٤/٤١٦، و٥/١٤٥ و١٤٨ و١٦٢ و٢٤٨ و٢٥٦، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) بتحقيقنا ـ ص ٤٦٢ و٥٣٧.

(٢) يُثخن: يضيّق.

(٣) سورة الأنفال ـ من الآية ٦٧.

فيْ قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ. والله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(1).

وحضّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية الذّين دون من سواهم، وجعل الكفّار بعضهم أولياء بعض، ثم قال ﴿إلَّا تَفْعَلُوهُ تكُنْ فِتْنَةٌ فيْ الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾(2) أي إلّا يوال لمؤمن من دون الكافر، وان كان ذا رحِم به: ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فيْ الأَرْضِ﴾ أي شُبهة في الحقّ والباطل، وظهور الفساد في الأرض بتولّي المؤمن الكافر دون المؤمن.

ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممّن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التي بينهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ، وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فيْ كِتَابِ آللهِ﴾ أي بالميراث ﴿إنَّ الله بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ﴾(3).

---

(1) سورة الأنفال ـ من الآية ٦٨ ـ ٧٠.
(2) سورة الأنفال ـ الآية ٧٣.
(3) سورة الأنفال.

من حضر بدراً من المسلمين[1]

قال ابن اسحاق: وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين، ثم من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مَناف وبني المطّلب بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كِنانة:

محمد رسول الله - ﷺ - سيّد المرسلين، ابن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم، وحمزة بن عبد المطّلب بن هاشم، أسد الله، وأسد رسوله، عمّ رسول الله - ﷺ -، وعليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، وزيد بن حارثة بن شُرحبيل بن كعب بن عبدالعُزّى بن امريء القيس الكلبيّ، أنعم الله عليه ورسوله - ﷺ -.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العُزّى بن امريء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وَبْرَة.

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٥٢ - ١٧٢، المغازي لعروة ١٤٧ - ١٥٩، صحيح البخاري ٥/٢١، ٢٢، الدرر في المغازي والسير لابن عبد البرّ ١٢١ - ١٣٨، جوامع السيرة لابن حزم ١١٤ - ١٤٦، عيون الأثر ١/٢٧٢ - ٢٨٤، تلقيح فهوم الأثر لابن الجوزي ٤٢٤ - ٤٣٧، مجمع الزوائد للهيثمي ٦/٩٧ - ١٠٢ المحبّر لابن حبيب ٢٨٧.

قال ابن إسحاق: وأُنَسَة مولى رسول الله - ﷺ -، وأبو كبشة مولى رسول الله - ﷺ -.

قال ابن هشام: أُنَسَة: حبشي، وأبو كبشة: فارسي.

قال ابن إسحاق: وأبو مَرثَد كَنَّاز بن حِصْن بن يَربوع بن عَمرو بن يَربوع بن خَرَشَة بن سعد بن طُريف بن جِلّان بن غَنْم بن غَنيّ بن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان.

قال ابن هشام: كنَّاز بن حُصَين.

قال ابن إسحاق: وابنه مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، حليفا حمزة بن عبدالمطّلب؛ وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب؛ وأخواه الطُفيل بن الحارث، والحُصَين بن الحارث؛ ومِسْطَح، واسمه عوف بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب. اثنا عشر رجلاً.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، تخلّف على امرأته رُقيَّة بنت رسول الله - ﷺ - فضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه، قال: وأجري يا رسول الله، قال: وأجرك. وأبو حُذَيفة بن ربيعة بن عبد شمس، وسالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن هشام: واسم أبي حُذيفة: مِهْشَم.

قال ابن هشام: وسالم، سائبة لثُبَيْتَة بنت يَعار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سيَّبته فانقطع إلى أبي حُذيفة فتبنّاه: ويقال: كانت ثُبيتة بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة، فأعتقت سالماً سائبة، فقيل: سالم مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن إسحاق: وزعموا أنّ صُبيحاً مولى أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس تجهّز للخروج مع رسول الله - ﷺ -، ثم مرض، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ ثم شهد صُبَيح

بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -.

وشهد بدراً من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خُزيمة: عبدالله بن جحش بن رئاب بن يَعمر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد، وعُكّاشة بن مِحْصَن بن حرثان بن قيس بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد؛ وشجاع بن وهْب بن ربيعة بن أسد بن صُهَيب بن مالك بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد؛ وأخوه عُقبة بن وهْب؛ ويزيد بن رُقَيش بن رئاب بن يَعمر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد، وأبو سنان بن مِحْصن بن حرثان بن قيس، أخو عُكّاشة بن مِحْصَن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومحرز بن نضْلة بن عبدالله بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد، وربيعة بن أكثم بن سَخبرة بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دودان بن أسد.

ومن حلفاء بني كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد: ثَقف بن عمرو، وأخواه: مالك بن عمرو ومُدْلج بن عمرو.

قال ابن هشام: مِدْلاج بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وهم من بني حَجْر، آل بني سُلَيم، وأبو مَخْشيّ، حليف لهم. ستة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: أبو مَخْشيّ طائيّ، واسمه؛ سُويد بن مَخْشِيّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني نوفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غزوان بن جابر بن وهْب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان، وخبّاب، مولى عُتبة بن غزوان - رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ: الزُبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد؛ وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة: عمرو، لَخْميّ، وسعد مولى حاطب، كلبيّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبدالدّار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدّار بن قُصَيّ، وسُويبط بن سعد بن حُرَيملة بن مالك بن عُمَيلة بن السّباق بن عبدالدار بن قُصَيّ. رجلان.

ومن بني زُهرة بن كلاب: عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، وسعد بن أبي وقّاص ـ وأبو وقّاص مالك بن أهْيب بن عبدمَناف بن زُهرة. وأخوه عُمير بن أبي وقّاص.

ومن حلفائهم: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هَزل بن قائش بن دُريم بن القَيْن بن أهْود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هزان بن قاس بن ذَر ـ ودهير بن ثور.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن مسعود بن الحارث بن شَمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبدالعُزَّى بن حمالة بن غالب بن محلِّم بن عائذة بن سُبيع بن الهُون بن خُزيمة، من القارة.

قال ابن هشام: القارة: لقب لهم. ويقال:

قد أنصف القارَةَ من رَامَاها[1]

وكانوا رُماة.

قال ابن إسحاق: وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلْكان بن أفْصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خُزاعة.

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٥٥، ٥٦ لأبي هلال العسكري، ومجمع الأمثال للميداني ٢/١٠٠، وأخبار الدولة العباسية ١٢٠، وشرح نهج البلاغة ١٢٠/١٣٠، والعقد الفريد ٥/٣١١.

قال ابن هشام: وإنّما قيل له: ذو الشمالين، لأنه كان أعسر، واسمه عُمير.

قال ابن إسحاق: وخبّاب بن الأرتّ، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: خبّاب بن الأرتّ، من بني تميم، وله عقِب، وهم بالكوفة، ويقال: خبّاب من خُزاعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيم من مُرَّة، أبو بكر الصِّدِّيق، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر. عبدالله، وعتيق: لقب، لحسْن وجهه وعتْقه.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر ـ وبلال مولَّد من مولَّدي بني جُمح، اشتراه أبو بكر من أُميَّة بن خَلَف، وهو بلال بن رباح، لا عقِب له، وعامر بن فُهَيرة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهَيرة، مولَّد من مُوَلَّدي الأسد، أسود، اشتراه أبو بكر منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهَيب بن سنان، من النَّمِر بن قاسط.

قال ابن هشام: النمِر: ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال: أفْصى بن دُعميّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: صُهَيب، مولى عبدالله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ويقال: إنه رُوميّ. فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط: إنما كان أسيراً في الروم فاشتُري منهم. وجاء في الحديث عن النبيّ ـ ﷺ ـ: «صُهيب سابق الروم»[1].

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٣/٢٢٦ وإسناده ضعيف لإرساله، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/١٩

قال ابن إسحاق: وطلحة بن عُبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، كان بالشأم، فقدِم بعد أن رجع رسول الله ـ ﷺ ـ من بدر، فكلّمه، فضرب له بسهمه فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: «وأجرك». خمسة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبدالأسد واسم أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم، وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم.

قال ابن هشام: واسم شمّاس: عثمان، وإنّما سُمّي شمّاساً، لأنّ شمّاساً من الشمامِسة قَدِم مكة في الجاهلية، وكان جميلاً، فعجِب الناس من جماله. فقال عُتبة بن ربيعة وكان خال شمّاس ها أنا آتيكم بشمّاس أحسن منه، فأتى بابن أخته عثمان فسُمّي شمّاساً، فيما ذكر ابن شهاب الزُهْريّ وغيره.

قال ابن إسحاق: والأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم: عبدمَناف بن أسد وكان أسد يُكَنّى: أبا جُنْدب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وعمّار بن ياسر.

قال ابن هشام: عمّار بن ياسر، عنْسيّ، من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: ومُعَتِّب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عَفيف بن كُلَيب بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو، حليف لهم من خُزاعة، وهو الذي يُدْعَى: عَيْهامة. خمسة نفر.

ومن بني عدِيّ بن كعب: عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبدالعُزَّى بن رياح بن عبدالله بن قُرْط بن رَزاح بن عدِيّ وأخوه زيد بن الخطّاب، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب، من أهل اليمن، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفَّين يوم بدر، رُمي بسهم.

قال ابن هشام: مِهْجَع، من عكّ بن عدنان.

قال ابن إسحاق: وعمرو بن سُراقة بن المعتمِر بن أنس بن أذاة بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عدِيّ بن كعب، وأخوه عبدالله بن سُراقة، وواقد بن عبدالله بن عبد مَناف بن عمر بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، حليف لهم، وخَوْلَى بن أبي خَوْلى، ومالك بن أبي خَوْلى، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوْلى، من بني عجْل بن لُجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطّاب، من عنز بن وائل.

قال ابن هشام: عَنز بن وائل: ابن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفْصى: ابن دُعْميّ بن جَدِيلة.

قال ابن إسحاق: وعامر بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيرَة، من بني سعد بن ليث؛ وعاقل بن البُكير؛ وخالد بن البُكير، وإياس بن البُكير، حلفاء بني عدِيّ بن كعب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبدالعُزَّى بن عبدالله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب، قدم من الشأم بعد ما قدِم رسول الله - ﷺ - من بدر، فكلّمه، فضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه، قال: وأجري يا رسول الله؟ قال: وأجرك. أربعة عشر رجلاً.

ومن بني جُمح بن عَمرو بن هُصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وابنه السائب بن عثمان، وأخواه قُدامة بن مظعون، وعبدالله بن مظعون، ومَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم. رجل.

قال ابن إسحاق: من بني عامر بن لُؤَيّ، ثم من بني مالك بن حِسْل بن عامر: أبو سَبرة ابن أبي رُهْم بن عبدالعُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، وعبدالله بن مخرمة بن عبدالعُزَّى بن قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك، وعبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ـ كان خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو، فلما نزل الناس بدراً فرّ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فشهدها معه ـ وعُمير بن عوف، مولى سُهيل بن عمرو، وسعد بن خَوْلة، حليف لهم خمسة نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خولة من اليمن.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عُبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهْيب بن ضَبَّة بن الحارث، وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أهْيَب بن ضبّة بن الحارث؛ وسُهيل بن وهْب بن ربيعة بن هلال بن أبي أهْيب بن ضبّة بن الحارث؛ وأخوه صفوان بن وهْب، وهما ابنا بيضاء؛ وعمرو بن أبي سرْح بن ربيعة بن هلال بن أهْيب بن ضبّة بن الحارث. خمسة نفر.

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ـ ﷺ ـ بسهمه وأجره، ثلاثة وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: كثير من أهل العلم، غير ابن إسحاق، يذكرون في المهاجرين ببدر، في بني عامر بن لُؤَيّ: وهْب بن سعد بن أبي سرح، وحاطب بن عمرو؛ وفي بني الحارث بن فِهْر: عِياض بن زهير.

قال ابن إسحاق: وشهد بدراً مع رسول الله ـ ﷺ ـ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبدالأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وعمرو بن مُعاذ بن النعمان؛ والحارث بن أوس بن مُعاذ بن النعمان

والحارث بن أنس بن رافع بن امريء القيس.

ومن بني عُبيد بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عُبيد. ومن بني زُعورا بن عبد الأشهل - قال ابن هشام: ويقال: زُعُورا - سلمة بن سلامة بن وقْش بن زُغبة، وعبّاد بن بِشْر بن وقْش بن زُغبة بن زُعُورا؛ وسلمة بن ثابت بن وقش؛ ورافع بن يزيد بن كُرْز بن سكَن بن زُعُورا؛ والحارث بن خزمة بن عديّ بن أُبيّ بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بني عوف بن الخزرج. ومحمد بن مَسْلمة بن خالد بن عدِيّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بني حارثة بن الحارث، وسلمة بن أسلم بن حُريش بن عديّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلم: بن حُرَيْس بن عديّ.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التّيهّان، وعُبيد بن التّيهّان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التّيِّهان.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن سهل. خمسة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عبدالله بن سهل: أخو بني زَعُورا؛ ويقال؛ من غسّان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَر، ثم من بني سَواد بن كعب، وكعب: هو ظفَر - قال ابن هشام: ظَفَر: ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: قَتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد؛ وعُبيد بن أوس بن مالك بن سواد. رجلان.

قال ابن هشام: عُبيد بن أوس الذي يقال له: مقرّن، لأنه قرن أربعة أسرى في يوم بدر. وهو الذي أسر عَقِيل بن أبي طالب يومئذ.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد بن رِزاح بن كعب: نصر بن الحارث بن عبد؛ ومعتِّب بن عبد.

ومن حلفائهم، من بَلّي: عبدالله بن طارق. ثلاثة نفر.

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سعد بن عامر بن عديّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد.

قال ابن إسحاق: وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

ومن حلفائهم، ثم من بَليّ: أبو بُرْدة بن نيار، واسمه: هانيء بن نيار بن عمرو بن عُبيد بن كِلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَيّ بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. ثلاثة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: عاصم بن ثابت بن قيس. وقيس أبو الأقلح بن عِصمة بن مالك بن أَمَة بن ضُبَيعة - ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة؛ وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة؛ وعمرو بن مَعبد بن الأزعر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة.

قال ابن إسحاق: عُمير بن مَعْبد.

قال ابن إسحاق: وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مَجْدعة بن الحارث بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بحزج بن حَنَس بن عوف بن عمرو بن عوف. خمسة نفر.

ومن بني أُميَّة بن زيد بن مالك: مُبشِّر بن عبدالمنذر بن زَنبر بن زيد بن أُميَّة؛ ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنبر؛ وسعد بن عُبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أُميّة. وعُوَيم بن ساعدة؛ ورافع بن عُنْجدة - وعُنْجدة أمّه، فيما قال ابن هشام - وعُبيد بن أبي عُبيد؛ وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أنّ أبا لُبابة بن عبدالمنذر؛ والحارث بن حاطب خرجا مع

رسول الله ـ ﷺ ـ فرجّعهما، وأمّر أبا لُبابة على المدينة، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ردّهما من الرَّوْحاء.

قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عُبيد بن أُميّة، واسم أبي لُبابة: بشير.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك: أُنيس بن قَتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عُبيد.

ومن حلفائهم من بَلِيّ: مَعن بن عدِيّ بن الجَدّ بن العَجْلان بن ضُبيعة، وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدِيّ بن العَجْلان، وعبدالله بن سَلَمة بن مالك بن الحارث بن عدِيّ بن العَجْلان؛ وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدِيّ بن العَجْلان؛ ورِبْعيّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجَدّ بن العَجْلان. وخرج عاصم بن عديّ بن الجَدّ بن العَجْلان، فردّه رسول الله ـ ﷺ ـ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر[1]. سبعة نفر.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبدالله بن جُبير بن النعمان بن أُميّة بن البرك ـ واسم البرك: امرؤ القيس بن ثعلبة ـ وعاصم بن قيس.

قال ابن هشام: عاصم بن قيس: ابن ثابت بن النعمان بن أُميّة بن امريء القيس بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وأبو ضَيّاح بن ثابت بن النعمان بن أُمَيَّة بن امريء القيس بن ثعلبة؛ وأبو حَنَّة.

قال ابن هشام: وهو أخو أبي ضَيّاح؛ ويقال: أبو حَبّة. ويقال لامريء القيس: البرك بن ثعلبة.

---

(١) وردّه لأنه بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قُباء والعالية فردّه لينظر في ذلك. (الروض الأنف ٣/ ٩٩)

قال ابن إسحاق: وسالم بن عُمير بن ثابت بن النعمان بن أُميّة بن امريء القيس بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: ثابت: ابن عمرو بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: والحارث بن النعمان بن أُميّة بن امريء القيس بن ثعلبة، وخوّات بن جُبير بن النعمان، ضرب له رسول الله - ﷺ - بسهم مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

ومن بني جَحجبى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحَة بن الجلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبى بن كُلْفة.

قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيس بن جَحْجَبَى.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بني أُنَيْف: أبو عَقيل بن عبدالله بن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيْف بن جُشَم بن عبدالله بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيْلة بن قَسْمِيل بن فَرَان بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال تميم بن إراشة، وقَسْميل بن فاران.

قال ابن إسحاق: ومن بني غَنْم بن السَّلْم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس: سعد بن خَيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم؛ ومنذر بن قُدامة بن عَرْفجة؛ ومالك بن قُدامة بن عَرْفجة.

قال ابن هشام: عَرْفَجة: ابن كعب بن النّحاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم.

قال ابن إسحاق: والحارث بن عَرْفجة؛ وتميم، مولى بني غَنْم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: تميم: مولى سعد بن خيثمة.

قال ابن إسحاق: ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عَوف: جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُميّة بن معاوية؛ ومالك بن نُمَيلة، حليف لهم من مُزَينة؛ والنعمان بن عصر، حليف لهم من بَلّي: ثلاثة نفر.

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسول الله - ﷺ - ومن ضرب له بسهمه وأجره، أحد وستون رجلاً.

قال ابن إسحاق: وشهد بدراً مع رسول الله - ﷺ - من المسلمين، ثم من الأنصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث بن الخزرج، ثم من بني امريء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس؛ وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امريء القيس؛ وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امريء القيس بن عمرو بن امريء القيس؛ وخلّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امريء القيس. أربعة نفر.

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: بَشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد - قال ابن هشام: ويقال: جُلاس، وهو عندنا حطأ - وأخوه سِماك بن سعد. رجلان.

ومن بني عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سُبيع بن قيس بن عَيشة بن أُميّة بن مالك بن عامر بن عدِيّ؛ وعبّاد بن قيس بن عَيْشَة، أخوه.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: ابن عَبَسة بن أُميّة.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن عَبْس. ثلاثة نفر.

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن

الخزرج: يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر، وهو الذي يقال له: ابن فسُحم. رجل.

قال ابن هشام: فُسحم أمّه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر.

قال ابن إسحاق: ومن بني جُشَم بن الحارث بن الخزرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوءمان: خُبَيب بن إساف بن عُتبة بن عمرو بن خَدِيج بن عامر بن جُشم؛ وعبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه بن زيد؛ وأخوه حُرَيث بن زيد بن ثعلبة؛ زعموا، وسفيان بن بشر. أربعة نفر.

قال ابن هشام: سفيان بن نَسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تميم بن يعار بن قيس بن عديّ بن أُميّة بن جِدارة؛ وعبدالله بن عُمير من بني حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: عبدالله بن عُمير بن عدِيّ بن أُميّة بن جِدارة.

قال ابن إسحاق: وزيد بن المزيَّن بن قيس بن عديّ بن أُميّة بن جِدارة.

قال ابن هشام: زيد بن المُرَي.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن عرفطة بن عدِيّ بن أُميّة بن جِدارة، أربعة نفر.

ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدْرة، بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبدالله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عبّاد بن الأبجر. رجل.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبْليّ - قال ابن هشام: الحُبْلّي: سالم بن غَنْم بن عوف، وإنّما سُمّي الحُبْليّ، لِعظَم بطْنه -: عبدالله بن عبدالله بن أُبَيّ بن مالك بن الحارث بن عُبيد المشهور بابن سلول، وإنّما

سَلول امرأة، وهي أمّ أُبَيّ: وأوس بن خَوْلَى بن عبدالله بن الحارث بن عُبيد. رجلان.

ومن بني جَزء بن عدِيّ بن مالك بن سالم بن غَنْم: زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء، وعُقبة بن وهْب بن كَلَدة، حليف لهم من بني عبدالله بن غطفان؛ ورِفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم، وعامر بن سلمة بن عامر، حليف لهم من أهل اليمن. قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن سلمة وهو من بَليّ، من قُضاعة.

قال ابن إسحاق: وأبو حُمَيضة مَعْبَد بنْ عبّاد بن قُشَير بن المقدَّم بن سالم بن غَنْم.

قال ابن هشام: مَعبد بن عبادة بن قَشْغَر بن المقدّم، ويقال: عُبادة بن قيس بن القُدْم.

قال ابن إسحاق: وعامر بن البُكَير، حليف لهم. ستة نفر.

قال ابن هشام: عامر بن العُكير، ويقال: عاصم بن العُكَير.

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: نوفل بن عبدالله بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان رجل.

ومن بني أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ـ قال ابن هشام: هذا غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغَنْم بن سالم، الذي قبله على ما قال ابن إسحاق ـ: عُبادة بن الصّامت بن قيس بن أصرم، وأخوه أوس بن الصّامت. رجلان.

ومن بني دعد بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، والنعمان الذي يقال له. قَوْقل. رجل.

ومن بني قُرِيُوش بن غَنْم بن أُميّة بن لَوْذان بن سالم ـ قال ابن هشام:

ويقال قُرْيوس بن غَنْم ـ ثابت بن هزّال بن عمرو بن قريوش. رجل.

ومن بني مَـرْضَخَة بن غَنْم بن سـالم: مالـك بن الدُّخْشُم بن مَـرْضَخَة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُّخْشُم: ابن مالك بن الدُّخْشُم بن مَرْضَخَة.

قال ابن إسحاق: ومن بني لَوْذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عمرو بن غَنْم بن أُميَّة بن لَوْذَان، وأخوه وَرَقة بن إيـاس، وعمرو بن إيـاس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن إياس، أخو ربيع وورقة.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بَليّ، ثم من بني غُصَينة ـ قـال ابن هشام: غُصَينة، أمّهم، وأبوهم عمرو بن عمارة ـ المجذّر بن ذِياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مـالك بن غُصَينـة بن عمرو بن بُتَيْـرة بن مَشْنُوّ بن قَشْـر بن تَيْم بن إراش بن عـامـر بن عُميلة بن قِسْمِيل بـن فَـرَان بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قـال ابن هشام: ويقـال: قَسَرْ بن تميم بن إراشـة، وقسميل بن فـاران. واسم المجذّر: عبدالله.

قال ابن إسحاق: وعُبادة بن الخَشْخاش بن عمرو بن زُمْزُمَة، ونَحّاب بن ثعلبة بن حَزْمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة.

قال ابن هشام: ويقال بَحّاث بن ثعلبة.

قـال ابن إسحاق: وعبـدالله بن ثعلبة بن حَـزْمة بن أصـرم. وزعمـوا أنَّ عُتبة بن ربيعة بن خـالد بن معـاوية ـ حليف لهم ـ من بَهـراء، قد شهِـد بدراً، خمسة نفر.

قال ابن هشام: عُتبة بن بَهْز، من بني سُليم.

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة: أبو دُجانة، سِماك بن خَرَشَة.

قال ابن هشام: أبو دُجانة: سِماك بن أوس بن خَرَشَة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: والمنذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: ابن عمرو بن خَنْبَش.

قال ابن إسحاق: ومن بني البَدِيّ بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة: أبو أُسيد مالك بن ربيعة بن البدِيّ، ومالك بن مسعود وهو إلى البديّ. رجلان.

قال ابن هشام: مالك بن مسعود: ابن البديّ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ومن بني طَريف بن الخزرج بن ساعدة: عبد ربّه بن حَقّ بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طَريف. رجل.

ومن حلفائهم، من جُهينة: كعب بن حِمار بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: كعب: ابن جماز، وهو من غُبْشان.

قال ابن إسحاق: وضَمْرة وزياد وبَسْبس، بنو عمرو.

قال ابن هشام: ضَمْرة وزياد، ابنا بِشْر.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن عامر، من بَلّي. خمسة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشم بن الخزرج، ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة: خرَاش بن الصّمَّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن

حَرام، والحُباب بن المنذر بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام؛ وعُمير بن الحُمام بن الجَموح بن زيد بن حَرام؛ وتميم مولى خَراش بن الصِّمَّة، وعبدالله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام، ومُعاذ بن عمرو بن الجَموح؛ ومُعوّذ بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام، وخلّاد بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام؛ وعُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حَرام، وحبيب بن أسود، مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حَرام. اثنا عشر رجلاً.

قال ابن هشام: وكلّ ما كان ها هنا الجَموح، فهو الجَموح بن زيد بن حَرام، إلا ما كان من جدّ الصِّمَّة بن عمرو، فإنه الجَموح بن حَرام.

قال ابن هشام: عُمير بن الحارث: ابن لَبْدَة بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن عدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بني خَنْساء بن سِنان بن عُبيد: بِشْر بن البراء بن مَعرور بن صخر بن مالك بن خنساء، والطُفيل بن مالك بن خنساء، والطُفيل بن النَعمان بن خنساء، وسنان بن صيفيّ بن صخر بن خنساء، وعبدالله بن الجدّ بن قيس بن صخر بن خنساء، وعُتبة بن عبدالله بن صخر بن خنساء، وجبّار بن صخْر بن أميّة بن خنساء، وخارجة بن حُميّر، وعبدالله بن حُمَيّر، حليفان لهم من أشجع، من بني دُهْمان. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: جبّار: بن صخر بن أميّة بن خُناس.

قال ابن إسحاق: ومن بني خُناس بن سِنان بن عُبيد: يزيد بن المنذر بن سرح بن خُناس، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خُناس، وعبدالله بن النعمان بن بَلْذَمَة.

قال ابن هشام: ويقال: بلذُمة وبلدُمة.

قال ابن إسحاق: والضّحّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عدّي، وسواد بن زُريق بن ثعلبة بن عُبيد بن عدِيّ.

قال ابن هشام: ويقال: سواد: ابن رِزن بن زيد بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومَعْبد بن قيس بن صخر بن حَرام بن ربيعة بن عديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة. ويقال: مَعْبد بن قيس: ابن صيفيّ بن صخر بن حَرام بن ربيعة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن قيس بن صخر بن حَرام بن ربيعة بن عديّ بن غَنْم. سبعة نفر. ومن بني النعمان بن سِنان بن عُبيد: عبدالله بن عبدمَناف بن النعمان، وجابر بن عبدالله بن رئاب بن النعمان: وخُليدة بن قيس بن النعمان. والنعمان بن سنان، مولى لهم. أربعة نفر.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بني حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سواد ـ قال ابن هشام: عمرو بن سواد، ليس لسواد ابن يقال له غنم ـ: أبو المنذر، وهو يزيد بن عامر بن حَدِيدة؛ وسليم بن عمرو بن حَديدة؛ وقُطبة بن عامر بن حَديدة؛ وعنترة مولى سُليم بن عمرو. أربعة نفر.

قال ابن هشام: عنترة، من بني سُلَيم بن منصور، ثم من بني ذَكْوان.

قال ابن إسحاق: ومن بني عدِيّ بن نابي بن عمرو بن سواد بن غَنْم: عبْس بن عامر بن عدِيّ، وثعلبة بن غَنَمة بن عديّ، وأبو اليَسَر، وهو كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سواد، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُميّة بن سِنان بن كعب بن غَنْم، ومُعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدِيّ بن كعب بن عدِيّ بن أُدَّى بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. ستة نفر.

قال ابن هشام: أوس: ابن عبّاد بن عدِيّ بن كعب بن عمرو بن أُدَّى بن سعد.

قال ابن هشام: وإنّما نَسَب ابنُ إسحاق مُعاذَ بن جبل في بني سواد، وليس منهم، لأنه فيهم.

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سَلِمة: مُعاذ بن جبل، وعبدالله بن أُنيس، وثعلبة بن غَنَمَة، وهم في بني سواد بن غَنْم.

قال ابن إسحاق: ومن بني زُريق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني مُخَلّد بن عامر بن زُريق - قال ابن هشام: ويقال: عامر: ابن الأزرق - قيس بن مُحْصِن بن خالد بن مخلَّد.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: ابن حصْن.

قال ابن إسحاق: وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مخلّد، وجبير بن إياس بن خالد، بن مخلّد، وأبو عبادة، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة بن مخلّد، وأخوه عُقبة بن عثمان بن خَلَدة، بن مُخَلَّد، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مخلّد؛ ومسعود بن خَلَدة، بن عامر بن مخلّد. سبعة نفر.

ومن بني خالد بن عامر بن زُريق: عبّاد بن قيس بن عامر بن خالد. رجل.

ومن بني خالدة بن عامر بن زُريق: أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خَلَدة، والفاكه بن بِشْر بن الفاكه بن زيد بن خَلَدة.

قال ابن هشام: بُسْر بن الفاكه.

قال ابن إسحاق: ومُعاذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة؛ وأخوه: عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة؛ ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدة. خمسة نفر.

ومن بني العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُريق: رفاعة بن رافع بن العَجْلان، وأخوه خلّاد بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وعُبيد بن زيد بن عامر بن العَجْلان. ثلاثة نفر.

ومن بني بَياضة بن زُريق: زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عديّ بن أُميّة بن بَياضة؛ وفروة بن عمرو بن وذْفة بن عُبيد بن عامر بن بياضة.

قال ابن هشام: ويقال: وَدْفة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة: ورُجَيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة.

قال ابن هشام: ويقال: رُخَيلة.

قال ابن إسحاق: وعطيّة بن نُويرة بن عامر بن عطيّة بن بَياضة؛ وخليفة بن عدِيّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فُهَيْرة بن بياضة. ستة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عُلَيفة.

قال ابن إسحاق: ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج: رافع بن المُعَلّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن زيد مَناة بن حبيب. رجل.

قال ابن إسحاق: ومن بني النّجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن مالك بن النّجّار، ثم من بني ثعلبة بن عبد عوف بن غَنْم: أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة. رجل.

ومن بني عُسيرة بن عبد عوف بن غَنْم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عُسيرة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال: عُسير، وعُشيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن غَنْم: عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو، وسُراقة بن كعب بن عبدالعُزّى بن غَزِية بن عمرو. رجلان.

ومن بني عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم: حارثة بن النعمان بن زيد بن عُبيد، وسليم بن قيس بن قَهْد: واسم قَهْد: خالد بن قيس بن عُبيد. رجلان.

قال ابن هشام: حارثة بن النعمان: ابن نَفْع بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني عائذ بن ثعلبة بن غنْم ـ ويقال عابد فيما قال ابن هشام ـ: سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعديّ بن الزَّغْباء، حليف لهم من جُهينة، رجلان.

ومن بني زيد بن ثعلبة بن غَنْم: مسعود بن أوس بن زيد؛ وأبو خُزيمة بن أوس بن زيد؛ بن أصرم بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد. ثلاثة نفر.

ومن بني سواد بن مالك بن غَنْم: عوف، ومُعوّذ، ومُعاذ، بنو الحارث بن رفاعة بن سواد؛ وهم بنو عفراء.

قال ابن هشام: عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجّار، ويقال: رفاعة: ابن الحارث بن سواد.

قال ابن إسحاق: والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد؛ ويقال: نُعيمان فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعامر بن مخلّد بن الحارث بن سواد؛ وعبدالله بن قيس بن خالد بن خَلَدة بن الحارث بن سواد، وعُصَيمة، حليف لهم من أشجع، ووديعة بن عمرو، حليف من جُهينة؛ وثابت بن عمرو بن زيد بن عدِيّ بن سواد. وزعموا أنّ أبا الحمراء، مولى الحارث بن عفراء، قد شهد بدراً. عشرة نفر.

قال ابن هشام: أبو الحمراء، مولى الحارث بن رفاعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن مالك بن النّجّار ـ وعامر: مبذول ـ ثم من بني عتيك بن عمرو بن مبذول: ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عَتِيك؛ وسهل بن عَتِيك بن عمرو بن النعمان بن عَتِيك، والحارث بن الصّمّة بن عمرو بن عَتِيك، كُسِر به بالرَّوْحاء فضرب له رسول الله ـ ﷺ ـ بسهمه. ثلاثة نفر.

ومن بني عمرو بن مالك بن النّجّار ـ وهم بنو حُدَيلة ـ ثم من بني قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النّجّار.

قال ابن هشام: حُدَيلة بنت مالك بن زيدالله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وهي أمّ معاوية بن عمرو بن مالك بن النّجّار، فبنو معاوية ينتسبون إليها.

قال ابن إسحاق: أُبَيّ بن كعب بن قيس، وأنس بن مُعاذ بن أنس بن قيس. رجلان.

ومن بني عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار.

قال ابن هشام: وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبد مَناة بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن خُزيمة، ويقال: إنها من بني زُرَيق، وهي أمّ عدِيّ بن عمرو بن مالك بن النّجّار، فبنو عَدِيّ يُنسبون إليها.

أوس بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدِيّ، وأبو شيخ أُبَيّ بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدِيّ.

قال ابن هشام: أبو شيخ بن أُبَيّ بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حَرام بن عمرو بن زيد بن عدِيّ. ثلاثة نفر.

ومن بني عدِيّ بن النّجّار، ثم من بني عدِيّ بن عامر بن غَنْم بن النّجّار: حارثة بن سُراقة بن الحارث بن عدِيّ بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وعمر بن ثعلبة بن وهْب بن عدِيّ بن مالك بن عدِيّ بن عامر وهو أبو حكيم، وسَلِيط بن قيس بن عمرو بن عَتِيك بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وأبو سَلِيط، وهو أَسَيرة بن عمرو، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدِيّ بن عامر، وعامر بن أُميّة بن زيد بن الحَسْحاس بن مالك بن عدِيّ بن عامر، ومُحرز بن عامر بن

مالك بن عدِيّ بن عامر، وسواد بن غَزِيّة بن أهْيَب، حليف لهم من بَليّ. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال: سوَّاد.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدِيّ بن النّجّار: أبو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زَعُوراء بن حَرام، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبْس بن حَرام.

قال ابن هشام: ويقال: أبو الأعور: الحارث بن ظالم.

قال ابن إسحاق: وسُليم بن مِلحان، وحَرام بن مِلْحان ـ واسم مِلْحان: مالك بن خالد بن زيد بن حَرام. أربعة نفر.

ومن بني مازن بن النّجّار، ثم من بني عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النّجّار: قيس بن أبي صعصعة، واسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف ـ وعبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف؛ وعُصَيمة، حليف لهم من بني أسد بن خُزيمة: ثلاثة نفر.

ومن بني خنساء بن مبذول بن عمرو بن مازن: أبو داود عُمَير بن عامر بن مالك بن خنساء، وسُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء. رجلان.

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النّجّار: قيس بن مُخَلّد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة. رجل.

ومن بني دينار بن النّجّار، ثم من بني مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النّجّار: النعمان بن عبد عمرو بن مسعود، والضَّحّاك بن عبد عمرو بن مسعود، وسُليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار، وهو أخو الضّحّاك والنُعمان ابني عبد عمرو، لأمّهما، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سُهيل بن عبدالأشهل: خمسة نفر.

ومن بني قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النّجّار:

كعب بن زيد بن قيس، وبُجير بن أبي بُجَير، حليف لهم. رجلان.

قال ابن هشام: بُجير: من عبْس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان، ثم من بني جَذِيمة بن رَواحة.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بدراً من الخزرج مئة وسبعون رجلاً.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلم يذكر في الخزرج ببدر، في بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عُتبان بن مالك بن عمرو بن العَجْلان، ومُلَيل بن وَبْرَة بن خالد بن العجْلان، وعِصْمة بن الحُصَيْن بن وَبرة بن خالد بن العَجْلان.

وفي حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وهم في بني زُريق هلال بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مَناة بن حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بدراً من المسلمين، من المهاجرين والأنصار من شهدها منهم، ومن ضرب له بسهمه وأجره، ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً[١]، ومن الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلاً[٢].

من استُشْهد من المسلمين يوم بدر[٣]

واستُشْهِد من المسلمين يوم بدر، مع رسول الله - ﷺ -، من قريش، ثم من بني المطّلب بن عبد مَناف: عُبيدة بن الحارث بن المطّلب، قتله

(١) تاريخ الطبري ٤٧٧/٢
(٢) تاريخ الطبري ٤٧٧/٢
(٣) المغازي للواقدي ١٤٥/١ - ١٤٧، المغازي لعروة ٢٥٣، تاريخ الطبري ٤٧٧/٢، سيرة ابن كثير ٥١٠/٢، عيون الأثر ٢٨٤/١، ٢٨٥، أنساب الأشراف ٢٩٥/١، ٢٩٦

عُتبة بن ربيعة، قطع رِجْله، فمات بالصفراء. رجل.

ومن بني زُهـرة بن كِلاب. عُميـر بن أبي وقّاص بن أهْيب بن عبـد مَناف بن زُهرة، وهو أخو سعد بن أبي وقّاص، فيما قال ابن هشام، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة، حليف لهم من خُزاعة، ثم من بني غُبْشان. رجلان.

ومن بني عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ: عاقل بن البُكَير، حليف لهم من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطّاب. رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهْر: صفوان بن بيضاء رجل. ستة نفر.

ومن الأنصار، ثم من بني عمرو بن عوف: سعد بن خَيثمة، ومبشّر بن عبد المنذر بن زنبر. رجلان.

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن فسُحم. رجل.

ومن بني سَلِمة، ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة عُمَير بن الحُمام. رجل.

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم: رافع بن المُعَلَّى. رجل.

ومن بني النَّجّار: حارثة بن سُراقة بن الحارث. رجل.

ومن بني غَنْم بن مالك بن النَّجّار: عوف ومُعَوّذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد، وهما ابنا عفراء. رجلان. ثمانية نفر.

من قُتل ببدر من المشركين[١]

وقُتل من المشركين يوم بدر من قريش، ثم من بني عبد شمس بن عبد مَناف: حنظلة بن أبي سُفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس، قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله - ﷺ - فيما قال ابن هشام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعليّ وزيد، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والحارث بن الحضْرميّ، وعامر بن الحضْرميّ حليفان لهم قتل عامراً: عمّار بن ياسر، وقتل الحارث: النعمان بن عصر، حليف للأوس، فيما قال ابن هشام. وعُمير بن أبي عُمَير، وابنه: مَوْلَيان لهم. قتل عُمير بن أبي عمير؛ سالم، مولى أبي حُذيفة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعُبيدة بن سعيد بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، قتله الزُبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة قتله عليّ بن أبي طالب. وعُقبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف، صبراً[٢].

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله عُبيدة بن الحارث بن المطّلب.

قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعليّ.

قال ابن إسحاق: وشَيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبدالمطّلب، والوليد بن عُتبة بن ربيعة، قتله عليّ بن أبي طالب، وعامر بن

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٤٧ - ١٥٢، أنساب الأشراف ١/٢٩٦ - ٣٠١، تاريخ الإسلام (المغازي)، ١٢٥، عيون الأثر ١/٢٨٥.

(٢) قُتل صبراً: شُدّت يداه ورِجلاه، أو أمسك به أحد ليقتل.

عبـدالله، حليف لهم من بني أنمار بن بَغيض، قتله عليّ بن أبي طـالب. اثنـا عشر رجلاً.

ومن بني نوفل بن عبد مَناف؛ الحـارث بن عامـر بن نوفـل، قتله ـ فيما يذكرون ـ خَبيب بن أبي إسـاف، أخو بني الحـارث بن الخزرج، وطُعيمـة بن عدِيّ بن نوفـل، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقـال: حمزة بن عبـد المطّلب. رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصيّ: زَمَعة بن الأسـود بن المطّلب بن أسد.

قـال ابن هشام: قتله نـابت بن الجِذع، أخـو بني حَرام، فيمـا قال ابن هشام.

ويقال: اشترك فيه حمزة وعليّ بن أبي طالب وثابت.

قال ابن إسحاق: والحارث بن زَمعة، قتله عمّار بن ياسر ـ فيما قال ابن هشام ـ وعَقِيل بن الأسود بن المطّلب، قتله حمـزة وعليّ، اشتركـا فيه ـ فيمـا قال ابن هشام ـ وأبو البَخْتَرِيّ، وهـو العاص بن هشـام بن الحارث بن أسـد، قتله المجذّر بن ذياد البَلَويّ.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيّ: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحاق: ونوفل بن خُـويلد بن أسد، وهـو ابن العدويـة، عدِيّ خُزاعة، وهو الذي قرن أبا بكر الصِّدِّيق، وطلحـة بن عُبيدالله حين أسلمـا في حبْل، فكانا يسمَّيان: القرينين لذلك، وكان من شياطين قريش ـ قتله عليّ بن أبي طالب. خمسة نفر.

ومن عبـدالـدار بن قُصَيّ: النضـر بن الحـارث بن كَلَدة بن علقمـة بن عبدمَناف بن عبـدالدار، قتله عليّ بن أبي طـالب صبراً عنـد رسول الله ـ ﷺ ـ بالصفراء، أبن كَلَدة بن عبد مَناف.

قال ابن إسحاق: وزيد بن مليص مولى عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار. رجلان.

قال ابن هشام: قتل زيد بن مُلَيص بلالُ بن رَباح، مولى أبي بكر، وزيد حليف لبني عبدالدار، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ويقال: قتله المقداد بن عمرو.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرّة: عُمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: قتله عليّ بن أبي طالب. ويقال: عبدالرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن مالك بن عُبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله صُهيب بن سنان. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة: أبو جهل بن هشام ـ واسمه عَمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ـ ضربه مُعاذ بن عَمرو بن الجَمُوح، فقطع رِجْله، وضرب ابنه عِكرمة يد مُعاذ فطرحها، ثم ضربه مُعوَّذ بن عفراء حتى أثبته[٢]، ثم تركه وبه رَمَق؛ ثم ذفّف عليه[٣] عبدالله بن مسعود، واحتزّ رأسه، حين أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يُلتمس في القتلى ـ والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، قتله عمر بن الخطّاب، ويزيد بن عبدالله، حليف لهم من بني تميم.

---

(١) الأثيل: موضه قريب من المدينة.

(٢) أثبته: جرحه جراحة بالغة لا يقوم معها.

(٣) ذفّف عليه: اسرع قتله.

قال ابن هشام: ثم أحد بني عمرو بن تميم، وكان شجاعاً، قتله عمّار بن ياسر.

قال ابن إسحاق: وأبو مُسافع الأشعريّ، حليف لهم، قتله أبو دُجانة السّاعديّ ـ فيما قال ابن هشام ـ وحَرْملة بن عمرو، حليف لهم.

قال ابن هشام: قتله خارجه بن زيد بن أبي زهير، أخو بلحارث بن الخزرج، ويقال: بل عليّ بن أبي طالب ـ فيما قال ابن هشام ـ وحرملة، من الأسد.

قال ابن إسحاق: ومسعود بن أبي أُميَّة بن المغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب ـ فيما قال ابن هشام ـ وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة.

قال ابن هشام: قتله حمزة بن عبد المطّلب.

قال ابن إسحاق: وأبو قيس بن الفاكه بن المُغِيرة، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: قتله عمّار بن ياسر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ورفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، فيما قال ابن هشام: والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد قتله معن بن عدِيّ بن الجدّ بن العَجْلان حليف بني عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة بن عابد، قتله عليّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن هشام: السائب بن أبي السائب شريك رسول الله ـ ﷺ ـ الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «نِعْم الشَّريك السائب لا يشاري ولا

يماري»[1]، وكان أسلم فحسُن إسلامه ـ فيما بلغنا ـ والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزُهريّ عن عُبيدالله بن عُتبة، عن ابن عباس: أنّ السائب بن أبي السائب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله ـ ﷺ ـ من قريش، وأعطاه يوم الجُعرانة من غنائم حُنَين.

قال ابن هشام: وذكر غير ابن إسحاق: أن الذي قتله الزبير بن العوام.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبدالمطّلب، وحاجب بن السائب بن عُويمر بن عمر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: ويقال: عائذ: ابن عمران بن مخزوم، ويقال: حاجز بن السائب ـ والذي قتل حاجب بن السائب عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُويمر بن السائب بن عُويمر، قتله النعمان بن مالك القَوْقليّ مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعمرو بن سفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيّ قتل عمراً يزيد بن رُقيش، وقتل جابراً أبو بُردة بن نِيار فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: سبعة عشر رجلاً.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ: منبّه بن الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعيد بن سهم، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، وابنه العاص بن مُنبِّه بن الحَجّاج، قتله عليّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام: ونُبيه بن الحَجّاج بن عامر قتله حمزة بن عبدالمطّلب وسعد بن أبي

---

(١) الحديث عند ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الشركة والمضاربة (٢٢٨٧) من طريق سفيان، عن ابراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب، قال للنبيّ ﷺ: «كنت شريكي في الجاهلية، فكنت خير شريك. كنت لا تداريني ولا تماريني». وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب (٤٨٣٦) باب في كراهية المراء، وأحمد في المسند ٣/٤٢٥

وقـاص اشتركـا فيه، فيمـا قال ابن هشـام، وأبو العـاص بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم.

قـال ابن هشام: قتله عليّ بن أبي طـالب، ويقال: النعمـان بن مـالـك القوقلي، ويقال: أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق: وعـاصم بن عوف بن ضُبَيـرة بن سعيد بن سهم، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، فيما قال ابن هشام: خمسة نفر.

ومن بني جُمَـح بن عمـرو بن هُصَيص بن كـعب بـن لُؤَيّ: أُميَّـة بن خَلَف بن وهْب بن جُمَح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن.

قـال ابن هشـام: ويقـال: بـل قتله مُعـاذ بن عفـراء وخـارجـة بن زيـد وخُبَيب بن إساف، اشتركوا في قتله.

قـال ابن إسحاق: وابنـه عليّ بن أُميَّة بن خَلَف، قتله عمّـار بن ياسـر، وأوس بن مِعير بن لَوْذان بن سعد بن جُمَح، قتله عليّ بن أبي طالب فيما قـال ابن هشام، ويقال: قتله الحُصَين بن الحارث بن المطّلب وعثمان بن مظعون، اشتركا فيه، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: ثلاثة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: معاوية بن عـامر، حليف لهم من عبـد القيس، قتله عليّ بن أبي طالب ويقال: قتلّه عُكّاشة بن مِحْصَن، فيما قال ابن هشام.

قــال ابن إسحــاق: ومَعْبــد بن وهْب، حليف لهم مـن بني كلب بـن عوف بن كعب بن عامر بن ليث، قتل مَعْبداً خالد وإياس ابنا البُكير، ويقال: أبو دُجانة، فيما قال ابن هشام. رجلان.

قـال ابن هشـام: فجميـع من أحصي لنـا من قَتلى قـريش يـوم بــدر. خمسون رجلاً.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، عن أبي عمرو: أنّ قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن المسيّب، وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾[1] يقوله لأصحاب أُحُد - وكان من استُشهد منهم سبعين رجلاً - يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلَي من استُشهد منكم يوم أُحُد، سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً. وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ لكعب بن مالك:

فأقام بالعَطَن[2] المُعَطَّن منهمُ سبعون، عُتْبةُ منهمُ والأَسْوَدُ

قال ابن هشام: يعني قتلى بدر. وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أُحُد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى:

من بني عبد شمس بن عبدمَناف: وهْب بن الحارث، من بني أنمار بن بَغيض، حليف لهم وعامر بن زيد، حليف لهم من اليمن رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى: عُقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعُمير مولى لهم. رجلان.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: نُبَيه بن زيد بن مُليص، وعُبيد بن سَلِيط، حليف لهم من قيس. رجلان.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: مالك بن عُبيدالله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عُبيدالله بن عثمان أُسِر فمات في الأسارى، فعُدّ في القتلى، ويقال: وعمرو بن عبدالله بن جُدعان. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: حُذَيفة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقّاص وهشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله صُهيب بن سِنان،

(١) سورة آل عمران - الآية ١٦٥

(٢) العَطَن: (في الأصل) مبرك الإبل حول الماء. واستعاره هنا لقتلى يوم بدر من المشركين.

وزُهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أُسَيد مالك بن ربيعة، والسائب بن أبي رفاعة، قتله عبدالرحمن بن عوف، وعائذ بن السائب بن عُويمر، أُسِر ثم افتُدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبدالمطلب، وعُمير حليف لهم من طيّء، وخيار، حليف لهم من القارة. سبعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو: سبرة بن مالك، حليف لهم. رجل.

ومن بني سهم بن عمرو: الحارث بن مُنبِّه بن الحَجّاج، قتله صُهَيب بن سِنان، وعامر بن عوف بن ضُبيرة أخو عاصم بن ضُبيرة، قتله عبدالله بن سلمة العجلاني، ويقال: أبو دُجانة: رجلان.

ذِكْر أَسْرَى قريش يوم بدر[1]

قال ابن إسحاق: وأُسِر من المشركين من قريش يوم بدر، من بني هاشم بن عبدمَناف: عَقِيل بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبدالمطّلب بن هاشم.

ومن بني المطّلب بن عبد مَناف: السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب؛ ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطّلب. رجلان.

ومن بني عبد شمس بن عبدمَناف: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس؛ والحارث بن أبي وَجْزَة بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس، ويقال: ابن أبي وحْرَة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وأبو العاص بن الربيع بن عبدالعُزَّى بن عبد شمس، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس.

ومن حلفائهم: أبو رِيشة بن أبي عمرو؛ وعمرو بن الأزرق؛ وعُقبة بن

(١) المغازي للواقدي ١/١٣٨ ـ ١٤٤، أنساب الأشراف ١/٣٠١ ـ ٣٠٤ رقم ٦٧٣، عيون الأثر ١/٢٨٦، ٢٨٧

عبد الحارث بن الحضرميّ. سبعة نفر.

ومن بني نوفل بن عبدمَناف: عدِيّ بن الخيار بن عدِيّ بن نوفل؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غَزْوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ أبو ثور، حليف لهم. ثلاثة نفر.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: أبو عَزيز بن عُمير بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدار، والأسود بن عامر، حليف لهم. ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السبّاق. رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ: السائب بن أبي حُبَيش بن المطّلب بن أسد، والحُوَيرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد.

قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحاق: وسالم بن شمّاخ، حليف لهم. ثلاثة نفر.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرَّة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وأُميَّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة؛ وعثمان بن عبدالله بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وصَيفيّ بن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله؛ وأبو المنذر ابن أبي رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأبو عطاءعبدالله بن أبي السائب بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، والمطّلب بن حنطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم؛ وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان - فيما يذكرون - أول من ولّى فارّاً منهزماً، وهو الذي يقول:

ولسنا على الأدبار تَدْمَى كُلومنا[1] ولكنْ على أقْدامِنا يقطُرُ الدَّمُ

تسعة نفر.

---

(١) الكلوم: الجراحات.

قال ابن هشام: ويُروى: «لسنا على الأعقاب».

وخالد بن الأعلم، من خُزاعة؛ ويقال: عُقيليّ.

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: أبو وَداعة بن ضُبيرة بن سُعَيد بن سعد بن سهم، كان أول أسير أفتُدِي من أسرى بدر، افتداه ابنه المطّلب بن أبي وَداعة؛ وفروة بن قيس بن عَدِيّ بن حُذافة بن سعد بن سهم، وحنظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سعد بن سهم، والحَجّاج بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم. أربعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدالله بن أُبَيّ بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عثمان بن وُهَيْب بن حُذافة بن جُمَح، والفاكه، مولى أُميّة بن خَلَف، ادّعاه بعد ذلك ربَاح بن المغترف، وهو يزعم أنه من بني شمّاخ بن مُحارب بن فِهْر - ويقال: إنّ الفاكه: ابن جرول بن حَذْيم بن عوف بن غَضْب بن شمّاخ بن مُحارب بن فهْر - ووهْب بن عُمير بن وهْب بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وربيعة بن دُراج بن العنبس بن أهْبان بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بني سالم بن عوف، وعبد بن زَمَعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن مالك بن حِسْل بن عامر. ثلاثة نفر.

ومن بني الحارث بن فِهْر: الطُفَيل بن أبي قُنيع، وعُتبة بن عمرو بن جَحدم. رجلان.

قال ابن إسحاق: فجميع من حُفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلاً.

قال ابن هشام: وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه.

وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى: من بني هاشم بن عبدمَناف: عُتبة، حليف لهم من بني فِهْر. رجل.

ومن بني المطّلب بن عبدمَناف: عَقِيل بن عمرو، حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه. ثلاثة نفر.

ومن بني عبد شمس بن عبدمَناف: خالد بن أُسَيد بن أبي العيص، وأبو العريض يسار، مولى العاص بن أُميّة. رجلان.

ومن بني نوفل بن عبدمَناف: نبهان، مولى لهم. رجل.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: عُبيدالله بن حُميد بن زهير بن الحارث. رجل.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: مسافع بن عِياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، وجابر بن الزُّبير، حليف لهم. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: قيس بن السائب. رجل.

ومن بني جُمَح بن عمرو: عمرو بن أُبيّ بن خَلَف، وأبو رُهْم بن عبدالله، حليف لهم، وحليف لهم ذهب عنّي اسمه، ومَوْليان لأُميّة بن خَلَف، أحدهما نِسطاس، وأبو رافع، غلام أُميّة بن خَلَف. ستة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو: أسلم، مولى نُبَيه بن الحَجّاج. رجل.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: حبيب بن جابر، والسائب بن مالك. رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهْر: شافع وشَفِيع، حليفان لهم من أرض اليمن. رجلان[1].

---

(١) راجع أنساب وأخبار من حضر بدراً وشهداء بدر من المسلمين والقتلى من المشركين وأسرى المشركين في (الروض الأنف ٣/ ٩٩ وما بعدها).

ما قيل من الشِعر في يوم بدر

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر، وتراد به القوم بينهم لِما كان فيه، قول حمزة بن عبدالمطّلب يرحمه الله:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنْكرها ونقيضتها:

ألم تر أمراً كان من عَجَبِ الدَّهرِ ... وللحَيْنِ[1] أسبابٌ مبيَّنة الأمر

وما ذاك إلّا أنّ قوماً أفادهم[2] ... فخانوا تَواصٍ بالعُقوق وبالكفر

عَشِيَّة راحوا نحو بدْر بجمْعهم ... فكانوا رُهوناً للرَّكيَّةِ[3] من بدر

وكنّا طَلَبْنا العِير لم نبْغِ غيرَها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدْر

فلمّا التقينا لم تكُن مَثْنَويّةٌ[4] ... لنا غير طَعْن بالمُثَقَّفة السُّمْر

وضَرْبٍ ببيضٍ يَخْتلي الهامَ حَدُّهَا ... مُشَهَّرَة الألوان بيِّنة الأُثُر[5]

ونحن تركنا عُتبة الغَيّ ثاوياً ... وشَيْبة في القتلى تَجَرْجَمَ في الجَفْر[6]

وعمرو ثَوَى فيمن ثَوَى من حُماتهم ... فشُقّتْ جُيُوب النّائحات على عمرو

جُيوبُ نساء من لُؤَيّ بن غالب ... كرام تَفَرّعْن الذَّوائبَ من فِهْر[7]

أولئك قومٌ قُتِّلوا في ضلالهم ... وخَلّوا لواءً غير مُحْتَضَر النَّصْر

لواء ضَلال قاد إبليسُ أهلَه ... فخاس[8] بهم، إنّ الخبيثَ إلى غَدْر

وقال لهم، إذا عاين الأمرَ واضحاً ... برِئتُ إليكم ما بيَ اليومَ من صبْر

---

(١) الحين: الهلاك

(٢) أفادهم: أهلكهم.

(٣) الركية: البئر ذات الماء.

(٤) مَثْنوِيّة: رجوع.

(٥) يختلي: يقطع. والهام: الرءوس والأثر: بضمّتين أثر الجرح والجمع آثار وأثور، وإذا كان بفتح فسكون فهو جوهر السيف

(٦) تجرْجَم: تسقط، والجَفْر: البئر المتّسعة.

(٧) تفرّعن: علون، والذوائب: الأعالي.

(٨) خاس: غدر.

فـإنّي أرى مـا لا تَـرَوْن وإنّـني أخـاف عِقـاب الله والله ذو قَسْـر[١]
فقـدّمهـم للحَيْن حتّى تَـوَرَّطـوا وكـان بمـا لم يَخْبُـر القـومُ ذا خُبْـر
فكـانـوا غـداةَ البِئـر ألفـاً وجَمْعُنـا ثـلاثُ مِئين كـالمُسـدَّمـة الـزُّهْـر[٢]
وفيـا جنـودُ الله حيـن يُمـدّنـا بهم في مقـام ثَمَّ مُسْتَوْضَح الـذِّكْـر
فشـدّ بهم جبـريـلُ تحت لـوائنـا لـدى مَأزِق فيـه منايـاهُم تَجْـري[٣]

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

ألا يـا لَقَـومي للصَّبـابـة[٤] والهَجْـر وللحُـزْن منّي والحـرارة في الصّـدْر
وللدَّمْـع من عينـيّ جَـوْداً كـأنّـه فريدُ هَـوَى من سِلْك ناظِمـة يجْرِي
على البـطل الحُلْو الشمائـل إذ ثَوَى رَهِـيـنَ مـقّـام لـلرّكـيّـة مـن بَـدْر
فـلا تَبْعُدَنَ يـا عمرو من ذي قَـرابـة ومن ذي نَـدام كـان ذا خُلُق غِمـر[٥]
فـإنْ يكُ قـومٌ صـادَفـوا منـك دَوْلـةً فـلا بُـدّ لـلأيـام من دُول الـدَّهْـر
فقد كنتَ في صَرْف الزّمان الذي مضى تُـريهم هَـوانـا منـك ذا سُبُـل وَعْـر
فـإلّا أمُتْ يا عَمْـرو أتْرُكـك ثـائـراً[٦] ولا أُبْقِ بُعقْيَـا في إخـاءٍ ولا صِهْـر
وأقـطَعُ ظهـراً من رجـال بمَعْشَـر كِـرامٍ عليهم مثل مـا قطعـوا ظَهْري
أغَـرَّهـم مـا جمَّعـوا من وشيـظة[٧] ونحن الصَّميمُ في القبـائل من فِهْـر
فيـال لـؤَيّ ذَبِّـوا عن حَـريمكم وآلهـةٍ لا تتـركـوهـا لـذي الفخْـر
تَـوارثـهـا آبـاؤكـم وورِثْـتُـمُ أواسِيّهـا[٨] والبيتَ ذا السَّقْف والسِّتر

---

(١) القَسْر: الغلبة.
(٢) المسدّمة: الفُحُول من الإبل، والزُهر: البيض.
(٣) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٤، ٥٢٥، عيون الأثر ١/٢٨٨ وفيه بعض الألفاظ المختلفة عمّا في السيرة وهي من أغلاط النسخ.
(٤) الصّبابة: رقّة الحب أو الحبّ الشديد.
(٥) الغِمْر بسكون الميم: الكريم الواسع الخلق، وهذا المعنى هو الذي يقصده هنا.
(٦) الثائر: صاحب الثأر.
(٧) الوشيظة: الأتباع الذين ليسوا من القوم.
(٨) الأواسيّ: ما تأسّس عليها الأبنية.

فما لِحَليمٍ قد أراد هلاككم فلا تَعْذِروه آلَ غالب من عُذْر
وجِدّوا لمن عاديتُم وتَوازَرُوا وكونوا جميعاً في التأسّي وفي الصَّبْر
لعلَّكُمُ أنْ تثْأرُوا بأخيكُمُ ولا شيءَ إنْ لم تثأروا بذَوِي عمرو
بِمُطَّرَدَاتٍ[1] في الأَكُفِّ كأنّها وميضٌ تُطِير الهامَ بيِّنة الأُثْر
كأنّ مَدَبَّ الذّر فوق مُتُونها إذا جُرِّدت يوماً لأعدائها الخَزْر[2]

قال ابن هشام: أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحاق، وهما «الفخر» في آخر البيت، و «فما لِحَليم»، في أول البيت، لأنه نال فيهما من النبيّ - ﷺ -.

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب في يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشِعر يعرفها ولا نقيضتها، وإنّما كتبناهما لأنه يقال: إنّ عمرو بن عبدالله بن جِدْعان قُتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى، وذكره في هذا الشعر:

ألم تر أنّ الله أبلى[3] رسولَه بلاءَ عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذي فضْلِ
بما أنزل الكفّارَ دارَ مَذَلَّةٍ فلاقوا هَوانا من إسارٍ ومن قَتْل
فأمسى رسولُ الله قد عزّ نصْرُه وكان رسول الله أُرسِل بالعدْل
فجاء بفُرْقانٍ من الله مُنزَلٍ مُبَيَّنةٌ آياتُه لذوي العقْل
فآمن أقوامٌ بذاك وأَيْقنوا فأمْسَوا بحمدالله مُجتمعي الشمل
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم فزادهمُ ذو العرش خَبْلا على خبْل
وأمكن منهم يوم بدرٍ رسولَه وقوماً غِضاباً فعْلُهم أحسن الفِعل
بأيديهمُ بيضٌ خِفافٌ عَصُوا بها وقد حادَثوها[4] بالجَلاء وبالصَّقل

(١) المطّردات: المهتزّة. أي بسيوف مهتزّة.
(٢) الذّر: صغار النمل. والخزْر: الناظرون بمؤخرة عيونهم كِبْراً. وقد وردت الأبيات الستة الأولى فقط في عيون الأثر ١/٢٨٨، ٢٧٩ وتركها ابن كثير كلها في سيرته عمداً كما قال (٢/٥٢٥)
(٣) أبلى: أي منّ وأنعم.
(٤) عصوا: ضربوا: وحادثوها: تعهّدوها.

فكم تـركُـوا من نـاشيءٍ ذي حَمِيَّةٍ ... صَـرِيعاً ومن ذي نجْـدة منهمُ كهْـل

تَبيتُ عيـونُ النَّـائحـات عـليهـمُ ... تَجـودُ بإسْبال الرَّشاش وبالـوَبْـل[1]

نـوائـحَ تَنْعَى عُتْبـةَ الغَـيَّ وابنَـ ه ... وشَيْبـةَ تَنْعـاه وتَـنْعـى أبـا جهـل

ذا الرِّجْلِ تَنْعَى وابن جُـدْعان فيهمُ ... مُسَلِّبـةً[2] حَـرَّى مبيّنـة الشكْـل

ثَـوَى منهم في بئر بـدر عِصابـةٌ ... ذَوي نَجَدات في الحُروب وفي المَحْل

دعـا الغَيُّ منهم مَن دعـا فـأجـابـه ... وللغَيّ أسبابٌ مُـرمَّقـة[3] الـوصْـل

فـأضْحَوا لـدَى دار الجحيم بمْعـزِل ... عن الشَّغْب والعُدْوان في أشغل الشُّغْل[4]

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

عـجبتُ لأقـوام تغنَّى سفيهُهُمْ ... بأمرٍ سفـاهٍ ذي اعتراض وذي بُطْلِ

تغنَّى بقتلَى يـوم بـدرٍ تَـتـابعـوا ... كِرام المساعي من غـلامٍ ومن كَهْل

مصاليتَ[5] بيض من لُؤَيِّ بن غالبٍ ... مَطَاعينَ في الهَيْجا مَطاعِيم في المَحْل

أُصِيبُـوا كِـرامـاً لم يَبيعُـوا عشيـرةً ... بقوم سِواهم نـازِحي الدّار والأَصْـلِ

كمـا أصبحَتْ غسّـانُ فيكم بـطانـةً ... لكم بـدلاً منّـا فيـا لـك من فِعْـل

عُقـوقـا وإثمـا بـيِّنـا وقـطيعـةً ... يَرى جَورَكم فيها ذَوُو الرّأي والعقـل

فـإن يـكُ قـومٌ قـد مَضَـوا لسبيلهم ... وخيـرُ المنـايـا مـا يكـون من القتـل

فـلا تَفْـرحـوا أنْ تَقْتلوهم فقتلُهـم ... لكم كـائنٌ خَبْـلاً مُقيمـاً على خَبْـل

فـإنّكم لن تَبْـرحـوا بعـد قَتْـلهم ... شَتِيتـاً هَواكم غيـر مُجتمعي الشمـل

بفَقْـد ابن جُـدْعـان الحميـد فِعـالُـه ... وعُتبـةَ والمـدعُـوِّ فيكم أبـا جهـل

وشَـيْبـة فـيهـم والـوليـد وفـيهـمُ ... أُميّـة مـأوَى المُعْتَرين وذو الـرِّجْـل

---

(1) الإسبال: الإرسال، والرشاش: المطر الضعيف، والوبل: ما كثر من المطر.

(2) ذا الرِّجل: هو الأسود الذي قطع حمزة رجله عند الحوض ثم قتله فيها. والمسَلِّبة: التي تلبس السلاب وهي خرقة سوداء تلبسها الثُّكلى.

(3) المرمّقة: الضعيفة.

(4) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٥، ٥٢٦ وفيه في آخره: «في أسفل السفل» وفي عيون الأثر ١/٢٨٩ ورد البيتان الأولان فقط.

(5) المصاليت: الشجعان.

أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم ... نوائحُ تَدْعو بالرزيّة والثُّكْل
وقولوا لأهل المكَّتَيْن تحاشدُوا ... وسِيروا إلى آطام يثرِبَ ذي النخل[1]
جميعاً وحامُوا آل كعبٍ وذَبِّبوا[2] ... بخالِصةِ الألوان مُحدَثة الصَّقْل
وإلّا فبيتوا خائفين وأصبحوا ... أذلَّ لوطْءِ الوَاطئين من النعل
على أنّني واللات يا قومُ فاعلمُوا ... بكم واثقٌ أن لا تُقِيموا على تبْل[3]
سوى جمعكم للسّابغات[4] وللقَنا ... وللبَيض والبِيضِ القواطع والنبل[5]

وقال ضِرار بن الخطّاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فِهْر، في يوم بدر:

عجبتُ لفَخْر الأوس والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ
وفخر بني النّجّار إن كان معشرٌ ... أُصيبوا ببدر كلّهم ثمّ صابر
فإن تكُ قتْلَى غُودِرَت من رجالنا ... فإنّا رجالٌ بعدهم سنُغادِر
وتَرْدي بنا الجُرْد العناجِيجُ وَسطكم ... بني الأوس حتى يَشْفي النفسَ ثائر[6]
ووسْطَ بني النّجّار سوف نَكُرُّها ... لها بالقَنا والدّارعين زوافَر
فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ[7] الطيرُ حولهم ... وليس لهم إلّا الأمانيَّ ناصر
وتَبكيهم من أهل يثرب نِسوةٌ ... لهنّ بها ليلٌ عن النوْم ساهر
وذلك أنّا لا تزال سُيُوفنا ... بهنّ دمٌ ـ ممّن يُحاربن ـ مائر[8]
فإنْ تَظْفَروا في يوم بدر فإنّما ... بأحمدَ أمسَى جدُّكم وهو ظاهر

---

(١) المكتين: يقصد مكة والطائف. والآطام: جمع أطم. الحصن.
(٢) ذببوا: امنعوا.
(٣) التبل: العداوة.
(٤) السابغات صفة لموصوف محذوف أي الدروع السابغات.
(٥) وردت ستة أبيات فقط من القصيدة في عيون الأثر ١/٢٨٩، وتركها كلها ابن كثير في السيرة عمداً ٢/٥٢٦
(٦) تردي: تسرع. والجُرد: الخيل القصيرات الشعر، العناق. والعناجيج: الطوال. السراع. والثائر: الطالب ثأره.
(٧) تعصب: تجتمع.
(٨) مائر: سائل.

وبالنَّفَر الأخيْار هم أولياؤه يُحامُون في الَّلأْواء والموتُ حاضر
يُعَدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ويُدْعى عليّ وسْط مَن أنت ذاكر
ويُدعى أبو حفص وعثمانُ منهمُ وسعْدٌ إذا ما كان في الحرب حاضر[1]
أولئك لا من نَتَّجَتْ في ديارها بنو الأوس والنّجّار حين تفاخر
ولكنْ أبوهم من لُؤيّ بن غالبٍ إذا عُدَّت الأنسابُ كعبٌ وعامر
هم الطّاعِنون الخَيْل في كل مَعْرَك غداةَ الهِياج الأطْيبونَ الأكاثر[2]

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سَلِمة، فقال:

عَجِبتُ لأمر الله والله قادرٌ على ما أراد، ليس لله قاهِرُ
قضى يومَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً بَغَوْا وسبيل البغْي بالناس جائر
وقد حشَدوا واستنفروا مَن يليهمُ من الناس حتى جمعهُم متكاثر
وسارتْ إلينا لا تُحاول غيرَنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حوله له معقِلٌ منهم عزيز وناصر
وجمْعُ بني النّجّار تحت لِوائه يُمشّون في الماذِيّ والنَّقْعُ ثائر[3]
فلّما لَقِيناهم وكلٌّ مُجاهد لأصحابه مُستَبسلُ النفس صابر
شهِدْنا بَأنّ الله لا ربَّ غيره وأنّ رسولَ الله بالحق ظاهر
وقد عُرِّيت بيضٌ خِفافٌ كأنّها مَقاييس يزْهِيها[4] لعَيْنَيك شاهر
بهنّ أبْدنا جمعَهم فتبدّدوا وكان يُلاقي الحَيْنَ مَن هو فاجر
فكبّ أبو جَهل صريعاً لوجْهه وعُتبةُ قد غادَرنه وهو عاثر
وشيبةَ والتَّيْميّ غادَرْن في الوَغى وما منهُم إلّا بذي العرش كافر
فأمسَوْا وَقُودَ النّار في مُسْتَقرِّها وكلّ كَفور في جهنّم صائر

---

(١) هذا البيت ساقط من عيون الأثر.
(٢) راجع عيون الأثر ١/٢٨٩، ٢٩٠ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٣) الماذي: الدرع اللّينة السهلة.
(٤) يزهيها: يحرّكها.

تلظّى عليهم وهي قد شبّ حَمْيُها ... بزُبْر الحديد والحِجارة ساجر[1]
وكان رسول الله قد قال أقبِلوا ... فولّوا وقالوا: إنّما أنت ساحر
لأمرٍ أراد الله أن يَهْلِكوا به ... وليس لأمرٍ حَمَّه[2] الله زاجر[3]

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ يبكي قتلى بدر:

قال ابن هشام: وتُروى للأعشى بن زُرارة بن النّبّاش، أحد بني أُسَيد بن عمرو بن تميم، حليف بني نوفل بن عبدمَناف.

قال ابن إسحاق: حليف بني عبد الدّار:

ماذا على بدر وماذا حوله ... من فِتْية بيض الوجُوه كرامِ
تركوا نُبَيهاً خَلْفهم ومُنَبِّهاً ... وابنيْ ربيعة خيرَ خصْمٍ فِئام[4]
والحارثَ الفيّاض يَبْرُق وجهُهُ ... كالبدر جَلّى ليلةَ الإظلام
والعاصيَ بنَ مُنَبِّه وجدُودُه ... رُمْحاً تميماً غيرَ ذي أوْصام[5]
تَـ ـمي به أعراقُه وجُدُودُه ... ومآثر الأخْوال والأعمام
وإذا بكَى فأعْوَل شَجْوَة[6] ... فعلى الرّئيس الماجد ابن هشام
حيّا الإلهُ أبا الوليد ورَهْطَه ... ربّ الأنام، وخصّهم بسلام[7]

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

ابْكِ بَكت عيناك ثم تبادرتْ ... بدَم تُعَلّ غُروبُها سَجَّام[8]
ماذا بَكيتَ به الذين تَتابعوا ... هلا ذكرتَ مكارِمِ الأقوام

---

(١) تلظّى: تلتهب. وزُبْر الحديد؛ قِطَعُه. والساجر: المُوقد.
(٢) حمّه: قدّره.
(٣) الأبيات كلها في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٦، ٥٢٧
(٤) الفنام: الجماعات.
(٥) ذو مرة: صاحب قوة. والأوصام؛ العيوب.
(٦) الشجوة: الحزن.
(٧) الأبيات في أنساب الأشراف ١/٣٠٨ ما عدا البيت الأخير، مع اختلاف في الألفاظ.
(٨) تُعَل من العال وهو الشرب مرة بعد أخرى، والغروب: مجاري الدمع. والسجّام: السائل.
(٩) تتابعُوا: ألقوا بأنفسهم في التهلُكة.

وذكــرتَ منّــا مــاجــداً ذا هِــمَّــة ... سَمْــحَ الخــلائق صــادق الإقْــدام

أعني النَّبِيَّ أخَــا المكــارِمِ والنَّــدى ... وأبَــرَّ مـن يُـولي[1] عـلى الإقســام

فـلِمثـله ولمـثــل مــا يَــدْعــو لــه ... كــان المُمــدَّحَ ثَمَّ غيــرَ كَـهــام[2]

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ أيضاً:

تَبَلَتْ فؤادكَ في المنــام خـريــدةٌ[3] ... تَسْقي الضَّجيـعَ ببــارِدٍ بسّــام

كــالمِسْــكِ تَخْلِطه بمــاء سحــابــةٍ ... أو عــاتقٍ[4] كـدم الــذَّبيــح مُـدام

نُفُــجُ الحقيبــة بُــوصُهــا متنضّــدٌ ... بَلهــاءُ غَيْــرُ وشيكـةِ الإقْســام[5]

بُنِيت عـلى قَــطَن أَجَــمَّ كــأنّــه ... فُضُــلاً إذا قَعَـدتْ مَـدَاك رُخـام[6]

وتكــادُ تَكسَـل أنْ تجيء فِــراشَهــا ... في جِسْم خَــرْعَبَــة[7] وحُسْن قَــوَام

أمّــا النَّهــارُ فــلا أُفَتِّــر ذِكْــرَهــا ... والليــل تُــوزِعني[8] بهــا أحــلامي

أَقْسَمْتُ أنســاهــا وأتــرُكُ ذِكْــرَهــا ... حتى تُغَيَّبَ في الضّريـح عـظامي[9]

يــا مَن لِعــاذِلَــةٍ تـلوم سَـفــاهَــةً ... ولقــد عَصَيْتُ على الهـوى لُـوَّامي

بَكَـرَتْ عَليَّ بِسُحْرة بعد الكَرَى ... وتــقــارُبٍ مــن حــادث الأيــام

زعمتْ بــأنَّ المرء يكــرُبُ عُمــرَه ... عَــدَمٌ لـمعتكِـرٍ مـن الأَصْــرام[10]

إن كنتِ كــاذبــةَ الــذي حــدَّثْتني ... فنجـوتِ مَنْجَى الحـارثِ بن هشام

تــرك الأحبّــة أن يُقــاتــل دونـهم ... ونـجــا بــرأس طِـمــرَّة[11] ولـجــام

---

(١) يولي: يقسم.

(٢) الكهام: الضعيف.

(٣) تبلت: أسقمت. والخريدة: الحسنة الناعمة.

(٤) العاتق: الخمر المعتّقة.

(٥) النُفج: المرتفعة، والحقيبة وهي ما يجعله الراكب وراءه، استعارها هنا لرِدْف المرأة. والبوصيّ: الردْف. والبلهاء الغافلة. والإقسام: جمع قسم وهو اليمين.

(٦) قَطَنُها: وسطُها. والأجمّ: أي لا عظام فيه، والمداك: الحجر الذي يُدق عليه الطيب.

(٧) الخرعبة: حسنة الخلق.

(٨) تُوزعني: تُغْريني.

(٩) أنساها: أي لا أنساها.

(١٠) المعتكر: الإبل الكثيرة يرجع بعضها على بعض. والإصرام: الجماعات من الإبل.

(١١) الطمرّة: الفرس كثيرة الجري.

تـذر العَنـاجيـج الجيـاد بقَفْـرة ... مـرَّ الـدَّمُـوكِ بمُحْصَـدٍ ورِجـام[1]

مـلأت به الفَـرْجَين فـارمـدَّتْ[2] بـه ... وثَـوَى أحِـبَّـتُـه بـشَـرِّ مـقـام

وبنـو أبيـه ورَهْـطُه في مَعْـرك ... نـصـر الإلٰـهُ بـه ذوي الإسـلام

طحنتهُـمُ ، والله يُنْـفِـذ أمـرَه ... حـربٌ يُشَبُّ سَعيـرُهـا بضـرام

لـولا الإلٰـهُ وجَرْيُـها لَتـرَكْنـه ... جَـزَر السبـاع ودُسْنَـهُ بحَـوامـي

من بين مـأسـور يُشَـد وَثـاقُـهُ ... صَـقْرٍ إذا لاقى الأسِنَّـة حـامـي

ومُـجـدَّلٍ لا يستجيب لـدَعْـوة ... حـتـى تَـزُول شَـوامِـخُ الأعـلام

بـالـعـارِ والـذلّ المُبيّـن إذا رأى ... بِيضَ السيـوف تَسُوق كـلَّ هُمام

بيـدَيْ أغـرَّ إذا انتمى لـم يُخْـزِه ... نَسَبُ القِصـار سَمَيْـدَعٍ مِقْـدام[3]

بِيضٌ إذا لاقت حـديـداً صـمَّمَتْ ... كـالبَـرْق تحت ظـلال كـلِّ غمـام[4]

فأجابه الحارث بن هشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال؛

الله أعلمُ مـا تـركـتُ قـتـالَهـم ... حتى حَبَوْا مُهْري بأشْقر مُزْبِدِ[5]

وعـرفـتُ أنّي إن أُقـاتـلْ واحـداً ... أُقْتـلْ ولا يَنْكي عـدُوي مَشْهـدي

فـصـددْتُ عنـهم والأحبّـة فيـهمُ ... طمعـاً لهم بعقـاب يـوم مُفْسِـد[6]

قال ابن إسحاق: قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر.

---

(١) العناجيج: الطوال السراع. والدُّموك: البكرة بآلتها التي تكون عند رأس البئر. والحصد: الحبل الشديد الفتل، والرِجام: واحد الرجامين، وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة.

(٢) الفرجان: الفراغان اللذان بين يدي الفرس ورِجْليها. وأرْمدت: أسرعت.

(٣) القصار: من قصر سعْيهم عن كسب المحامد، والسَمَيْدع: السيد.

(٤) القصيدة في ديوان حسّان وفيه زيادة خمسة أبيات في آخرها، وفي سيرة ابن كثير ٢/٥٢٩، ٥٣٠، أما في عيون الأثر ١/٢٩٠ فوردت سبعة أبيات فقط من أولها. وفي نسب قريش ٣٠٢ ورد بيتان، وهي في الأغاني ٤/١٧، والاشتقاق لابن دريد ٩٢، والاستيعاب ١/٣٠٧، والإصابة (الترجمة) ١٥٠٠

(٥) في نسب قريش: «حتى رموا فرسي بأشقر مُزبد». والمزبد: ما قذف بالزبد،

(٦) ديوان حسان، ص ١٤ مع اختلاف باللفظ، الأغاني ٤/١٧، الاشتقاق ٩٣، الاستيعاب ١/٣٠٧، الإصابة (الترجمة) ١٥٠٠

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسّان ثلاثة[1] أبياتٍ من آخرها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

لقد علمتْ قريشٌ يوم بدْر ... غداةَ الأسْر والقتْل الشّديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالي ... حُماةُ الحرب يومَ أبي الوليد
قتلنا ابنَيْ ربيعة يومَ سارا ... إلينا في مُضاعفة الحديد
وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالت ... بنو النّجّار تَخْطِرُ كالأُسُود
وولّت عند ذاك جُموع فِهْر ... وأسْلمها الحُوَيْرثُ من بعيد
لقد لاقيتمُ ذُلًّا وقتْلا ... جَهِيزاً نافذاً تحتَ الوريد[2]
وكلُّ القوم قد ولّوْا جميعاً ... ولم يَلْوُوا على الحَسَب التّليد[3]

وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

يا حار قد عَوَّلْتَ[4] غير مُعوَّل ... عند الهياج وساعةَ الأحْساب
إذ تَمْتَطي سُرُحَ اليدَين نَجيبةً ... مَرْطَى الجِراء طويلة الأقراب[5]
والقومُ خَلْفك قد تركتَ قتالهم ... ترجو النَّجاةَ وليس حين ذَهاب
ألا عَطَفْتَ على ابن أمِّك إذ ثَوَى ... قَعْصَ[6] الأسنّة ضائِعَ الأسلاب
عجلَ المَليك له فأهْلكَ جَمْعه ... بشَنَارِ مُخْزِيةٍ وسُوء عذاب[7]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

---

(١) الصحيح خمسة أبيات كما في ديوان حسان ـ ص ٣ وطبقة البرقوقي ٣٦٣

(٢) الجهيز: السريع. والوريد عرق في صفحة العنق.

(٣) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣١، وفي عيون الأثر ١/٢٩١ خمسة أبيات.

(٤) عوّلت: عزمت.

(٥) سُرُح اليدين: سريعتهما. ومَرْطى الجراء: سريعة الجري. والأقراب: الخواصر.

(٦) القَعْص: القتل بسرعة.

(٧) سيرة ابن كثير ٢/٥٣١

قال ابن هشام: ويقال: بل قالها عبدالله بن الحارث السَّهْمِيّ:

مُسْتَشْعِري حَلَقِ الماذِيّ يقدُمُهم جَلْدُ النَّجِيزَة[1] ماضٍ غيرُ رِعْدِيد

أعني رسولَ إلَهِ الخلق فَضَّله على البريّة بالتَّقْوَى وبالجُود

وقد زعمتم بأنْ تَحْمُوا ذِماركم وماءُ بدر زعمتم غيرُ مورود

ثمّ وَرَدْنا ولم نسمعْ لِقَوْلكم حتى شرِبْنا رواءً غير تَصْريد[2]

مُسْتَعْصمين بحبلٍ غير مُنْجذم مُسْتَحكِم من حبالِ الله ممْدود

فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتْبعه حتى الممات ونصرٌ غيرُ محدود

وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُستضاء به بدرٌ أنار على كلِّ الأماجِيد[3]

قال ابن هشام: بيته: «مستعصمين بحبل غيْر منجذم» عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

خابتْ بنوأَسَدٍ غَزيُّهم يوم القَلِيب بسَوْءةٍ وفُضُوح

عن ظهر صادقة النجاء سَبُوح[4]

مِنهم أبو العاصي تجدّل مُقْعَصاً لمّا ثَوَى بمقامه المَذْبُوح

والمرءُ زَمْعَةُ قد تَركْن ونحرُه يَدْمَى بعانِد مُعْبَطٍ مسفوح[5]

مُتَوَسِّداً حُرَّ الجَبين مُعَفَّرا قد عُرّ[6] مارِنُ أنفه بقُبُوح

ونجا ابنُ قيسٍ في بقيّة رَهْطه بشَفا[7] الرِّماقِ مُوَلِّياً بجروح

وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

---

(١) المستشعر اللابس الثوب على جسده بلا حاجز. والمازيّ الدروع السهلة اللينة والنحيزة: الطبيعة.

(٢) الرواء التكثر من الماء، والتصريد: تقليل الشرب.

(٣) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨.

(٤) المُقْعَص: من قُتل بسرعة. والسَّبُوح: سريعة الجري كأنها تسبح في الماء لسهولة جرْيها.

(٥) العاند الذي يجري بلا انقطاع، ودم مُعْبَط: طريّ.

(٦) عُرّ: لُطِّخ.

(٧) الشفا: الحدّ.

ألا ليت شِعري هل أتى أهلَ مكّةٍ ... إبارتُنا[1] الكُفّارَ في ساعة العُسْر
قتلنا سَراة القوم عند مجالِنا ... فلم يرجعها إلاّ بقاصِمة الظهر[2]
قتلنا أبا جهْلٍ وعُتبةَ قبله ... وشَيبة يكبُو لليَدَين وللنَّحْر
قتلنا سُوَيْداً ثمّ عُتبة بعده ... وطُعْمة أيضاً عند ثائرة القتْر[3]
فكم قد قَتَلْنا من كريم مرزَّإٍ ... له حَسَبٌ في قومه نابه الذِّكر
تركناهُم للعَاوِيات يَنُبْنَهُم[4] ... ويَصْلون ناراً بعد حامية القعْر
لَعَمْرك ما حامَتْ فوارسُ مالكٍ ... وأشياعُهم يومَ التقينا على بدرِ[5]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ بيته:

قتلنا أبا جهلٍ وعُتبةَ قبلَه ... وشَيبةَ يكْبُو لليدين للنَّحرِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

نجّى حَكيماً يوم بدر شَدُّهُ ... كَنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الأعْوج[6]
لما رأى بدراً تسيلُ جِلاهُهُ ... بكَتيبةٍ خضراءَ[7] من بَلْخَزْرج
لا يَنْكُلُونَ إذا لَقُوا أعداءهم ... يمشون عائدة الطّريق المِنْهَج
كم فيهمُ من ماجدٍ ذي مَنْعةٍ ... بَطَل بِمَهْلكَة الجَبَان المُحْرَج
ومُسَوَّدٍ يُعْطي الجزيلَ بكفّهِ ... حَمّال أثقال الدِّيات مُتَوَّج
زَيْنِ النَّدِيِّ معاوِدٍ يومِ الوَغَى ... ضَرْبَ الكُماة بكُلِّ أبيض سَلْجَج[8]

قال ابن هشام: قوله سَلْجَج، عن غير ابن إسحاق.

---

(١) إبارتُنا: إهلاكنا.
(٢) قاصمة الظهر: أي المصيبة التي تقصم الظهور.
(٣) ثائرة القتْر: ما ثار من الغبار.
(٤) العاويات: الذئاب والسباع. ينوبه: يأتيه مرة بعد أخرى.
(٥) سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨
(٦) الأعوج: نوع كريم من الخيل. والبيت في نسب قريش ٢٣١
(٧) الجلاه: ما يستقبلك من جَنَبات الوادي. وخضراء: سوداء من كثرة الحديد الذي عليها.
(٨) السلجج: الماضي.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان أيضاً:

فـمـا نخْشَـى بحَـوْل الله قـومـاً ... وإنْ كَـثـرُوا وأُجْمِعَت الـزُّحُـوفُ
إذا مـا ألَّبُـوا جمْـعـاً علينـا ... كـفـانـا حـدَّهـم ربٌّ رَءوف
سَـمَـوْنـا يـومَ بـدر بـالعـوالي ... سِـراعـاً مـا تُضَعْضِعُنـا الحُتـوف
فلم تـر عُصبـةً في النـاس أنكى ... لمن عـادَوْا إذا لَقِحـت كَشُـوف[1]
ولـكـنّـا تـوكّـلْنـا وقُـلْنـا ... مـآثُـرنـا ومَـعْـقِلنـا السّـيـوف
لقينـاهـم بـهـا لـمّـا سَـمَـوْنـا ... ونـحـنُ عـصـابـةٌ وهُـمُ أُلُـوف

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يهجو بني جُمَح ومَن أصيب منهم:

جَمَحَتْ بنو جُمَح لِشَقْـوة جدّهم ... إنّ الـذلـيـل مُـوكّـل بـذلـيـلِ
قُتِلت بـنـو جُمَـحٍ بـبـدْر عَنْـوةً ... وتخـاذلـوا سَعْـيـاً بكـلّ سبيـل
جَحَـدوا الكِتـاب وكَذّبـوا بمحمّـد ... والله يُـظهِـر ديـن كـلّ رسـول
لَـعَن الإلـه أبـا خُـزيـمـة وابنَـه ... والخـالـدَيْن، وصـاعِدَ بن عَقِيـل

قال ابن إسحاق: وقال عُبيدة بن الحارث بن المطّلب في يوم بدر، وفي قطع رِجْله حين أصيب، في مبارزته هو وحمزة وعليّ حين بارزوا عدوّهم ـ قال ابن هشام، وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لعُبيدة:

سَتَبْلُغ عنّـا أهـلَ مكّـة وقْـعـةٌ ... يَهُبّ[2] لهـا مَن كـان عن ذاك نـائيـا
بـعُـتْبـة إذ ولّـى وشـيْـبـة بـعـدَه ... ومـا كـان فيهـا بِكْـرُ عُتْبـة راضيـا[3]
فـإنْ تَقْـطَعـوا رِجْلي فـإنّي مُسْلِم ... أُرَجّـى بهـا عـيشـاً مـن الله دانيـا
مع الحُور أمثالَ التماثيـل أُخلِصت[4] ... مـع الجنّـة العُلْيـا لمن كـان عـالِيـا

---

(١) لقِحت: حملت. والكشوف: الناقة التي يضربها الفحل في وقت لا تشتهيه. والمعنى أنّ الحرب قد هاجت بعد سكون.
(٢) يهب: يستيقظ.
(٣) بكرعُتْبه: ابن عُتبة البِكْر.
(٤) التماثيل: الصور المتقنة الصنع والضمير في أخلصت يعود على الحور العين، والمعنى خصّ بها.

وبِعتُ بها عيشاً تعرَّقْتُ[1] صَفْوه | وعالجتُه حتّى فقدتُ الأدانيا
فأكرمني الرحمنُ من فَضْل مَنِّه | بثَوْب من الإسلام غَطّى المَساويا
وما كان مكروهاً إليّ قِتالُهم | غداةَ دعا الأَكْفاءَ مَن كان داعِيا
ولم يَبْغ إذا سالوا النبيّ سواءنا | ثلاثَتنا حتّى حَضَرْنا المناديا
لقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا | نُقاتل في الرَّحمن مَن كان عاصِيا
فما برِحتْ أقدامُنا من مقامنا | ثلاثتنا حتى أُزِيروا المَنائيا[2]

قال ابن هشام: لما أصيبت رِجْل عُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعَلِم أنّي أحقّ بما قال حين يقول:

كَذَبتم وبيتِ اللهِ يُبْزى[3] محمدٌ، | ولمّا نُطَاعِنْ دُونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حولَه | ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائلِ[4]

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْله يوم بدر. قال كعب بن مالك الأنصاريّ يبكيه:

أيا عين جُودي ولا تَبْخَلي | بدَمْعك حقّاً ولا تَنْزُري
على سيّدٍ هَدَّنا هُلْكُهُ | كريم المشاهد والعُنْصر
جريء المقدَّم شاكي السّلاح | كريم النثا طيّب المَكْسِر[5]
عُبيدة أمسى ولا نَرْتجيه | لعُرْفٍ عَرَانا ولا مُنْكر
وقد كان يحمي غداة القِتا | ل حامية الجَيْش بالمِبْتَرِ

(١) التعرّق: المزج.
(٢) المنائيا: المنايا. زيدت فيها الهمزة. والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٨، ٥٢٩
(٣) يُبْزى: أي لا يبزى. والمعنى: لا يقهر.
(٤) البيتان في نسب قريش ٩٤، والأغاني ١٧/٢٨ (البيت الأول) و٤/٢٦ (البيت الثاني) مع اختلاف.
(٥) النثا: ما يتحدث به عن الشخص من خير أو شر. وطيّب المَكْسر: خال من العيب.

وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم بدر:

ألا هل أتى غسّان في نأي دارِها ... وأخْبرُ شيءٍ بالأمور عَليمها
بأنْ قد رَمَتْنا عن قِسِيّ عَداوةً ... مَعَدٌّ معاً جُهّالُها وحليمها
لأنّا عَبَدْنا الله لم نَرْجُ غيرَه ... رجاء الجِنان إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له في قومه إرثُ عزَّة ... وأعراقُ صدق هذَّبتها أُرومها[1]
فساروا وسِرْنا فالتَقَيْنا كأنَّنا ... أُسود لِقاء لا يُرجَّى كَلِيمها[2]
ضربناهُم حتَّى هوى في مَكرِّنا ... لِمَنْحر سَوْءٍ من لُؤَيّ عظِيمها
فَولَّوْا ودُسْناهم بِبيض صَوارم ... سواءٌ علينا حِلفُها وصَمِيمها[3]

وقال كعب بن مالك أيضاً:

لَعَمْر أبيكُما يابْنَيْ لُؤَيٍّ ... على زَهْوٍ لَدَيكم وانتِخاء[4]
لما حامَت[5] فوارسُكم بِبَدْرٍ ... ولا صَبروا به عند اللقاء
ورَدْناه بنور الله يَجْلو ... دُجَى الظَّلْماءِ عنّا والغِطاء
رسول الله يَقْدُمنا بأمر ... مِن امرِ الله أحكَم بالقضاء
فما ظَفِرَتْ فوارسُكم ببدْر ... وما رجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سفيان وارقُبْ ... جِياد الخيل تطلُع من كَداء[6]
بنصر الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ، فيا طِيبَ المَلاء[7]

وقال طالب بن أبي طالب، يمدح رسول الله ﷺ، ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر:

---

(١) الأروم: الأصول.
(٢) الكليم: الجريح.
(٣) حِلْفُها: حليفها، والصميم: الخالص. والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٧
(٤) الانتخاء: الإعجاب.
(٥) حامت: من الحماية وهي الامتناع.
(٦) كَدَاء: مكان بمكة.
(٧) روح القدس: جبريل. وميكال: وهو ميكائيل عليهما السلام. والملاء: أراد الملأ وهم الأشراف. وألابيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٢٧

ألا إنّ عَيْني أنفـدَتْ دَمْعَهـا سَكْبـاً تُبَكّي على كعب ومـا إن تـرى كَعْبـا
ألا إنّ كعبـاً في الحُـروب تخـاذلـوا وأرداهمُ ذا الـدّهـرُ واجتَـرَحُـوا ذَنْبـا
وعـامـر تَبْكـي للمُـلِمَّـات غُـدْوةً فيا ليت شِعْري هلى أرى لهما قُرْبـا
همـا أخَـوايَ لن يُـعَـدّا لِغَيَّـةٍ[1] تُعَـدُّ ولن يُسْتـام جـارُهمـا غصْبـا
فيـا أخَـوَيْنـا عبـدَ شمسٍ ونـوفـلا فِـداً لكمـا لا تَبْعَثُـوا بَيْنَنـا حـرْبـا
ولا تُصْبِـحُـوا من بـعـد وُدٍّ وألفـةٍ أحـاديثَ فيهـا كلُّكم يشتكي النَّكْبـا
ألم تعلموا ما كان في حرْب داحسٍ[2] وجيش أبي يَكْسُوم إذ مَلَئُوا الشِّعْبا
فـلولا دِفـاع الله لا شـيء غـيـرُه لأصبحتمُ لا تَمنعـون لكم سِـرْبـا[3]
فمـا إنْ جَنَيْنـا في قُـريش عـظيمـةً سِوَى أنْ حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطِىءَ التُّربا
أخـا ثِـقـةٍ في النّـائبـاتِ مُـرَزَّأً كـريمـاً نثـاه لا بَخيـلاً ولا ذَرْبـا[4]
يُـطيف بـه العـافُـون يَغْشَـوْن بـابـه يَؤُمّـون بحـراً لانَـزُورا ولا صَـرْبـا[5]
فـوالله لا تنفـكّ نـفسـي حـزينـةً تَململ حتى تَصْدُقوا الخزْرجَ الضَّرْبا[6]

وقال ضِرار بن الخطّاب الفِهْرِيّ، يرثي أبا جهل:

ألا مَن لِعَيْنٍ بـاتت الليـلَ لـم تَنَمْ تـراقبُ نَجْمـاً في سـوادٍ من الـظُّلَم
كـأنّ قَـذًى فيهـا وليس بهـا قـذًى سوى عَبْرة من جائل الـدَّمع تَنْسَجِم
فبلِّغْ قُـريشـاً أنّ خَيْـر نَـدِيِّهـا وأكـرمَ من يمشي بسـاقٍ على قَـدَمٍ
ثَـوَى يوم بـدر رَهْنَ خَوْصَـاءَ رَهْنُهـا كريمُ المساعي غيـرُ وغْدٍ ولا بَـرِمِ[7]
فـآليتُ لا تـنفـك عيني بعَبْـرة على هالك بعـد الرئيس أبي الحَكَم

(١) يقال: هذا الشخص لغية إذا دُعي لغير أبيه.
(٢) انظر حرب داحس فيما سبق من السيرة وهامشها.
(٣) السرب: النفس.
(٤) الذَرْب: الفاسد.
(٥) الصرب: المنقطع.
(٦) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٣، ٥٣٤
(٧) الخوصاء: البئر الضيقة. والبرم: البخيل.

على هالكٍ أشْجَى لُؤَيّ بن غالب — أتَتْهُ المنايا يوم بدر فلم يَرِم[1]
ترى كِسَرَ الخَطِّيّ في نحر مُهْره — لدى بائنٍ من لحمه بينها خِذَمْ[2]
وما كان ليثٌ ساكنٌ بطْن بِيشَةٍ — لدى غَلَل يَجْري ببطْحاء في أجَمْ[3]
بأجرأ منه حين تختلف القنا — وتُدْعَى نزال في القَماقِمة البُهَم[4]
فلا تَجْزَعُوا آلَ المُغيرة واصبروا — عليه ومَن يَجْزَع عليه فلم يُلم
وجِدُّوا فإنّ الموت مَكْرُمَةٌ لَكم — وما بعده في آخر العيش من نَدَم
وقد قلت إنّ الرّيح طيّبةٌ لكم — وعِزّ المقام غير شكّ لذي فَهَم

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لضِرار.

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام، يبكي أخاه أبا جهل:

ألا يا لهْفَ نفسي بعد عمرو — وهل يُغْني التَلَهُّفُ من قتيلِ
يُخبِّرني المُخبِّر أنّ عَمْراً — أمام القوم في جَفْرٍ مُحيل[5]
فقِدْماً كنتُ أحسب ذاك حقّاً — وأنتَ لما تقدَّم غير فِيل[6]
وكنتُ بنِعْمة ما دُمْتَ حيّاً — فقد خُلِّفْتُ في درج المَسِيل[7]
كأنّي حين أُمْسي لا أراه — ضعيفُ العَقْد[8] ذو هَمٍّ طويل
على عمرو إذا أميستُ يوماً — وطَرْفٍ من تَذكُّرِهِ كَليل

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «في جفر» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) لم يرم: لم يبرح.
(٢) الخطّي: الرماح. الخذم وقد تنطق بالجيم: قطع اللحم.
(٣) بطن بيشة: مكان تُنسب إليه الأسود. الغَلل: الماء الجاري في أصول الشجر، والأُجَم: بضم الميم وفتحها وقد تُسكّن، مفردها أجمة: الشجر الكثير الملتف.
(٤) القماقمة: السادة الكرام، والبُهم: الشجعان.
(٥) الجَفر المُحيل: البئر القديمة.
(٦) غيرُ فيل: أي غير فاسد الرأي.
(٧) دَرج المسيل: موطن الذلّ والغَلَبَة.
(٨) العقد: العزم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعوب الليثي، وهو شَدّاد ابن الأسود:

تُحيِّى بالسلامة أمُّ بكر ... وهل لي بعد قومي من سلامِ
فماذا بالقَلِيب قَلِيب بدر ... من القَيْنات والشَّرب الكِرام
وماذا بالقَلِيبِ قَليب بدْر ... من الشِّيزَى[1] تُكَلَّل بالسَّنام
وكم لك بالطَّويّ طويّ بدر ... من الحَوْمات والنَّعَم المُسمام[2]
وكم لك بالطَّويّ بدر ... من الغايات والدُّسُع العظام[3]
وأصحاب الكريم أبى عليّ ... أخي الكاس الكريمة والنِّدَام
وإنَّكِ لو رأيتِ أبا عَقيل ... وأصحابَ الثنيّة من نَعَام[4]
إذاً لَظَلِلْتِ مِن وَجْد عليهم ... كأُمّ السَّقْب[5] جائلة المَرَام
يُخبِّرنا الرسولُ لَسَوْفَ نَحْيا ... وكيف لِقاءُ أصداءٍ وَهام[6]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة النحوي:

يخبّرنا الرسولُ بأنْ سنحْيا ... وكيف حياةُ أصداءٍ وهام

قال: وكان قد أسلم ثم ارتدّ.

وقال ابن إسحاق: وقال أُميّة بن أبي الصَّلْت، يرثي من أصيب من قريش يوم بدر:

---

(١) الشِّيزى: جفان تصنع من خشب الأبنوس.
(٢) الطَّويّ: البئر المطْويّة بالحجارة، والحوْمات: القطع من الإبل. والمُسام: المرسَل في المرعى.
(٣) الدُّسُع: العطايا.
(٤) النعام: موضع.
(٥) السَّقْب: ولد الناقة وقت وضعه.
(٦) الأصداء: جمع صدى: وهو ما يتبقّى من الميت في قبره. والهام: جمع هامة: وهي طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل يصيح أسقوني حتى يؤخذ بثأره فيسكت. والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٥، ٥٣٦ مع اختلاف بعض الألفاظ، وفي انساب الاشراف ١/٣٠٧ سبعة أبيات، منها بيتان ليسا هنا، مع اختلاف في اللفظ والترتيب. والبيت الأول في نسب قريش ٣٠١، وعزاه ابن دريد في الاشتقاق ٦٣ الى بحير بن عبدالله القشيري، والبيت الأخير في جمهرة ابن الكلبي ٨١، وذكر البخاري في صحيحه في مناقب الأنصار أربعة أبيات.

ألاّ بَكيتِ على الكِرا م بني الكِرام أُولى المَمَادحْ
كبكا الحَمام عى فُرُو ع الأَيْك في الغُصُن الجَوانِح
يَبْكِين حَرَّى مُسْتَكيـ ـناتٍ يرحن مع الرَّوائح
أمثالهنَّ الباكيا ت المُعْولاتِ من النَّوائح
مَن يَبْكِهم يَبْكِ على حُزْن ويصدُق كلُّ مادح
ماذا ببَدْر فالعَقَنْـ ـقَل من مَرَازبةٍ جَحاجِح[1]
فمدافع البَرَقَيْن فالحَنَّان من طَرَف الأَواشِح[2]
شُمْطٍ وشُبَّانٍ بَهَا ليل مَغاوير وَحَاوِح[3]
ألاّ تَرَوْن لِما أرى ولقد أبانَ لكُلّ لامح
أنْ قد تَغَيَّر بطْنُ مكّـ ـة فَهْي مُوحِشة الأباطح
من كلّ بِطْريقٍ لبِطْريـ ـق نَقيّ اللون واضِحْ[4]
دُعْمُوص أبواب الملُو ك وجائبٍ للخَرْقِ فاتِح[5]
من السَّراطمة الخلا جمة المَلاوثة المَناجِح[6]
القائلين الفاعلين الآمرين بكُلّ صالِح
المُطْعِمين الشَّحْم فو ق الخُبْز شحْماً كالأَنافح[7]
نُقُل الجِفان مع الجِفا ن إلى جفانٍ كالمَناضِح[8]

---

(١) العَقَنْقَل: المنعقد من كثبان الرمل ـ والمرازبة: الرؤساء. وهي فارسية. والجحاجح: السادة.
(٢) مدافع: حيث يندفع السيل. البَرَقيْن: مكان. والحنّان: كثيب الرمل، والأواشح: مكان.
(٣) الوَحَاوح: جمع وحُوح: المنكمش الحديد النفس.
(٤) البِطريق: رئيس الأساقفة عند النصارى وهو أيضاً: القائد من قوّاد الروم وهو العالم عند اليهود.
(٥) الدُعْمُوص: في الأصل دُويبة صغيرة تغوص في الماء، استعارها لمن يُكثر الدخول على الملوك. والجانب: القاطع. والخرق: الفلاة.
(٦) السراطمة: واسع الخلق. والخلاجمة: الطوال. والملاوث: السادة.
(٧) الأنافح: جمع أنفحة وهو شيء يخرج من بطن البهائم المجترّة لونه أصفر فشُبّه به الشحم.
(٨) المناضح: الحياض.

لـيْسَـت بـأصْـفـار لـمن يـعـفـو ولا رَحٍّ رَحـارح[1]
لـلضَّيْف ثم الـضَّـيـف بـعـد الضَّيف والبُسْط السَّـلاطـح[2]
وَهُب الـمِئِيـنَ من الـمِئـيـنَ إلـى الـمِئـيـنَ مـن الّـلواقـح[3]
سَـوْق الـمُـؤَبَّـل لـلمُـؤَبَّـل صـادراتٍ عـن بَـلادِح[4]
لِـكِـرامِـهـم فـوق الـكـرا م مـزيَّـةٌ وَزْنَ الـرَّواجـح
كَـتَـثـاقُـل الأرْطـال بـالـقِسْـطـاس في الأيـدي الـمَـوَائـح[5]
خَـذَلـتـهـمُ فِئَـةٌ وهـم يَحمـون عَـوْرات الفَضـائـح
الـضَّـاربـيـن الـتَّـقْـدُمِـيَّـةَ بـالـمُـهَـنَّـدة الـصَّـفـائِـح[6]
ولـقـد عَـنـانـي صَـوْتُـهـم مـن بين مُسْتَنْشقٍ وصـائـح
لله درُّ بَـنـي عـلـيٍّ أيِّـمٍ مـنـهـم ونـاكـح
إنْ لـم يُـغِـيـروا غـارةً شَعْـوَاءَ تُجْحِـر كُـلَّ نـابـح[7]
بـالـمُقْـرَبـات، الـمُـبْـعِـدا ت، الطّامحات مع الطّوامـح[8]
مُـرْداً عـلى جُـرْدٍ إلـى أُسْـدٍ مُـكـالِـبـةٍ كـوالـح
ويُـلاقِ قِـرنٌ قِـرْنَـهُ مَشْيَ المُصَـافِـح لِلمُصَـافِـح
بـزُهـاءِ ألـفٍ ثُـمَّ ألـ ـفٍ بـين ذي بَـدَن ورامِـح[9]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) الأصفار: الآنية، ويعفو: يطلب المعروف. ورح رحارح أي واسعة من غير عمق.
(٢) السلاطح: الطوال العراض.
(٣) اللواقح: الحوامل.
(٤) المؤبّل: الإبل الكثيرة. وبلادح: موضع.
(٥) الموائح: المتمايلة لثقل ما ترفعه.
(٦) التَّقْدُميّة: المتقدمين في أول الجيش. والصفائح: العراض.
(٧) تُجْحِر: تُلجيء الى جُحر.
(٨) المُقرَبات: الكريمة التي تكون قرب البيوت اهتماماً بها، والمبعَدات: التي تبعد في جرْيها، والطامحات: التي ترفع رؤوسها.
(٩) الأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٦ ـ ٥٣٨، وفي انساب الأشراف ١/٣٠٦ تسعة أبيات. وهي ليست في ديوان امية. وانظر نسب قريش ١٠، ١١

وأنشدني غير واحد من أهل العلم بالشِعر بيته:

ويُـلاق قِـرنٌ قِـرْنـه مشي المُصـافح للمُصـافح

وأنشدني أيضاً:

وُهُـبُ الـمئينَ من الـمئـينَ إلى الـمئيـنَ مـن الـلواقـحْ
سَـوْق الـمُـؤَبّـل لـلمُؤَبّـل صـادرات عـن بـلادِح

قال ابن إسحاق: وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت، يبكي زَمَعة بن الأسود، وقتلى بني أسد:

عينُ بَكّي بـالـمُسْبِـلات أبـا الـ حارث لا تَـذْخَـري[1] على زَمَعه
وابكي عقيـلَ بن أسـودٍ أَسَـد الـ بـأْس لـيـوم الهِيـاج والـدَّفَعَـهْ
تـلك بـنـو أسـد إخْـوَة الـجَـوْ زاء لا خـانـةٌ ولا خَـدَعَـه
هـم الأُسـرَة الـوسيـطة مـن كـعْـ ـبٍ، وهم ذِرْوة السَّنام والقمعة[2]
وهم أنْبَتُوا من معاشـر شَعَر الـر أسِ وهـم ألـحقـوهمُ الـمَنَعَـه
أمسى بـنـو عمّـهم إذا حَضَـر الـ بأسُ أكبـادُهـم عـليهـمُ وَجِعـه
وهـم الـمُـطْعِمـون إذ قَحِط الـقَطْـ ـر وحـالَـتْ فـلا تـرى قَـزَعـه[3]

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدني أبو مُحرِز خَلَف الأحمر وغيره، وروى بعض ما لم يرو بعض:

عينُ بَكِّي بـالمُسبَلات أبـا الحـا رث لا تـذْخـري عـلى زَمَـعـه
وعـقيـلَ بـن أسـود أسـدَ الـبـأ س لـيـوم الـهِيـاج والـدَّفَعَـة

---

(١) تذْخري: تدّخري.
(٢) الوسيطة: الشريفة. والقمعة: السنام.
(٣) القزعة: القطعة من السحاب المتفرق. الأبيات ليست في ديوان أميّة المطبوع، وهي في نسب قريش ٢٠٦، وأنساب الأشراف ١/٣٠٧، ٣٠٨ باختلاف في الألفاظ والترتيب.

فعلى مثـلِ هُلْكهم خَـوتِ الجَـوْ زاء، لا خـانـةٌ ولا خَـدَعـه

وهُـمُ الأسـرة الـوَسِيـطة مـن كعـ ـبٍ، وفـيـهـم كـذِرْوة الـقَـمَـعـه

أنبتُـوا مـن معـاشـرٍ شَعَـر الـرأ س، وهـم لـحـقـوهُـمُ الـمَـنَـعَـة

فـبنـو عـمّـهـم إذا حـضـرو الـبـأ س عـلـيـهـم أكـبـادُهـم وجِـعَـه

وهُـمُ المُـطْعِـمـون إذ قَحِط الـقَطْ ر وحـالـت فـلا تـرى قَـزَعَـه

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارس بن سعد بن ضُبَيعة بن مازن بن عدِيّ بن جُشَم بن معاوية حليف بني مخزوم ـ قال ابن هشام: وكان مشركاً وكان مرّ بهبَيْرة بن أبي وهْب وهم منهزمون يوم بدر، وقد أعيا هُبيرة، فقام فألقى عنه درْعه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أصحّ أشعار أهل بدر:

ولمّـا أنْ رأيتُ القـوَم خَفّـوا وقـد زالت نعـامتُهم لنفْـرِ[1]

وأنْ تُـرِكَتْ سَراة القـوم صَرْعى كـأنّ خِيارَهُم أذبـاحُ عِتْـر[2]

وكـانت جُمَّـةٌ وافتْ حِمـامـاً ولُقِّينـا المَنـايـا يـوم بَـدْر[3]

نصُـدّ عن الـطريق وأدْركـونـا كـأنّ زُهـاءَهُم غَـطَيـانُ بحْـر[4]

وقـال القائلون: من ابنُ قيْس؟ فقلتُ: أبـو أُسامـة، غيرَ فَخْـر

أنـا الجُشميّ كيمـا تَعـرفـوني أبيِّن نِسْبتي نَـقْـراً بـنَـقْـر[5]

فإنْ تَكُ في الغَلاصم[6] مِنقريش فـإنّي من معـاويـة بن بـكـر

فـأبْلغ مـالكـاً لمـا غُشينـا وعندك مَال[7] ـ إنْ نبّأتَ ـ خُبْري

---

(١) زالت، ورويت شالت نعامتهم كناية عن الهلاك فالنعامة باطن القدم ومن مات شالت رِجْله فظهرت باطنها.

(٢) العِتْر: الصنم الذي يُذبح له.

(٣) الجُمّة: الجماعة.

(٤) الغَطَيان: الفَيَضان.

(٥) النقر: الطعن في النسب، أي إن عبتم نَسَبي جاوبْتُكم بمثله.

(٦) الغلاصم: الأعالي.

(٧) مال: أصله مالك فرخّمه بحذف آخره.

وأبْلِغ إن بلغتَ المرءَ عنّا ... هُبَيْرة، وهو ذو عِلم وقَدْر
بأنّي إذ دُعيت إلى أُفَيْدٍ[1] ... كرَرْتُ ولم يضِق بالكرّ صدري
عشِيّة لا يُكَرّ على مُضاف[2] ... ولا ذي نعْمة منهم وصِهْر
فدونَكُمُ بني لأْي[3] أخاكم ... ودونك مالكاً يا أمّ عَمْرو
فلولا مَشْهدي قامت عليه ... مُوَقَّفَةُ القوائم أُمُّ أجْري[4]
دَفُوعٌ للقُبور بمَنْكِبَيْها ... كأنّ بوَجْهها تَحميمَ قِدْر[5]

فأُقسِم بالذي قد كان ربّي ... وأنْصابٍ لَدَى الجَمَرات مُغْر[6]
لسوف تَرَوْن ما حَسَبي إذا ما ... تبدّلت الجُلُود نِمْر
فما إنْ خادِرٌ من أُسد تَرْج ... مُدِلٌّ عَنْبسٌ في الغِيل مُجْري[7]
فقد أحْمى الأباءَة من كُلاف ... فما يَدْنو له أحد بنقر[8]
بخَلٍّ تَعْجِزُ الحُلفاء عنه ... يُوائب كلَّ هَجْهَجة وزَجْر[9]
بأوشَك سَوْرةً منّي إذا ما ... حَبَوْت له بقَرْقَرة وهَدْر[10]
ببيضٍ كالأسنّة مُرْهفاتٍ ... كأنّ ظُباتِهنّ جحيم جَمْر[11]

---

(١) أفَيْد: تصغير وفْد اسم للجمع، مثل ركْب، ولذلك جاز تصغيره.
(٢) المضاف: الخائف.
(٣) بني لأي: جاء به مكبّراً على أصله ويريد به بني لُؤَيّ.
(٤) المُوقَّفة: الضبع. والأجر؛ جمع جرو وهو ولدها.
(٥) التحميم: التلطّخ بالسواد.
(٦) الأنصاب: ما يذبحون عنده من الأحجار. ومُغْر: حمراء.
(٧) الخادر: الأسد في خدره، والخدر: أجمة الأسد. وتَرْج، جبل بالحجاز: والعَنْبس: العابس الوجه، والغيل: الشجر الملتفّ. والمُجْري: ذو جراء، أي ذو أشبال.
(٨) الأباءة: أجَمَة الأسد. والكُلاف: إما أن تكون اسم لمكان أو لعله أراد أنه من شدة كَلَفه بذلك.
(٩) الخَلّ: الطريق وسط الرمل. والحُلفاء: الأصدقاء المتحالفون. والهجهجة: زجر الأسد بأن تقول له: هج هج.
(١٠) السَّوْرة: الحِدَّة. والقرقرة والهدر: من أصوات فحول الإبل.
(١١) الظُباة: جمع ظبة، حدّ السهم.

وأَكْلَفَ مُجَنــأٍ من جـلْد ثَــوْر ... وصَفْــراء البُــرايــة ذاتِ أُزْر[١]

وأبيَضَ كـالغَـدِيـر ثَـوَى عليـه ... عُمَيـر بالمـداوِس نِصف شهْر[٢]

أُرَفّـل فـي حمـائـله وأمشـي ... كمِشْيـة خـادرٍ ليثٍ سِبَـطْر[٣]

يقـول لي الفتى سعـدٌ هَـدِيّـا[٤] ... فقلتُ: لعلّه تقـريبُ غـدْر[٥]

وقلت أبـا عـديّ لا تَـطُرْهم ... وذلك إنْ أطَعْت اليوم أمـري[٦]

كَـدَأْ بِهِمْ[٧] بـفَـرْوَةَ إذ أتـاهم ... فـظَلَّ يُقـاد مكتـوفـاً بضَفْـر[٨]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو محرز خَلَف الأحمر:

نُـصَـدُّ عـن الـطريـق وأُدْرَكُـونـا ... كـأن سِـراعَـهـم تـيَّـارُ بَـحْـر

وقوله: مدلّ عَنْبس في الغِيل مُجْري - عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضاً:

ألا مَـن مُـبـلغٌ عـنّـي رسـولاً ... مُـغَلْغَـلَـةً يُـثَبِّـتُـهـا لَـطيـفُ[٩]

ألـم تَـعْـلَم مَـرَدَّى يـوم بـدر ... وقـد بَرَقَتْ[١٠] بجَنْبَيْـك الكُفُـوف

وقـد تُـرِكَتْ سَـراةُ القوم صَـرْعى ... كـأنّ رُءوسَـهـم حَـدَجُ نَقِيـف[١١]

---

(١) الأكلف: الترس أسود الظاهر. والمجنأ: المنحني. وصفراء: القوس. والبراية: ما يتطاير منها حين تصنع.

(٢) الأبيض: السيف. وعُمير: اسم رجل يصقل السيوف. والمداوس الآلات التي تُصقل بها السيوف.

(٣) أرفل: أطوّل. والسِّبطر: الطويل.

(٤) في نسب قريش: «ويدعوني الفتى عمروٌ هديّاً».

(٥) الهدي: ما يُهدى الى البيت، ونصبه على إضمار فعل من لفظه.

(٦) لا تُطْرهم: لا تقرّبهم.

(٧) في نسب قريش «كفعْلهم».

(٨) الدّأب: العادة. والضَفْر: الحبل المفتول. وهذا البيت (٢٧) والبيت الأسبق (٢٥) وردا في نسب قريش ٤٠٥.

(٩) المغلغلة: الرسالة. واللطيف: الحازم في أموره.

(١٠) برقت: لمعت.

(١١) الحدج النقيف: الحنظل المكسور لأخذ الحَبّ منه.

وقـد مـالتْ عليـك ببطْن بـدْرٍ ... خِـلافَ القـوم داهيـةٌ خَصِيف[1]
فـنجّـاه مـن الـغَـمـرات عَـزْمـي ... وعـونُ الله والأمـرُ الـحَـصِـيـف
ومُـنْـقَـلِـي مـن الأَبْـواءِ[2] وحـدِي ... ودونـك جـمْـعُ أعـداء وُقـوف
وأنـت لـمـن أرادك مـسـتـكـينٌ ... بـجَنْب كُـرَاش مكلومٌ نـزِيـف[3]
وكـنـتُ إذا دعـانـي يـومَ كَـرْب ... من الأصحـاب داعٍ مُـسْـتـضيـف[4]
فـأسمعني ولـو أحببتُ نَفْسي ... أخٌ فـي مـثـل ذلـك أو حَـلِيـف
أرُدّ فـأكـشِـف الـغُـمَّـى وأرْمي ... إذا كَـلَح الـمَـشـافـرُ والأُنـوف[5]
وَقِـرْنٍ قـد تـركـتُ على يـديـه ... يَـنُـوء كـأنّـه غُـصْـن قَـصِـيـف
دَلَـفْـتُ لـه إذا اخـتـلطوا بـحَـرَّى ... مُسَحْسَحَـةٍ لعـانـدهـا حَفِـيف[6]
فـذلـك كـان صُنعي يـوم بـدر ... وقَـبْـلُ أخـو مُـداراة عَـزُوف[7]
أخـوكم في السّنين كـمـا علمتم ... وحـربٍ لا يـزال لهـا صَـريف[8]
ومِـقْـدَامٌ لـكـم لا يَـزْدَهِـيـنـي ... جَـنـانٌ الليـل والأنَسُ الـلّفيـف[9]
أخـوض الـصَّـرَّة خَـوْضـاً ... إذا مـا الكلبُ ألـجاه الشَّـفِيـف[10]

قال ابن هشام: تركت قصيدةً لأبي أسامة على اللام، ليس فيها ذِكر بدر إلّا في أول بيت منها والثاني، كراهة الإكثار.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عُتبة بن ربيعة تبكي أباها يوم بدر:

---

(١) الخصيف المتراكم.
(٢) الأبواء: مكان بين مكة والمدينة وبه قبر آمنة أمّ الرسول ﷺ.
(٣) كُراش: اسم جبل، والمكلوم: الجريح.
(٤) المستضيف: الواقع في الضّيق.
(٥) المشافر: شفاه الإبل واستعارها هنا للآدميّ.
(٦) حَرّى: موجعة: صفة لموصوف محذوف أي طعنة موجعة. المُسَحْسَحة: كثيرة سَيَلان الدم. والمعاند: العِرْق الذي لا ينقطع دمه. والحفيف: الصوت.
(٧) المداراة: مصانعة الناس. والعَزُوف: المترفّع عن الدنايا.
(٨) السنين: سنين القحط المجدبة. والصريف: الصوت.
(٩) جَنان الليل: ظلمته. الأَنَس اللفيف الجماعة الكثيرة.
(١٠) الصرَّة: شدّة البرد. الجَنَاء: الشديدة. والشفيف: الريح الشديدة.

أَعَيْنَـيَّ جُـودا بـدمـعٍ سَـرِبْ ... عـلى خيـر خِنْـدَفٍ لـم ينـقـلِبْ
تَـدَاعـى لـه رَهْـطُهُ غُـدْوَةً ... بـنـو هـاشم وبـنـو المـطَّلِب
يُـذيـقـونـه حـدَّ أسيـافـهـم ... يَعُلّونـه بـعـد مـا قـد عَـطِب
يَـجـرُّونَـه وعـفـيـرُ الـتـراب ... عـلى وجْهِـه عـاريـاً قـد سُلب
وكـان لـنـا جَـبَـلاً راسـيـاً ... جميـلَ الـمـراةِ[1] كثيـرَ العُشُب
وأمّـا بُـرَيٌّ[2] فـلم أُعِـنْـه ... فـأُوتيَ من خيـر مـا يَحْتَـسب

وقالت هند أيضاً:

يَـريب علينـا دهـرُنـا فَيسُـوءنـا ... ويـأتي فمـا نـأتي بشيءٍ يُغـالبُـهْ
أبعَـدَ قتيـل من لُـؤَيّ بن غـالـب ... يُراع امرؤٌ إنْ مـات أو مات صـاحبُه
ألا رُبَّ يـومٍ قـد رُزئـتُ مُـرَزَّءاً ... تَـروح وتَغْـدُو بـالجـزيـل مـواهبُـه
فـأبْلغْ أبـا سفيـان عنّي مـألُكـاً[3] ... فإنْ ألْقـهُ يـومـاً فسـوف أُعـاتِبـه
فقد كان حـربٌ[4] يَسْعَر الحـربَ إنّه ... لكلّ امريء في الناس مولىً يُطالبُه

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

لله عـيـنـا مَـن رأى ... هُلْكـاً كَهُلْك رِجـالـيَهْ
يـا رُبَّ بـاكٍ لي غـدا ... في النّـائبـات وبـاكيـهْ
كـم غـادروا يـوم الـقَـلِيـب ... غـداةَ تـلك الـواعِـيـهْ[5]
مـن كـلّ غيْـثٍ في الـسِّـنـيـ ... ـن إذا الـكـواكـبُ خـاويـه
قـد كـنـت أحـذَر مـا أرى ... فـالـيـوم حـقّ حَـذَارِيـهْ

---

(١) المراة: أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها فحذفت الهمزة.
(٢) بُرَيّ: مصغّر البراء وهو اسم رجل.
(٣) المألك: الرسالة الشفوية.
(٤) حرب: والد ابي سفيان.
(٥) الواعية: الصراخ.

قد كنت أحذَر ما أرى فأنا الغداةَ مُوامِيه[1]
يا رُبّ قائلةٍ غداً يا وَيْحَ أُمِّ مُعاوِيَهْ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضاً:

يا عينُ بَكِّي عُتُبهْ شيخاً شديد الرَّقَبَةْ
يُطْعِم يوم المَسْغبه يدفع يومَ المَغْلَبه
إنّي عليه حَرِبه[2] مَلْهوفَةٌ مُسْتَلَبَهْ
لَنَهْبِطَنَّ يَثْرَبه بغارةٍ مُنْثَعبه[3]
فيها الخيولُ مُقْرَبه كلُّ جوادٍ سَلْهَبَهْ[4]

وقالت صفيّة بنت مُسافر بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبدشمس بن عبدمَناف، تبكي أهل القَلِيب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مُصابهم:

يا مَنْ لَعينٍ قَذاها عائرُ الرَّمدِ حدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمس لم يَقِدِ[5]
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَراة الأكْرَمين معاً قد أحرزتْهم مَنايـاهم إلى أَمَد
وفَرَّ بالقوم أصحابُ الرِّكاب ولم تَعْطِفْ غداتَئِذٍ أمّ على ولد
قومي صفيَّ ولا تَنْسَيْ قَرابَتَهُمْ وإنْ بكَيتِ فما تبكين من بُعُد
كانوا سُقُوب[6] سماء البيت فانقصفتْ فأصبح السَّمك منها غيرَ ذي عَمَد

(١) موامية: أصلها مؤامية وهي الذليلة.
(٢) الحرِبة: الحزينة.
(٣) المنثعبة: سريعة السَّيَلان.
(٤) السلهبة: الفَرَس الطويلة.
(٥) القذا: ما يقع في العين من الأذى. والعائر: وجع في العين وحدّ النهار: الفاصل الذي بينه وبين الليل: وقرن الشمس: أعلاها. ولم يقد: لم يتم نوره.
(٦) السقوب: عُمُد الخباء.

قال ابن هشام: أنشدني بيتها: «كانوا سُقوب» بعض أهل العلم بالشِعر.

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت مسافر أيضاً:

ألا يا من لِعَيْن ... لِلتَّبكّي دمْعها فان
كَغَرْبَيْ دالج[1] يَسْقي ... خِلال الغَيْث الدّان
وما لَيْثُ غَرِيفٍ[2] ذو ... أظافيرٍ وأسنان
أبو شِبْلَيْن وثّابٌ ... شديدُ البطش غَرْثان[3]
كحِبِّي إذا تولّى ... ووجُوه القوم ألوان
وبالكفّ حُسام صا ... رم أبيضُ ذُكْرَان[4]
وأنت الطّاعن النّجلا ... ء مِنْهَا أبيضُ مُزْبِدٌ آن[5]

قال ابن هشام: ويروون قولها: «وما ليث غريف، إلى آخرها، مفصولاً من البيتين اللذين قبله.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطّلب ترثي عُبيدة بن الحارث بن المطّلب:

لقد ضمّن الصَّفْراءُ[6] مجداً وسُؤدُداً ... وحِلْماً أصيلاً وافرَ اللُّبِّ والعَقْل
عُبيدةَ فابكيه لأضْياف غُربةٍ ... وأرمَلة تَهْوي لأشعثَ كالجِذْل[7]
وبَكّيهِ للأقْوامِ في كلّ شَتْوة ... إذا احمرَّ آفاقُ السّماء من المَحْل

---

(١) الغَرب: الدلو العظيمة. الدالج السائر بالدلو بين البئر والشجر.
(٢) الغريف: أجة الأسد.
(٣) الغَرْثان: الجَوْعان.
(٤) الذُكران: أجود الحديد وأيبسه.
(٥) المزبد الذي له زَبَد وهو الرغوة. وآن: حام.
(٦) الصفراء: موضع بين مكة والمدينة.
(٧) الأشعث: المتغير. والجِذْل: أصل الشجرة.

وبَكّيه للأيتام والريحُ زَفْرَةٌ	وتَشبيب قِدْر طالما أزْبدتْ تَغْلي[1]
فإن تُصبح النّيران قد مات ضَوؤُها	فقد كان يُذْكِيهنّ بالحَطب الجَزْل
الطارِقِ ليلٍ أو لمُلتمس القِرَى	ومُسْتَنْبح أضحَى لَدَيْه على رسْل[2]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحاق: وقالت قُتيلة بنت الحارث، أخت النضر بن الحارث[3]، تبكيه:

يا راكباً إنّ الأُثَيْلَ مَظِنّةٌ	من صُبْح خامسةٍ وأنتَ مُوفّقُ
أبْلِغْ بها مَيْتاً بأنّ تحيّةً	ما إنْ تَزالُ بها النّجائبُ تَخْفِقُ
منّي إليك وعبرةً مسفوحةً	جادت بواكفها[4] وأخرى تخنق
هل يَسْمعنّي النضرُ إنْ ناديتُه	أم كيف[5] يَسمع ميّتٌ لا يَنْطِق
أمحمدُ يا خيرَ ضَنْءِ كريمةٍ[6]	في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِق[7]
ما كان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربّما	منَّ الفتى وهو المَغِيظ المُحْنَق
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلْيُنْفِقَنْ	بأعزّ ما يَغْلو به ما يُنْفق
فالنّضر أقربُ من أسرت[8] قرابةً	وأحقّهم إن كان عِتْق يُعتِق
ظلّت سيوفُ بني أبيه تَنُوشُه	لله أرحامٌ هناك تُشَقّق

---

(١) الريح الزفرة: الشديدة. التشبيب: إيقاد النار تحت القدر. وأزبدت: رمت بالزَبَد وهو الرغوة.

(٢) المستنبح: الضال بالليل فينبح مثل الكلاب فتجاوبه كلاب الحيّ فيُهتَدَى إليه. والرسْل: هنا الرخاء.

والأبيات في سيرة ابن كثير ٢/٥٣٢

(٣) الصحيح) انها بنت النضر لا أخته.

(٤) الواكف: السائل. وفي نسب قريش: لمائحها.

(٥) في نسب قريش «إن كان».

(٦) في نسب قريش: «أمحمدٌ ولأنت ضِنء نجيبة».

(٧) الضنْء: الأصل. والمعرق: الكريم.

(٨) في نسب قريش «تركت»

صبــراً[1] يقــاد إلى المَنِيّــة مُتْعَبــاً رَسْفَ المُقيَّــد وهــو عــانٍ مُــوثَق[2]

قال ابن هشام: فيقال، والله أعلم: إنّ رسول الله - ﷺ - لما بلغه هذا الشِعر قال: لو بلغني هذا قبل قتْله لَمَنَنْت عليه.

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله - ﷺ - من بدر في عقب شهر رمضان أو في شوال.

بحمد الله وتوفيقه تم مراجعة هذا الجزء وتخريج أحاديثه والإحالة إلى مصادره ومراجعه على يد طالب العلم «عمر عبد السلام تدمري» بمدينة طرابلس الشام المحروسة، في يوم الثلاثاء ٢٥ من ذي القعدة ١٤٠٧ الموافق ١٩٨٧/٧/٢١.

---

(١) في نسب قريش «قسراً».

(٢) الأبيات في نسب قريش ٢٥٥ بتقديم وتأخير واختلاف في الألفاظ، وفي عيون الأثر ٢٩١/١، ٢٩٢، والأغاني ١٠/١، ١١، والبيان والتبيين للجاحظ ٢٣٦/٢، ومعجم البلدان ١١٢/١، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي - طبعة بولاق - ١٤/٣، ١٥.



١ ـ فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء



٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس قوافي الأشعار والأراجيز

٤ ـ فهرس الأعلام

ب

ج

ح

خ

س

ش

غ

ك

ن

هـ

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

خ

د

ذ

ر

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

فهرس مواضيع الكتاب